



مجلة عالمية نصف سنوية محكمة



مَجَلَّةٌ عَامِّيَّةٌ نَصَفُ سَنَوِيَّةٍ مُحْكَمَةٌ
تُعْنِي بِبَشَرِ الْإِرْتِثِ الْحَضَارِيِّ وَالثَّقَافِيِّ وَالْعِلْمِيِّ لِمَدِينَةِ كِرْبَلَاءِ الْمُقَدَّسَةِ
تَصَدَّرُ عَنِ
مَرْكَزِ كِرْبَلَاءِ لِلدِّرَاسَاتِ وَابْحَاثِ
وَالْعَتَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ
عَدِدٌ خَاصٌّ بِوَقَائِعِ الْمُؤْتَمَرِ الْعَالَمِيِّ الثَّالِثِ لِإِحْيَاءِ تَرَاثِ عُلَمَاءِ كِرْبَلَاءِ
(الشَّيْخِ مُحَمَّدِ نَبِيِّ الشَّيرَازِيِّ.. فِكْرٌ وَوَقِيَادَةٌ)

المجلد الثامن - العدد الخامس (الجزء الخامس) - السنة الثامنة
كانون الاول/ جمادى الأولى ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م



المجلد الثامن - العدد الخامس (الجزء الخامس) - السنة الثامنة

كانون الاول / جمادى الأولى ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

مجلة علمية نصف سنوية محكمة تعنى بنشر الإرث الحضاري والثقافي والعلمي لمدينة كربلاء المقدسة

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الثالث لآحياء تراث علماء كربلاء

(الشيخ محمد تقي الشيرازي.. فكر وقيادة)

.....

جمهورية العراق - محافظة كربلاء المقدسة

مركز كربلاء للدراسات والبحوث - العتبة الحسينية المقدسة

.....

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (٢٠٧٩) لسنة ٢٠١٥ م

.....

المراسلات:

توجه جميع المراسلات الخاصة بالمجلة إلى:

مجلة السبت - مركز كربلاء للدراسات والبحوث

E-mail:

alsibt@hotmail.com

alssebt_k.center@yahoo.com

alssebt.k.center@gmail.com

facebook: [facebook.com/alssebt](https://www.facebook.com/alssebt)

www.c-karbala.com

ص.ب (٤٢٨) كربلاء

أرقام الهواتف:

٠٠٩٦٤٧٨١٤١٨٧٦٢٥ - ٠٠٩٦٤٧٩٠٣٤٠٩٥٥٦ - ٠٠٩٦٤٧٧١٩٤٩١٢١٠

التصميم والخراج الفني: عماد محمد؛ حيدر محمد

الإشراف العام:

سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

(المتولي الشرعي للأمانة العامة للمعتبة الحسينية المقدسة)

رئيس التحرير: الأستاذ عبد الأمير عزيز القريشي (مدير المركز)

مدير التحرير: أ. د. رياض كاظم سلمان الجميلي (رئيس الهيئة الإستشارية)

هيئة التحرير:

- أ. د. سابرينا ليون ميرفن (جامعة السوربون)
أ. د. جبرالدين شاتلار (المعهد الفرنسي للشرق الأدنى)
أ. د. حسن حبيب الكريطي (جامعة كربلاء)
أ. د. حيدر محمد عبد الله (جامعة كربلاء)
أ. د. محمد فريد عبد الله (الجامعة الإسلامية - لبنان)
أ. د. سلوى ساندرنا ناكوزي (جامعة بواتييه - فرنسا)
أ. د. سامي ناظم حسين المنصوري (جامعة القادسية)
أ. د. رحاب فايز احمد سيد يوسف (جامعة بني سويف)
أ. د. عمرو بن معد يكرب الهمداني (رئيس الدار الهمدانية المحمدية-اليمن)
أ. د. مهدي وهاب نصر الله (جامعة كربلاء)
أ. د. زهير عبد الوهاب الجواهري (جامعة كربلاء)
أ. م. د. محمد وسام المحنّأ (جامعة كربلاء)
أ. م. د. محمد رضا فخر روحاني (جامعة قم - قم المقدسة)
أ. م. د. محسن عباس الويري (جامعة قم - قم المقدسة)
أ. م. د. جعفر علي عاشور (جامعة أهل البيت)
أ. م. سمير خليل شمْطُو (جامعة كربلاء)
م. د. فامر مكي علي الشمري (الجامعة المستنصرية)

المراجعة اللغوية:

أ. د. إياد محمد علي الأرنؤوطي (جامعة بغداد)

أ. م. د. جعفر علي عاشور (جامعة أهل البيت)

اللغة الانكليزية: أ. م. د. مؤيد ناجي أحمد (الكلية التربوية المفتوحة - بغداد)

سياسة النشر في مجلة السببط:

مجلة السببط مجلة نصف سنوية محكمة، تصدر عن مركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدسة، الحائز على شهادة الإعتماد الدولي من منظمة الثقافة والعلوم (اليونيسكو - برنامج الذاكرة العالمية)، وتستقبل البحوث والدراسات في مختلف الأختصاصات العلمية والإنسانية التي تبحث في الإرث الحضاري والثقافي لمدينة كربلاء المقدسة لتكون مرجعاً علمياً لحفظ تراث المدينة وهويتها الدينية.

تدعو المجلة جميع الباحثين في مختلف الأختصاصات العلمية والإنسانية للكتابة والتحقيق في إرث هذه المدينة العريقة وحضارتها، ببحوث ذات قيمة علمية ضمن إطار موضوعي، بعيداً عن التحيز والميول والتطرف والطائفية، لتحقيق الفائدة العامة لمجتمعنا.

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن آراء كاتبها وليس بالضرورة أن تعكس وجهة نظر المجلة.

تعليمات النشر في المجلة:

تُرَحَّب مجلة السبب بنتائج السادة الباحثين من داخل العراق وخارجه، وتقوم بنشر بحوثهم عبر الأختصاصات الإنسانية المختلفة وعلى وفق للقواعد الآتية:

١. بخضع البحوث للتقويم العلمي من قبل هيئة التحرير، وجمع كبير من الأساتذة في مختلف الإختصاصات العلمية.

٢. أن يكون البحث المراد نشره متميزاً وجديداً في موضوعه، ومستوفياً لشروط المنهج العلمي المعتمدة.

٣. أن لا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق أو خارجه، أو منقولاً من شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، على أن يقدم الباحث تعهداً خطياً بذلك يُرفق مع البحث.

٤. أن يكون البحث سليماً من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة الدقة في الأسلوب بشكل صحيح.

٥. يلتزم الباحث بالشروط الفنية المتبعة في كتابة البحوث العلمية من حيث الترتيب وتنظيم البحث بمصادره، وهوامشه في نهاية البحث، كما يجب مراعاة وضع الخرائط والصور والجداول في مكانها أينما وردت في متن البحث.

٦. يُسَلَّم البحث إلى هيئة التحرير مطبوعاً على نظام (word)، وورق (A4)، مع قرص مدمج (CD)، يتضمن مادة البحث ونمط الخط (Times new roman) وحجم الخط (١٤) للبحوث العربية و (١٢) للغة الإنكليزية، على أن لا تزيد صفحات البحث عن (٢٥) صفحة، وما زاد على ذلك يتحمل الباحث دفع مستحقّاته المالية، ولا تقلّ عن (١٠) صفحات.

٧. يجب وضع الهوامش والمصادر في نهاية البحث على أن يُتبع في ترتيبها الطرق المتعارف عليها في كتابة المصادر العلمية، اسم المؤلف، اسم الكتاب، اسم المحقق (إذا كان الكتاب محققاً)، رقم الطبعة، اسم المطبعة، مكان النشر، سنة النشر.

٨. على الباحث أن يرفق مع بحثه نبذة مختصرة عن سيرته العلمية، إذا كان الباحث يتعامل مع المجلة لأول مرة.

٩. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الآتية: عنوان الباحث واسمه، وجهة عمله، ورقم الهاتف، والبريد الإلكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث، أو الباحثين في متن البحث، أو أي إشارة إلى ذلك باللغتين العربية والإنكليزية.

١٠. تسلم البحوث مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان الآتي: العراق - كربلاء المقدسة - شارع السيدة زينب عليها السلام - مركز كربلاء للدراسات والبحوث. أو أن تُرسل البحوث على البريد الإلكتروني لمجلة السبب المحكمة: alssebt.k.center1@gmail.com

ملاحظات عامة:

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية تتعلق بهوية المجلة.
- إشعار الباحث بقبول بحثه خلال مدة أقصاها شهر من تأريخ تسليم البحث، ويخطر الباحث في حال عدم الموافقة على النشر، من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، ويتم ذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.
- لا تُعاد البحوث إلى أصحابها، سواء نشرت، أم لم تنشر.

No:
Date:

الرقم: ج ب ٤ / ١٠٩٩
التاريخ: ١٠ / ٤ / ٢٠١٥
" بجيشنا والحشد الشعبي العراق اقوى وامضى "

العتبة الحسينية المقدسة / مركز كربلاء للدراسات والبحوث

م / مجلة السبب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

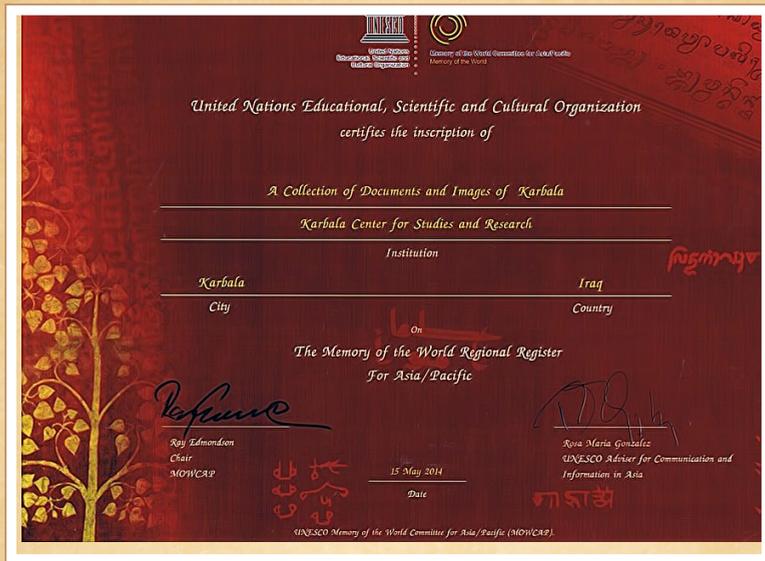
استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة، وبناءً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لأغراض الترقية العلمية في "مجلة السبب" الصادرة عن مركزكم الموقر تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية

تقبلوا منا فائق الاحترام والتقدير


أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالة
٢٠١٥/٢/١٤

نسخة منه الى:

- قسم الشؤون العلمية/شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة



شهادة الاعتماد الدولي
لمركز كربلاء للدراسات والبحوث
من منظمة اليونسكو (برنامج الذاكرة
العالمية)
تأريخ الاعتماد: ١٥ / ٥ / ٢٠١٤م



سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة السبّط المحترم

العتبة الحسينية المقدسة، الأمانة العامة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، كربلاء/ العراق

تحية طيبة وبعد،،،

يسر معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (أرسيف - ARCIF)، أحد مبادرات قاعدة بيانات 'معرفة' للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه قد أطلق التقرير السنوي الخامس للمجلات للعام 2020.

يخضع معامل التأثير 'أرسيف Arcif' لإشراف 'مجلس الإشراف والتنسيق' الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية: (مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب اسيا (الإسكوا)، مكتبة الاسكندرية، قاعدة بيانات معرفة، جمعية المكتبات المتخصصة العالمية/ فرع الخليج). بالإضافة للجنة علمية من خبراء وأكاديميين ذوي سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وبريطانيا.

ومن الجدير بالذكر بأن معامل 'أرسيف Arcif' قام بالعمل على فحص ودراسة بيانات ما يزيد عن (5100) عنوان مجلة عربية علمية وأبحاثية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من (1400) هيئة علمية أو بحثية في (20) دولة عربية، (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات). ونجح منها (681) مجلة علمية فقط لتكون معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل 'أرسيف Arcif' في تقرير عام 2020.

ويسرنا نهنئكم وإعلامكم بأن **مجلة السبّط الصادرة عن العتبة الحسينية المقدسة، الأمانة العامة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العراق، قد نجحت بالحصول على معايير اعتماد معامل 'أرسيف Arcif' المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (31) معياراً، وللاطلاع على هذه المعايير يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي: <http://e-marefa.net/arcif/criteria>**

وكان معامل 'أرسيف Arcif' لمجلتكم لسنة 2020 (0.0278). مع العلم أن متوسط معامل أرسيف في تخصص العلوم الإنسانية (متداخلة التخصصات) على المستوى العربي كان (0.076)، وقد صنفت مجلتكم في هذا التخصص ضمن الفئة (الثالثة Q3) وهي الفئة الوسطى.

و بماكنكم الإعلان عن هذه النتيجة سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الإشارة في النسخة الورقية لمجلتكم إلى معامل 'أرسيف Arcif' الخاص بمجلتكم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام و التقدير

أ.د. سامي الخزندار
رئيس مبادرة معامل التأثير
'أرسيف Arcif'



مَجَلَّةُ السَّبْطِ

قصيدة تُورِّخُ فيها صدورَ مَجَلَّةِ السَّبْطِ سنةَ (١٤٣٦) للهجرة وهي مَجَلَّةٌ علميَّةٌ فصليةٌ مُحَكِّمةٌ تُعنى بِنِشْرِ الأَرثِ الحضاريِّ لمدينةِ كربلاءِ المقدَّسة، تَصُدِّرُ عن مركزِ كربلاءِ للدراساتِ والبحوثِ التابعِ للعتبةِ الحسينيَّةِ المقدَّسة.

بِالْيُمْنِ وَالْأَمَالِ وَالْقِسْطِ قَدْ أَشْرَقَتْ مَجَلَّةُ السَّبْطِ
مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ دَوْرُهَا نَشْرُ ثَرَاثِ الطَّفِّ بِالضَّبْطِ
عِلْمِيَّةٌ فَضْلِيَّةٌ حُكِّمَتْ أَدْوَارُهَا بِالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ
تَصُدِّرُ عَنْ رَوْضَةِ حُلْدٍ زَهَتْ وَهِيَ عَلَى طُولِ الْمَدَى تُعْطِي
مَجَلَّةٌ تَهْدُرُ فِي كَرْبَلَاءِ تُعَالِجُ الْمُهِمْلَ بِالنَّقْطِ
تَفِيضُ مِنْ نَحْرِ حُسَيْنٍ عَطَاءً فَتَمَشُّقُ الْمَوْرُوثَ بِالخَطِّ
كَالْعِقْدِ صِيغَتْ فَوْقَ جِيدِ الْعُلَا وَهِيَ بِأَذْنِ الدَّهْرِ كَالْقُرْطِ
نَاصِعَةٌ صَادِقَةٌ نَصُّهَا مَا شَيْبَ بِالْوَهْمِ وَبِالْخَلْطِ
أُنَيْنِ زِدْ أَرْحَتْ: قُلْ صَادِحًا قَدْ أُسَّسَتْ مَجَلَّةُ السَّبْطِ

١٤٣٦ هـ

علي الصفار الكربلائي

المحتويات

- افتتاحية العدد ١٥
- دور المرجعية الدينية في تأصيل الهوية الوطنية بعد عام ٢٠٠٣ ١٩
١. د. حسين عليوي ناصر الزيايدي / جامعة ذي قار- كلية الآداب
أثر فتوى الجهاد للشيخ محمد تقي الشيرازي (رحمه الله) في قيام الثورة العراقية الكبرى
١٩٢٠م ضد المحتل البريطاني ٤٨
- أ. د. برزان ميسر حامد الحميد / كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة الموصل
أ. د. عبد الرحمن ابراهيم الغنطوسي / كلية التربية- الجامعة العراقية / العراق
٢. المرجعية الدينية ودورها في الوحدة الإسلامية (محمد تقي الشيرازي أنموذجا) ٧٧
- أ. م. د. مثنى عبد الجبار عبود / جامعة بابل
م. د. اياد يونس عريبي / الجامعة المستنصرية
٣. دور المرجعية الدينية في المحافظة على الهوية الوطنية فتاوى الشيخ الشيرازي نموذجا ١٠٧
- أ. م. د. غصون مزهر حسين / كلية الآداب- الجامعة المستنصرية
٤. دور المرجعية الدينية في تأصيل الهوية الوطنية العراقية ١٩١٤ - ٢٠١٤ ١٣٥
- أ. م. د. علي جاسم محمد التميمي
أ. م. د. سعد علي حسين التميمي
٥. دور المرجعية الدينية في تأسيس الدولة العراقية ١٩٢١ ١٦٣
- أ. م. د. عماد عبدالعزيز يوسف / كلية التربية الأساسية- جامعة الموصل
م. م. أمين غانم الحفو / كلية التربية الأساسية- جامعة الموصل

٦. دور المرجعية الدينية في حفظ وحدة العراق (دراسة في فتاوي العلماء اليزدي والشيرازي

والسيستاني) ٢٢٩

د. ثامر مكي علي / كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

٧. مرجعية الشيرازي ودورها في تعزيز الهوية الوطنية..... ٢٧٩

م.م. عقيل فالح سلمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتاحية العدد

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التحية والتسليم على النبي الهادي الأمين أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين...

وبعد:

ان الكتابة عن أي شخصية كانت ليس بالأمر السهل، لأن اختيارها يتوقف على أهميتها المؤثرة ضمن المجتمع في مجالاته الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية، كما ان قوتها وتأثيرها يرتبط بالبيئة التي عاشت فيها والعلوم التي تلقتها سواء من حيث نوعيتها او طريقة ايصالها من قبل الأساتذة المختصين، بحيث أصبحت مفردات تلك العلوم والمناهج المختلفة أساس حياته العلمية في وقت تتمتع به تلك الشخصية من الذكاء والفطنة، التي تجعلها مؤثرة بعلومها على الطلبة، الذين يصبحون بدورهم مؤثرين في مجتمعاتهم هذا الوصف ينطبق على شخصية دينية وسياسية، أدت دوراً بارزاً ومؤثراً في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، وهي شخصية المرجع الديني الأعلى الميرزا محمد تقي الشيرازي قدس سره (نيسان ١٩١٩ - اب ١٩٢٠)، زعيم الثورة العراقية ومفجر شرارتها الأولى^(١).

اذ نشأ قدس سره نشأة فكرية بين اسرة، اتخذت من العلم وطلب المعرفة منهجاً لها، وهذا ما جعلته ذو قدرات ذهنية عميقة في مختلف العلوم.

(١) الطهراني، اغا بزرك، طبقات اعلام الشيعة (نقياء البشر في القرن الرابع عشر)، ج١٣، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٦١.

كان طلب العلم سبباً رئيسياً في هجرته المتعددة، بدءاً من هجرته الأولى من شيراز الى مدينة كربلاء ومنها الى سامراء وبعدها الى مدينة النجف الاشرف واستقراره اخيراً في مدينة سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام حتى وفاته عام ١٩٢٠، ويعد من اكابر العلماء واعاظم المجتهدين ومن أشهر مشاهير عصره في العلم والتقوى.

واثناء وجوده في مدينة سامراء تلقى علومه على يد السيد محمد حسن الشيرازي حتى صار من ابرز تلاميذه وبعد وفاة المجدد الشيرازي، تولى مهمة الإفتاء والتدريس، وقد خرج من مجلسه جمع من العلماء والمجتهدين البالغين رتبة الاجتهاد وذلك لدقة نظره وفكره^(١).

ومن هنا جاءت محتويات المجلد الثامن - العدد الخامس - السنة الثامنة، جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/ كانون الاول ٢٠٢٢م من مجلة السبب المحكمة لتسلط الضوء على الميرزا الشيرازي من حيث نشأته وسيرته العلمية ونشاطه الفكري وأساتذته وتلامذته فضلاً عن اثره في الحركة الوطنية العراقية، معتمدين على مصادر ومراجع وثقت حياة هذه الشخصية الكبيرة في جوانبها كافة.

والله الموفق

والحمد لله اولاً واخراً....

رئيس التحرير

(١) الطهراني، اغا بزرك، طبقات اعلام الشيعة (نقيا البشر في القرن الرابع عشر)، ج١٣، دار آحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٦١-٢٦٢.



الجزء الخامس:

دور المرجعية الدينية في تأصل الهوية

الوطنية العراقية (١٩١٤ - ٢٠١٤م)



دور المرجعية الدينية في تأصيل الهوية الوطنية بعد عام ٢٠٠٣

د.د. حسين عليوي ناصر الزيادي

جامعة ذي قار-كلية الآداب

Dr. Hussain Aliwi Nasser Al-Ziyyadi@yahoo.com

المستخلص

تعد الهوية الوطنية محصلة لحضارة الشعوب وموروثها الثقافي وعمقها الفكري وهي مجموعة من المشتركات التي تميز شعب ما عن غيره من شعوب العالم، وليس للهوية الوطنية ارتباط بالنظام السياسي القائم في وقت ما، بل ان بعض النظم السياسية اسهمت بشكل او باخر في سحق هذه الهوية، وهي المسؤولة عن تفتيت الهوية الوطنية الى هويات فرعية لا تلبى طموحات أبنائها، وقد شهد العراق قبل عام ٢٠٠٣ حالة من غياب تام لمفهوم جامع للهوية الوطنية، واستمر الحال على ذلك بعد عام ٢٠٠٣ فظهرت هويات حزبية ومناطقية وطائفية متعددة، وامام هذا التحدي الكبير وقفت المرجعية الدينية في النجف الاشرف في طليعة من تصدى لزرع الهوية الوطنية وديمومتها وتأصيلها، عن طريق بث روح الوحدة والتعايش السلمي بين مكونات الشعب العراقي.

ينطلق البحث من فرضية مفادها: لقد اسهمت المرجعية الدينية بعد عام ٢٠٠٣ في تعزيز الهوية الوطنية العراقية من خلال مواقفها وخطبها، اما الإشكالية التي يطرحها البحث تتمثل في: هل كان للمرجعية اثر واضح في خلق مفهوم جديد يسهم في تعزيز الهوية الوطنية والتأصيل لها، وقد تبين من خلال البحث ان المرجعية الدينية ورثت تركة ثقيلة فيما يتعلق بالهوية الوطنية وانها بعد عام ٢٠٠٣ استطاعت من خلال خطبها وسلوكها ان تعزز مفهوم الوحدة الوطنية وتجنب البلد خطر الانزلاق الى الحرب الطائفية.

كلمات مفتاحية: المرجعية الدينية، الهوية الوطنية، التعايش السلمي.

The role of religious authority in consolidating national identity after 2003

Prof. Hussein Aliwi Nasser Al-Ziyadi

Dhi Qar University-College of Arts

Abstract

National identity is the outcome of the civilization of peoples and their cultural heritage and intellectual depth. It is a set of commonalities that distinguish a people from other peoples of the world. The national identity has no connection with the existing political system at some point in time. Rather, some political systems have contributed in one way or another to the crushing of this identity, which is It is responsible for fragmenting the national identity into sub-identities that do not meet the aspirations of its people. Before 2003, Iraq witnessed a complete absence of a comprehensive concept of national identity, and this continued after 2003, when multiple partisan, regional and sectarian identities emerged. In the face of this great challenge, the religious authority stood up in Al-Najaf Al-Ashraf is at the forefront of those who tackle the cultivation of national identity, its permanence and rooting it, by spreading the spirit of unity and peaceful coexistence among the components of the Iraqi people.

.The research stems from the hypothesis that: “The religious authority after 2003 contributed to strengthening the Iraqi national identity through its stances and speeches. It was found through the research that the religious authority inherited a heavy legacy with regard to the national identity and that after 2003 it was able, through its speeches and behavior, to enhance the concept of national unity and avoid the country’s risk of slipping into sectarian war.

Keywords: religious authority, national identity, peaceful coexistence.

المقدمة

نجحت المرجعية الدينية العليا في افشال مخططات الذين يعملون على إثارة النعرات الهدامة، والتكفير الظالم، والمروق عن الأخلاق الحميدة، وبالتالي القضاء على الوحدة الوطنية، وادركت المرجعية الدينية العليا ان الهوية الوطنية تمثل خط الدفاع المتقدم والقوي لاعتبارات إشكالية ولذلك نلحظ ان الأعداء يحاولون دائماً إضعاف الهوية الوطنية، وتفتتها ليسهل لهم الوصول إلى وسط التفكير الايدلوجي، وكانت خطب المرجعية دائماً عابرة للطائفية والمذهبية والمناطقية، فهي تخاطب الشعب بكل اطيافه وتدافع عن مصالحهم بلا تفرقة فنراها تارة تطالب بحقوق المسيحيين وتارة اخرى تنادي بأنصاف الايزيديين، واستطاعت بفعل قاعدتها الشعبية ان تأصل لبناء منظومة وطنية متكاملة رافضة للطائفية والاشكال الاخرى المعاكسة للوطنية، فضلاً عن ذلك تقلدت المرجعية الدينية وظائف وواجبات عديدة جعلتها تعكس روح الرسالة المحمدية، ومارست الأدوار والمواقف والمراحل ضدّ حركة الانحراف والتدهور.

لقد رعت المرجعية الدينية العليا الحكومات المتعاقبة على السلطة من يوم سقوط النظام البائد في العراق ولحد وقتنا الحاضر بالتوجيه والنصيحة والإرشاد، والملاحظات القيّمة التي تصبّ في مصلحة الأمة والوطن، وبما ينفع المسار السياسي في اللحظات السياسية الحاسمة التي تمرّ على البلاد، بما فيها من مأسٍ وأحزان، وخاصة فيما يتعلّق بتردي الوضع الأمني، فقد كان وما زال بحق صمام الأمان في عدم انجرار البلاد إلى حرب طائفية مؤلمة تحرق الأخضر واليابس، رغم الاعتداءات الصارخة التي انصبت على العراقيين وباستمرار من التكفيريين والظلاميين أتباع

أزلام صدام، وترويع الأهالي على اختلاف الصُّعد، من قتلٍ وذبحٍ وسلبٍ ونهبٍ، وتهجيرٍ بالقسر، لكن المرجعية الدينية ومنذ عام ٢٠٠٣ لم تكن جزءاً من النظام السياسي وكان موقفها محايد وعلى مسافة واحدة من الجميع، ولم يكن لها تدخل في جزئيات الامور السياسية، علماً أن بعض الساسة حاول ان يستميل المرجعية او يبين للشعب ان المرجعية تؤيده وتدعم مواقفه وسياساته، لكن الحقيقة ان المرجعية براء من كل ذلك.

اشكالية البحث

ان الإشكالية التي يطرحها البحث تتمثل في سؤال مفاده: هل يوجد مفهوم حقيقي للهوية الوطنية في العراق؟ وهل كان لدور المرجعية الدينية اثر واضح في خلق مفهوم جديد يسهم في تعزيز تلك الهوية، وماهي الطرق والاساليب التي استطاعت المرجعية الدينية من خلالها ان تأصل لمفهوم الوطنية والتعايش السلمي، وتمت الاجابة على ذلك من خلال تحليل مضمون خطب الجمعة لمعتدي المرجعية. وكان الاساس البحثي لهذه الدراسة هو العطاء الفكري اللامحدود للمرجعية وما صدر عنها من تعليمات عبر الفتاوي والتعليمات والمواظظ، لذا فقد كان لها الحضور الكبير في هذه الدراسة التي تسلط الضوء بصورة موضوعية وشاملة ومركزة على دور المرجعية الدينية بعد عام ٢٠٠٣.

مهددات الهوية الوطنية في العراق

ان من أخطر المراحل التي تمر بها الدول هي ابتعاد الناس عن الشعور الوطني بسبب الظلم والقمع والتهميش والفقر والحرمان، وكيف ينمو الحس الوطني والمواطن يرى استئثار فئة قليلة بمقدرات الشعوب كما هو الحال في العراق ابان

سيطرة عائلة وأقارب راس السلطة آنذاك، مما ساهم في بروز مشاعر العداة للحكومة بشكل عام والذي أنعكس بعد فتره طويله من الممارسة المستبده والقاسية الى حاله من اللامبالاة والابتعاد عن هموم الوطن، مما سبب نشوء أحساس بالقنوط لدى المواطن، وأن الوطن بات يشكل عبئاً ثقيل عليه بسبب الحروب المجنونة من قبل رأس النظام.

ولم تكن الحكومات التي تعاقبت على الحكم بعد ٢٠٠٣ افضل حالاً، فقد اسهمت تلك الحكومات من حيث تدري او لا تدري في تنمية الحزبية و المناطقية والطائفية وفشلت تلك الحكومات فشلاً ذريعاً في بناء الهوية الوطنية ولم تقف المرجعية الدينية موقف المتفرج بل اكدت في خطبها على مفردات الوطن والوطنية وبشكل ملفت للنظر، واصبحت وحدة النسيج الوطني العراقي من اكبر هموم المرجعية^(١).

تعد الحوزة العلمية مؤسسة علمية متخصصة في دراسة العلوم الفقهية الاسلامية، واجمعت المصادر التاريخية الى إن الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين الطوسي، أول من أسس حوزة علمية بالنجف الاشرف، والسبب الذي دعاه الى ترك سكنه محلة الكرخ في بغداد والتوجه الى النجف هو كثرة المضايقات التي تعرض لها، ولاسيما بعد وصول طغرل بيك اول ملوك السلاجقة الى بغداد عام ٤٤٧هـ - ١٠٢٦م، فقد كثرت الفتن، وراح ضحية تلك الفتن مكتبتان للشيخ الطوسي من أغنى المكتبات في ذلك العصر، التي كانت عامرة بأمهات الكتب

(١) للمزيد حول مفاهيم الهوية الوطنية ينظر: احمد غالب محي جعفر الشلاة، الهوية الوطنية العراقية إشكالية البناء والتطور، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد، ٢٠١٠.

المخطوطة، التي قاربت من عشرة آلاف مجلد، ولذلك قرر الذهاب الى الكوفة ثم الى النجف مؤسساً على أرضها النواة الأولى للحوزة العلمية عام ١٤٤٨هـ-١٠٢٧م^(١). ان ابرز ما تتصف به المرجعية الدينية هو العمق الفكري والقراءة الحكيمة للأحداث، والتنبيؤ الواقعي بالأحداث، فضلاً عن الزهد في الدنيا، وهذا الامر جعل المجتمع مرتبطاً بها ارتباطاً روحياً قوياً على مر الازمان، ويستجيب سريعاً لما يصدر عنها من توجيهات، على الرغم من انها لا تمتلك أي سلطة تنفيذية، ولا شك ان التوفيق الالهي والعناية الربانية كانت حاضرة في كل توجهات المرجعية لان عملها يستند الى اسس رصينة خالصة لوجه الله تعالى.

موقف الاحتلال من المرجعية

حاول المحتل بكل قواه ومن خلال وسائله الاعلامية ان يزحزح ثقة الشعب بمرجعياته الدينية، لانه (أي المحتل) يعلم ان المرجعية تقف حجر عثره امام نواياه واطماعه التوسعية، فقد كتب نوح فيلدمان، أستاذ القانون بجامعة هارفارد الذي ساعد في صياغة قانون الإدارة الانتقالية، أن فتاوى المرجعية في النجف الاشرف موضع اهتمام العراقيين، وكتب أن تداخلات المرجعية تحظى بقبول واسع من كل الاطراف، وقد جرى تصوير السيد المرجع علي السيستاني (دام ظله الوارف) على أنه يتمتع بصفات شبه ميكافيلية، إذ عمل خلف الكواليس في سبيل تعظيم سلطته الشخصية^(٢)^(١)، وقد حاولت قوى الاحتلال ومن يقف خلفها ان تزعزع نظرة

(١) علاء عزيز كريم، موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٢٤، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، ٢٠٠٧، ص ٥.

(2) January, 'Times Seminary Najaf', «Hussein Adnan see, Iraq within from clerics the of suspicions Regarding (4).2013, 19 August, Monitor-Al» Opposition Iraqi in Role Plays

المجتمع لمرجعته الدينية لكنها فشلت فشلاً ذريعاً، إذ يؤكد تاريخ المرجعية الدينية على انها ومع الاحداث والمواقف القاسية التي مرت بها بقيت صامدة تواصل توعيتها ونشاطها وارتباطها، فقد أدت أثراً مهماً لا على مستوى المسلمين الشيعة او المسلمين عامة، بل على المستوى الانساني العالمي، وفي هذه الورقة البحثية محاولة متواضعة من الباحث لتسليط الضوء بشكل مركز على بعض مواقف المرجعية الدينية من التطورات الحالية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ والذي يمكن اجماله بعدة محاور رئيسة هي:-

اولاً: رفض وجود المحتل بعد عام ٢٠٠٣

فقد تمكنت المرجعية الدينية العليا في الأشهر التي أعقبت الغزو الأمريكي، من تشييد مكانة فريدة لنفسها بوصفه فاعلاً غير تابع للدولة، فقد رفضت على الدوام مقابلة ممثلي الولايات المتحدة، وأصدرت بيانات عدة بشأن السياسة الأمريكية في العراق. وبالإضافة إلى فتاواها بشأن الانتخابات والعملية الدستورية، أعربت عن قلقها الشديد إزاء أهداف قوات الاحتلال وأشارت الى ان العراق يجب أن يكون دولة ذات سيادة، متحررة من التدخل الأجنبي^(١).

كان التأكيد على رفض الاحتلال بكل أنواعه من أبرز اولويات المرجعية بعد الاحتلال الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣، وقد بعثت المرجعية الدينية رسالة الى كل العراقيين أفادت بعدم شرعية الاحتلال عن طريق موقفه الراض لمقابلة اي من القادة او الجنرالات الامريكان ومنهم الحاكم المدني بول بريمر، كما كان دائم

(1) Caroleen and، Sanchez Jose، McSherry Patrice. J، Ehrenberg John in statements selected See) 1.2010، Press University Oxford: York New and Oxford (Papers Iraq The، Sayej Marji.1

الشعور والتعبير عن القلق من تواجدهم واهدافهم وتدخلاتهم، ولكن المرجعية ترى أنّ المعركة من أجل استقلال العراق بحاجة إلى العقلانية، وإلى مرجعية سياسية وطنية ودينية، تتضافر جهودهم مع كلّ أطراف الشعب واتجاهاته السياسية والاجتماعية، ومن خلال استخدام الأساليب المتحضرة والديمقراطية والمدنية سبيلاً لتجنب العراق المزيد من الدماء، وطريقاً لنيل الاستقلال الكامل لكلّ أرض العراق، إذ ترى المرجعية ضرورة أن يعمل كلّ المعنيين بالمسألة الاستقلالية وحركتها الوطنية بكلّ السبل والإمكانات، من أجل إخراج الاحتلال بأقل ما يمكن من الخسائر البشرية والسياسية، وهو رأي أسهم في حفظ دماء العراقيين في نهاية المطاف وواصل العراق الى بر الامان عبر مراحل قادتها المرجعية الدينية بكل حكمة واقتدار.

ثانياً- الحفاظ على الهوية الوطنية

أكدت المرجعية الدينية على ضرورة التعايش الأخوي السلمي بين الجميع للحفاظ على الهوية الوطنية وبذل كل الجهود لتحقيق وحدة هذا الشعب وتماسكه، كما جاء في خطبة الجمعة (٢٣ / ٢ / ٢٠٠٦) في الصحن الحسيني الشريف مانصه: "أن المرجعية الدينية العليا وعلى لسان مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) تؤكد على الجميع أن لا يبلغ هذا المصاب الجلل مبلغاً يجرحهم الى اتخاذ ردود أفعالهم قد تجر البلاد الى فتنة طائفية وتحقيق ما يريده أعداء هذا الشعب من إيقاع الاقتتال بين الشيعة والسنة وإغراق البلاد في بحار من الدماء ومن ثم جرّها الى دوامة الفوضى وعدم الاستقرار، ودأبت المرجعية الدينية العليا في النجف على التأكيد على هوية العراق الإسلامية التي تمثلها وحدة المسلمين بكل

طوائفهم، على أننا أحوج ما نكون في هذه الأيام العصبية الى التعايش الأخوي السلمي بين الجميع ونبذ العنف وبذل كل الجهود للحفاظ على وحدة هذا الشعب وتماسكه، وضرورة الوعي والإدراك لحقيقة أن الذي فعل هذه الجريمة الشنعاء والذي سبقها من مسلسل التفجيرات والاعتيالات والقتل ليس من أهل السنة بل هو عدو مشترك للشيععة والسنة على حدا سواء ولا يريد الخير للجميع بل الذي يهدف إليه هو تمزيق هذا البلد وتشيت أوصاله. كما أكدت المرجعية في النجف الاشرف على الجميع من الشيعة والسنة علماء وخطباء ومفكرين ومثقفين وعامة المواطنين على التحلي بضبط النفس والحكمة والصبر على هذه الفجائع وهذه المصائب التي تحل بنا جميعاً، وحرمت التعرض لمساجد أهل السنة وأماكنهم المقدسة وأرواحهم وممتلكاتهم بأي سوء وفي نفس الوقت لابد أن يشعر الجميع ومن دون استثناء بضرورة تحمل المسؤوليات الكاملة لإيقاف نزيف الدم ومسلسل الأعمال الإجرامية الذي يستهدف الأماكن المقدسة والمرائد المطهرة واغتتيال المواطنين الأبرياء كما أكدت على ضرورة تحمل الحكومة وأجهزتها الأمنية خاصة لمسؤوليتها في حماية الأماكن المقدسة.

كانت المرجعية الدينية العليا على مدار السنوات التي تلت سقوط النظام البعثي أباً لكل العراقيين، فبعد موقفها البطولي من أحداث الفتنة الطائفية بين أبناء الشعب العراقي عام ٢٠٠٦ بعد أحداث العنف التي عصفت بالبلد جراء تفجير المرقدين الشريفين في سامراء، ضربت مرة أخرى مثلاً رائعاً في التعايش السلمي حينما رفضت الاعتداء على الكنائس المسيحية ودور العبادة للأديان والمذاهب الأخرى عام ٢٠٠٤ و عام ٢٠٠٧، والذي وضحت شجبتها واستنكارها الاعتداءات المتكررة على دور عبادة المسيحيين في العراق كونها مكوناً أصيلاً من مكونات

الشعب العراقي وأوصت باحترام حقوق المواطنين المسيحي وغيرهم من الأقليات الدينية في العراق وحقهم المشروع في التعايش والاستقرار. كما أدت المرجعية الدينية دوراً كبيراً في إطفاء نار الفتنة الطائفية التي كادت أن تضرب اطنابها في العراق بعد حادثتي تفجير مرقدَي الإمامين العسكريين في سامراء مرة أخرى في عام ٢٠٠٧ وحادثة جسر الأئمة في مدينتي الأعظمية والكاظمية عام ٢٠٠٥ وعام ٢٠٠٨ والتي صادفت في يوم استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام)، من خلال حكمتها وإدراكها لحجم المؤامرات والفتن التي تحاك ضد أبناء الشعب العراقي، ففي الوقت الذي شجبت فيه المرجعية الدينية اشد أنواع الاستنكار لهذه الحادثة المروعة التي راح ضحيتها مئات الأبرياء العزل، شددت المرجعية الدينية العليا على ضرورة إدراك الشعب العراقي لحجم الفتنة الطائفية وضبط النفس ودافعت المرجعية عن الشعب العراقي بكل اطيافة، وكانت المرجعية الدينية العليا على مدار السنوات التي تلت سقوط النظام السابق أباً لكل العراقيين، فبعد موقفها البطولي من أحداث الفتنة الطائفية بين أبناء الشعب العراقي عام ٢٠٠٦ بعد أحداث العنف التي عصفت بالبلد جراء تفجير المرقدَين الشريفين في سامراء، ضربت مرة أخرى مثلاً رائعاً في التعايش السلمي حينما رفضت الاعتداء على الكنائس المسيحية ودور العبادة للأديان والمذاهب الأخرى عام ٢٠٠٤ و عام ٢٠٠٧، والذي وضحت شجبتها واستنكارها الاعتداءات المتكررة على دور عبادة المسيحيين في العراق كونها مكوناً أصيلاً من مكونات الشعب العراقي وأوصت باحترام حقوق المواطنين المسيحي وغيرهم من الأقليات الدينية في العراق وحقهم المشروع في التعايش والاستقرار^(١).

(١) بيان المرجعية الدينية حول الاعتداءات على الكنائس المسيحية في ٢ اب ٢٠٠٤، ٢

ثالثاً: الحفاظ على الدولة بعد عام ٢٠٠٣ :-

حملت المرجعية منذ سقوط النظام البعثي البائد مسؤولية انهيار مؤسسات الدولة العراقية وانعدام الامن والاستقرار وتفاقم الجريمة وتلف الممتلكات العامة حرقاً ونهباً وتدميراً وكانت لها مواقف في هذا الشأن تمثل بماياتي:

١. المحافظة على الكيان الاجتماعي وتحريم القتل واخذ القصاص من اذلام النظام السابق بايكال امرهم الى المحاكم المختصة.
٢. المحافظة على املاك الدولة ودوائرها وتحريم بيع وشراء الآثار او تداولها وضرورة عودتها الى المتاحف الذي سرقت منها، كما دعت المرجعية الى الحفاظ على الممتلكات العامة من المؤسسات الحكومية كالجامعات والمستشفيات والدوائر وغيرها لاعادتها لاحقا الى الجهات الحكومية المختصة.
٣. تحريم استغلال الابنية الحكومية والمقرات التابعة للنظام السابق من قبل أي جهة، واحالة كافة الامور الى القانون العراقي النافذ وألزم الناس بالالتزام به منعا للفوضى والتجاوز، وقد تكرر ذلك في مواضع شتى، وقد كانت من اول الداعين والمتصددين الى حالات الفساد الاداري والمالي التي تفتشت في البلاد عقب سقوط النظام البائد بسبب المحاسبة وقد حرم التجاوز على الاموال العامة من قبل الموظف الذي يتجاوز على القانون ولا ينتظم في دوامه ويتخلف عن ادائه.

رابعاً: الحث على التعايش السلمي

يتضح جيداً من خلال فتاوي ولقاءات المرجعية مع المكونات المختلفة من أبناء الشعب على اهتمام المرجعية الدينية بمسألة التعايش السلمي، وهذا الاهتمام لا يمكن قراءته بمعزل عن الظروف التي مرت بها المرجعية لاسيما ما عانته أبان حكم

النظام السابق. وبعد ان حدث التغيير عام ٢٠٠٣، ومأفرزته العملية الديمقراطية من نتائج تفرض بتصدي الشيعة لمنصب رئاسة الوزراء، بقي الشيعة مستهدفون بشكل يومي، وانتهى هذا الاستهداف أخيراً بهجوم داعش ٦/١٠/٢٠١٤ على الشيعة أولاً في المناطق الشمالية معلنين ان الهدف وراء ذلك هو النجف الاشرف وكربلاء المقدسة بشكل اساس، وكما قال أبو محمد العدناني وهو أحد أبرز قيادات تنظيم داعش والمتحدث باسمه في كلمة نشرت على مواقع الكترونية تعنى بأخبار الإرهابيين الذي أكد فيه عزم التنظيم على تصفية الحساب في كربلاء والنجف، وهذا مما فرض على المرجعية الدينية مسؤوليات كبيرة منها مراقبة العملية السياسية والعمل على رعاية النسيج العراقي، وهذا ما تطلب توازناً كبيراً في النظر إلى ذلك، إذ ان المسؤولية تحولت إلى قضية قلق من ردة الفعل الانتقامية، والحذر من استغلال صمت وصبر الأكثرية، فتحملت المرجعية ثقل المسؤولية وبدأت بتوجيه التوصيات المستمرة لرعاية العملية الديمقراطية التي ترعى جميع المكونات، بدءاً من إقامة دولة مدنية تحفظ فيها الحقوق من خلال الصندوق الانتخابي إلى عملية المحافظة على القرار المشترك وعدم تهيمش احد.

المرجعية الدينية برهنت في الاعوام التي تلت الاحتلال الامريكي وفي أشد الظروف قساوة أنّها بعيدة كلّ البعد عن أي ممارسة طائفية، وهي صاحبة المقولة الشهيرة عن أهل السنة: «لا تقولوا إخواننا بل قولوا أنفسنا».

خامساً- التأكيد على الإرادة الوطنية

لقد التزمت المرجعية الدينية العليا في تداخلاتها السياسية، باتباع إرادة الشعب العراقي وهي صيغة استعملوها في كثير من الأحيان، وبذلك عدت العملية السياسية شرعية ولم يكن خطابهم بشأن الديمقراطية مستمداً من الغرب او الشرق كما قد تتصور بعض الأطراف الخارجية، بل كان مفعماً بالإشارة إلى المفاهيم الجامعة من قبيل الوحدة الوطنية، والتعددية، والشرعية، وصناديق الاقتراع، وحقوق الإنسان. وكانت سبابة بنحو خاص على معالجة المشكلة التي جعلت معظم العراقيين يتبنون مفهوم نظام الحكم الطائفي وعدت ذلك انتكاسة للهوية الوطنية^(١).

سادساً: تحديد ملامح نظام الحكم في العراق

عندما سئل سماحة المرجع الأعلى السيد السيستاني (دام ظله) عن شكل نظام الحكم في العراق أجاب: «النظام الذي يعتمد مبدأ الشورى والتعددية واحترام حقوق جميع المواطنين»، وأجاب في مورد آخر: «شكل العراق الجديد يرسمه الشعب العراقي بجميع مذاهبه وقومياته وآلية ذلك هي الانتخابات النزيهة والشفافة»^(٢)، وفي هذه الاجابة كشف واضح عن رأي المرجعية وهدفها.

ترتكز الدولة في فهم المرجعية الدينية العليا على مطلب الحرية، ففي يقين المرجعية ان العراق عاش التحولات السياسة لعقود طويلة، وان المرجعية من

(١) كاروين مرجي صافغ، المرجعية الدينية والموقف الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣، ترجمة نصر محمد علي، مراجعة حسن ناظم، دار الفكر للحوار، ٢٠٢٠، ص ٦٩.

(٢) حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن مكتب السيد السيستاني، ٣٠١-٣٠٢

موقع المراقب والمجتهد العارف بأحوال الناس، تُعتبر الدولة حاضنة للحريات، والقوانين محددات إجرائية؛ لذلك يولي المرجع أهمية كبيرة لأهداف وتطلعات الإنسان في العراق، ويعمل ما أمكن الجهد لأن تكون الدولة بخدمة المجتمع لا العكس، وهو بذلك يدعو إلى سيادة الدولة ونفوذ القانون ومحاربة الأفكار المسيئة لمكونات المجتمع العراقي. وهو يتعامل بذلك مع نمط الدولة الوطنية التي لم يؤسس لها الاجتهاد الفقهي، بل جاءت هي إليه تستدعيه لأجل الدعم والإشراف الأخلاقي. فالدولة العراقية بعد (٢٠٠٣م) أفسحت المجال أمام فقيه النجف لبلورة السياسات والاعتماد عليه في دعم مسيرة السياسة، كون الدولة في هذه المرحلة لا تتعارض مع النجف ولا تختلف مع الفقيه العارف بأنّ الزمن السياسي العراقي هو زمن الوطنية، والسيد السيستاني في ذلك إنّما يجمي التجربة العراقية وصيانة حقوق الشعب العراقي دون انغلاق على الحكم إن لم يعلن الإسلام كياناً للدولة، وأنّ الأسباب التي تدعوا المرجعية لدعم هذه التجربة، هي أنّ السلطة أصبحت شرعية بصندوق الاقتراع وليست قهرية، كما أنّها تعمل وفقاً لدستور ارتضاه الشعب^(١).

أكدت المرجعية الدينية على ضرورة التعايش الأخوي السلمي بين الجميع للحفاظ على الهوية الوطنية وبذل كل الجهود لتحقيق وحدة هذا الشعب وتماسكه، كما جاء في خطبة الجمعة (٢٣ / ٢ / ٢٠٠٦) في الصحن الحسيني الشريف مانصه: «أنّ المرجعية الدينية العليا وعلى لسان مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) تؤكد على الجميع أن لا يبلغ هذا المصاب الجلل مبلغاً

(١) عمار البغدادي، مبادئ الدولة والقيادة لدى مراجع الحوزة العلمية (مقاربة في رؤى الخميني - النائيني - الصدر - السيستاني)، مركز الهدى للدراسات الحوزية، ٢٠٠٨م.

يجرهم الى اتخاذ ردود أفعالهم قد تجر البلاد الى فتنة طائفية وتحقيق ما يريده أعداء هذا الشعب من إيقاع الاقتتال بين الشيعة والسنة وإغراق البلاد في بحار من الدماء ومن ثم (٣٤) جرهما الى دوامة الفوضى وعدم الاستقرار^(١).

سابعاً: حفظ دماء العراقيين

من اولويات المرجعية الدينية الحفاظ على ارواح العراقيين وممتلكاتهم، وكانت المرجعية صمام الامان الذي يعمل على منع الفتن الطائفية لاسيما بعد تفجير المرقدين المقدسين في سامراء، وهذا يؤكد الحرص الشديد على دماء ابناء العراق ومحاولة الابتعاد عن ما يؤدي الى اراقة قطرة دم واحدة..

ومهما بلغ الخلاف بين الفئات والطوائف المذكورة فليس من الحكمة إلغاء بعضها للبعض الاخر وتجاهلها، والتعدي عليها واخذ حقوقها، لأن ذلك يكون سبباً:

١. لتعصب الطرف الذي تؤخذ حقوقه - مهما كان ضعيفاً - لواقعه، وتمسكه به، والاستجابة لدعوات الكره، بنحو يزيد من فجوة الخلاف، ويمنع من فرص التلاقي والتقارب والحوار.
 ٢. يؤدي إلى تأجيج العواطف، واستحكام العداة والحقد، بنحو قد ينفجر عن صراع دموي، وفتنة عارمة تضر بالجميع، وتدمر البلد وتفتت وحدته.
 ٣. يكون ثغرة ومجالاً ينفذ منها الأعداء والذين يرمون بهذا البلد سوءاً.
- وقد اصدرت المرجعية بياناً بعد حادثة تفجير سامراء ما نصه: «لقد اراد المجرمون التكفيريون الذين ارتكبوا ذلك الاعتداء الاثم ان يجعلوا منه منطلقاً

(١) نص خطبة الجمعة للشيخ عبد المهدي الكربلائي في كربلاء المقدسة في ٢٣ شباط ٢٠٠٦

لفتنة طائفية شاملة في العراق، ظناً منهم انها تقر بهم من تحقيق اهدافهم الخبيثة في هذا البلد العزيز، وذلك بعد ان عجزوا عن اشعال نار الفتنة فيه لأكثر من عامين منذ بدء الإحتلال، بالرغم من كل ما ارتكبه من مجازر وحشية في مختلف الاماكن ولاسيما في المدن المقدسة النجف وكربلاء والكاظمية الى ان يصل وكما ندعو المسلمين وهم يجيئون هذه المناسبة الحزينة ويعبرون عن مشاعرهم الجياشة تجاه ما تعرض له ائمتهم عليهم السلام من هتك واعتداء ان يراعوا اقصى درجات الانضباط ولا يأتي منهم قول او فعل يسي الى المواطنين من اخواننا اهل السنة الذين هم براء من تلك الجريمة النكراء ولا يرضون بها ابداً.

ومن الامثلة التي تدلل على حرص المرجعية على الحفاظ على أرواح الأبرياء، ما حدث في مدينة النجف الأشرف في آب ٢٠٠٤م، إذ دخلت إحدى الجهات المسلحة حالة من المواجهة والصراع والاشتباك المسلح مع قوات الاحتلال، وقد اتخذت من حرم الإمام علي عليه السلام مقراً لها، وأرادت القوات العسكرية الدخول إلى النجف الاشرف بمساندة القوات الأمريكية؛ مما يعني انتهاك حرمة المدينة المقدسة وما لها من مكانة في نفوس المسلمين عموماً والعراقيين بوجه خاص، بادر السيد إلى حلّ النزاع بعد لقاءات متعددة بين الأطراف المتنازعة قام بها ممثلون عن سماحته، وقد أثمرت جهوده المباركة بحل الأزمة بعد أن عجز الكثيرون عن حلحلتها واستطاعت المرجعية بحكمتها ان تحافظ على أرواح المواطنين والمقاتلين ايضاً وعودة الاستقرار والأمن للمدينة المقدسة.

ثامناً: المطالبة بالإصلاحات والالتزام بالقانون

« كانت هناك توجيهات مستمرة للحكومات التي تعاقبت على الحكم لتصحيح مسيرة الأداء الحكومي، وقد لوحظ وبشكل واضح ان المرجعية الدينية أغلقت الباب بوجه السياسيين وكل من يريد استغلال اسمها ومنعت من استقبالهم احتجاجاً على عدم الإجابة للمطالب التصحيحية لمسيرة السلطة وهو امر جعلها تمتنع عن تناول الجانب السياسي في بعض خطابها، وقد اكد سماحة السيد السيستاني (دام ظله) مراراً على سوء استغلال السلطة وعلى ضرورة مكافحة الفساد من رؤية متقدمة زمنياً لأموال بات العراق يعاني منها الان، وشدد على ضرورة تمكين القضاء من ممارسة دوره في محاسبة الفاسدين ومعاقبتهم»^(١). واخرها توجيه اية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله الوارف للساسنة العراقيين بضرورة التفتت الى مطالب المتظاهرين في ظل التظاهرات التي عمت البلد بعد ١٠/١٠/٢٠١٩.

ان المرجعية الدينية اسهمت خلال الاعوام العصيبة الماضية في حقن دماء العراقيين، وكانت طوال تلك الاعوام، حارساً للسلم الأهلي في العراق، ومدافعاً عن وحدة المجتمع. وعلى الرغم من ان آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله الوارف، وهو رجل دين وليس رجل سياسة، فقد كشف عن عمق سياسي، وأكد على مواقف غاية في الدقة، خفت كثيراً من غلو الهياج العاطفي الغرائزي، الذي أوججته قوى متطرفة، في الشارع العراقي، لاسيما بعد تفجير مرقد الامامين العسكريين (عليهما السلام)، ومواقف المرجعية تسامت كثيراً عن ذكر اية عبارة تتعلق بالطائفية من قريب او بعيد.

(١) حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن مكتب السيد السيستاني، ٣٠١-٣٠٢

تاسعاً: المشاركة في الانتخابات

أكدت المرجعية على مسألة الانتخابات ومنها البيان الذي أصدره مكتب السيد السيستاني دام ظلّه بشأن الانتخابات التشريعية ” إن الانتخابات النيابية تحظى بأهمية كبرى ولا سيما في هذه الظروف العصيبة التي يمر بها العراق العزيز، وهي المدخل الوحيد لتحقيق ما يطمح إليه الجميع من تحسين وأداء السلطتين التشريعية (مجلس النواب) والتنفيذية (السلطة) ومن هنا فإن سماحة السيد دام ظلّه - يرى ضرورة أن يشارك فيها جميع المواطنين من الرجال والنساء الحريصين على مستقبل البلد وبنائه وفق أسس العدالة والمساواة بين جميع أبنائه في الحقوق والواجبات، مؤكداً على أن الامتناع عن المشاركة لأي سبب كان سيعطي الفرصة للآخرين في تحقيق أهدافهم غير المشروعة ، «إن المرجعية الدينية العليا في الوقت الذي تؤكد على عدم تبنيتها لأية مشاركة في الانتخابات فأنها تشدد على ضرورة أن يختار الناخب من القوائم المشاركة ما هي أفضلها واحرصها على مصالح العراق في حاضره ومستقبله وأقدرها على تحقيق ما يطمح إليه شعبه الكريم من الاستقرار والتقدم، ويختار أيضاً من المرشحين في القائمة ما يتصف بالكفاءة والالتزام بثوابت الشعب العراقي وقيمه الأصيلة»^(١).

(١) للمزيد ينظر صلاح عبد الرزاق، المرجعية الدينية في العراق والانتخابات البرلمانية وتعزيز الوحدة الوطنية، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٠م

عاشراً: الموقف من الارهاب

بينت المرجعية المقدسة موقفها من الارهاب بشكل قاطع لا يقبل التأويل، وراي المرجعية يتمثل بماياتي:-

١. إن الإرهاب لا يمثل الإسلام الحقيقي بأي بوجه.
٢. ان البلدان التي تصدر الإرهاب ليس من البعيد ان تبلى به.
٣. لا بد من تشكيل اللجان التحقيقية الدولية لمتابعة الجرائم التي لحقت بحق الابرياء.

احدى عشر:- اهتمام الحوزة بالقضية الاجتماعية

المرجعية العلمية بعلمائها أريد أن يكون لها دور في حركة الأمة وبنائها الاجتماعي، فالإنسان عنصرٌ مهمٌ ورئيسي في الرسالة الإسلامية والامة لديها مشاكل اجتماعية حقيقية، والرسالة الإسلامية رسالة كاملة، وفيها معالجة لكل مشكلة، والحوزة والمرجعية هي التي تقوم بذلك كله، من هنا تحتاج إلى الانفتاح على الأمة لحل مشاكلها والرقى ببنيتها الاجتماعية. لذلك عاجت المرجعية وبشكل واضح العديد من المشاكل كالطلاق والجريمة والحسد والنزاعات ووالخ.

اثنتا عشر: فتوى الدفاع الكفائي

«تعد فتوى الدفاع الكفائي من أبرز المواقف التي لا يمكن ان يتجاوزها التاريخ وهي تضاف الى مواقف المرجعية من الاحداث الكبرى التي مر بها العراق ان لم تكن أبرزها»^(١) وهذا ليس بجديد على المرجعية الدينية فقد حدث هذا عام ١٩٢٠ ابان

(١) للمزيد حول تلك الاحداث ينظر:- عباس جعفر محمد الإمامي، الدور السياسي للمرجعية الدينية في العراق الحديث، دار العلم للنابهين، بيروت، ٢٠١١م؛ عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، بيروت، ١٩٧٢م.

الغزو البريطاني للعراق، ولم تكن فتوى الجهاد رد فعل من اجل الحرب والاقتيال، إذ لا تؤمن المرجعية بعسكرة المجتمع ومنطق القوة، ونلاحظ في مجمل طروحات ومتبنيات المرجعية انها تدعو للحوار السليم والانفتاح والحكمة والسلم، لذلك يمكن تصنيف الفتوى على انها (فتوى السلام) لان لها ابعاد انسانية كبيرة من خلال دعوتها الى تحرير الانسان والارض من بطش وقتل اعنى ارهاب عرفه العالم.

نتائج فتوى الدفاع الكفائي

ان من أبرز نتائج فتوى الجهاد الكفائي انها خاطبت جميع العراقيين بجميع طوائفهم:-

- ١- المرجعية تدعو للانخراط في صفوف القوات الامنية حصراً.
- ٢- كان البعد الوطني الوحيد هو الاقوى في مفردات فتوى الجهاد الكفائي، اذ ان الخطاب كان لعامة المواطنين وليس للمسلمين او الشيعة فقط.
- ٣- تصف المرجعية كل من يقتل في معارك الدفاع عن العراق بالشهداء، مهما كان انتهائه.
- ٤- اعطت الفتوى زخم كبير للقوات الامنية وعززت من الروح المعنوية لمختلف المؤسسات الامنية.
- ٥- لقد كان للجهاد الكفائي الذي أعلنته المرجعية الأثر الأكبر والحاسم في الحيلولة دون تقسيم العراق، ومنع داعش من التسلط على البلاد، وان تلك المهمة هي أشرف وأقدس المهام حيث الحفاظ على وحدة العراق، فاستطاعت المرجعية ممثلة بالمرجع السيستاني (دام ظله) ان توظف كثير من الممكنات العميقة التي تملكها قوته في صيانة وحدة العراق.
- ٦- منعت ارجاع العراق تحت البند السابع والوصاية الدولية.

- ٧- عززت الفتوى من القانون وهيبة الدولة واعطت دعم كبير للمؤسسة الامنية.
- ٨- اعطت امكانية لإصلاح المنظومة السياسية والامنية.
- ٩- حشدت المجتمع العالمي والمنظمات الدولية تجاه رعاية النازحين.
- أراد الكثير من الاعداء ان يحرف الفتوى المقدسة من خلال تصورها على انها قتال سني شيعي لكن حكمة وهدوء وحركة المرجع السيد السيستاني (دام ظله) استطاع إيجاد مساحة تأييد وغطاء سياسي محلي ودولي واقليمي لها، وهو يعرف ان العراق يدخل ضمن صراع إقليمي ودولي وعليه سعي لأبعاد العراق عن ذلك بكل الوسائل المتاحة، وقد نجح في ذلك الى حد كبير.

ثلاث عشر: الاهتمام بالنازحين وعوائل الشهداء

ومن الأدوار التي قامت بها المرجعية الدينية هي رعاية عوائل الشهداء والجرحى والمفقودين فهي لم تكتف بتقديم الاموال العينية بل شملتهم برعايتها الابوية وتابعت امورهم بشكل خاص، ولم تقطع في ارسال الوفود التي تمثلها الى جبهات القتال لزيادة الدعم المعنوي للمقاتلين.

وهنا يلحظ ان اغلب خطب الجمعة للمرجعية الدينية تؤكد على موضوعه الاهتمام بالنازحين، من المواطنين سواء المسلمين او الايزيديين او المسيحيين او الشبك، الذين فقدوا مساكنهم بسبب التنظيم الارهابي الذي قتل الكثير من الرجال، وسبى العديد من النساء، وتسبب في نزوح عشرات الآلاف من العوائل. وقد استقبل سماحة المرجع الاعلى السيد السيستاني وفد الطائفة اليزيدية الذي جاء معبرا عن مدى احترامه وتقديره لمواقف المرجع السيستاني (دام ظله الوارف) تجاه مأساة الأيزيديين «الأيزيديين أمانة في أعناقنا». فيما لفتت المرجعية الدينية «قادة المجتمع يجب أن يكونوا أكثر عقلانية حتى نتمكن من التعايش السلمي وعدم جر

المجتمع إلى الخلافات.. ان (٣٠) مبادئ وقيم الشعب العراقي قد أفشلت مساعي الأعداء في النيل من بلادهم»^(١).

ومن كلام المرجعية بهذا الخصوص «أوصيكم إخواني بالنازحين خيراً هؤلاء أبناء بلدنا هؤلاء نزحوا قسراً وتركوا ديارهم وأوطانهم ومدنهم، أوصيكم بهم خيراً، راعوا مشاعرهم وتعاملوا معهم بالحسنى، لا يصدر من أيّ واحدٍ منكم كلامٌ جارحٌ بحقّ أيّ نازح حتى لو صدر من البعض تصرّفات غير مقبولة، هؤلاء يعانون الشيء الكثير من الصعب جداً هكذا يترك مدينته يترك بيته يترك معاشه ورزقه ويعاني في هذه الغربية، نوصيكم بهم خيراً، الله تعالى سيفرّج عن هذا الشعب ويفرج عن النازحين ولكن يبقى شيء مهم، ما هو موقفنا في هذه المعركة التي ندافع فيها عن العراق وعن مقدسات العراق وأعراض المواطنين، ما هو موقفنا تجاه هؤلاء النازحين، هم إخواننا وأبناء بلدنا؟ لا بدّ أن تكون لنا وقفة معهم نعينهم نساعدهم بقدر ما لدى الإنسان من إمكانيات مالية أو حتى معنوية».

فلقد اولى مكتب المرجع السيد السيستاني اهتمام بالغ و شكل خلية ازمة داخل المكتب مهمتها الاساس تقديم المساعدات والمعونات المادية والعينية بمختلف المناطق التي تم تحريرها، علماً ان كل الجهود التي يقوم بها مكتب المرجع الاعلى من تقديم المساعدات والمعونات ماهي الا جهود وامكانيات من المرجعية الدينية ولا علاقة للسلطة بها، وان اولى حملات الاغاثة كانت لمدينة حديثة والبغدادية وكانت الظروف الامنية في غاية الصعوبة وتقديم المساعدات تحت النار واصعب الامور التي تواجهنا في استحصال الموافقات الامنية لتقديم نلك المساعدات فهنالك

(١) نص خطبة الجمعة للشيخ عبد المهدي الكربلائي في كربلاء المقدسة في ٣٠ حزيران ٢٠١٧

معاونة امنية كبيرة في تلك المناطق التي تحتاج المساعدات العاجلة دائماً ما تكون غير مؤمنة وندخل لها أحياناً بجهود شخصية ومجازفات كي نوصل تلك المساعدات للأهالي لان اغلب تلك المدن عانت بشكل كبير على المستوى الغذائي والصحي، وعن الية التوزيع المساعدات».

وتتضمن وأبرز المساعدات التي يتم تقديمها للنازحين بمختلف المحافظات تتضمن:

- ١- مواد غذائية متنوعة وحليب للأطفال.
- ٢- مساعدات مالية نقدية
- ٣- بطانيات وخيم وفرش وملابس.
- ٤- ارسال الجرحى للعلاج خارج العراق
- ٥- فتح مخيمات للنازحين.
- ٦- وجبات طعام مغلقة.

وفي هذا ذكر رئيس ديوان الوقف السني الدكتور عبد اللطيف الهميم ان دور المرجع السيد السيستاني في مواجهة داعش كان له الاثر الاكبر في وحدة العراق واعطاء الزخم الشعبي وعدم الانكسار ولولا حكمته لاقتطع داعش مساحات من ارض العراق، واننا كوقف سني لانذهب لمكان فيه نازحين الا ووجدنا جهود مكتب المرجع السيستاني قد سبقتنا في تقديم الخدمة.

اربعة عشر: الصمت الواعي

الاصل في عمل المرجعية هو صيانة الشأن المجتمعي إلا إذا تطلب الحال إن تتدخل المرجعية في صنع الدولة حينئذ تتدخل-استثناء-وتحت مقتضى الضرورة

لصنع (دولة تؤمن بحماية الجميع من خطر مصادرة حقوقهم السياسية و المدنية ومصادرة مصالحهم و تطلعاتهم وهذا ما حصل في مسألة كتابة الدستور العراقي بعد سقوط النظام السابق ٢٠٠٣)^(١)، لذا فالصمت في موارد عديدة لا يعني عدم متابعة المرجعية للأحداث وعدم تفاعلها معها، لكنها اقدر على تشخيص المواقف، وربما كان الصمت في بعض الموارد ابلغ واحجى.

تعمل المرجعية الدينية على وحدة المسلمين وجمع كلمتهم وتقف بالمرصاد لكل ظاهرة او اعتداء، كما تقوم بدور مهم في إصلاح شؤون المسلمين ومعالجة قضايا الامة، وتلتزم المرجعية موقف الصمت الواعي والمراقب الدقيق لكل الاحداث، لكنها لا تتدخل بشكل مباشر فموقفها اشمل واقوى واشد تأثيرا « إلا إذا كان الأمر مصيرياً يتعلق باحوال الناس ومصالحهم». وهو امر تقرره المرجعية وفق معاييرها الخاصة.

تحليل بيانات المرجعية

١. كل عبارات المرجعية ومصطلحاتها منتقاة بشكل موضوعي ودقيق جداً فهي اكثر تسامحا ولا تنتمي لمفردات قاموس الأدب السياسي الديني التي شاعت وانتشرت بعد عام ٢٠٠٣.
٢. اكدت على ان يكون للمؤسسة الدينية بكل رموزها ومن كافة الأديان والطوائف حلولاً ومواقف لحماية النساء العائدات من الأسر واللواتي تعرضن للانتهاكات متعددة، وذلك بإصدارها ما يضمن الحفاظ على حياتهن من جرائم غسل العار التي تمارسها العشيرة او الأهل بمثل هذه

(١) حامد الخفاف ، النصوص الصادرة عن المرجعية.

- الحالات، وان يهتموا بمصير الأبناء مجهولين الآباء وكيفية التعامل مع قضيتهم.
٣. خلت لغة المرجعية، من أي مفردة دينية أو مذهبية من تلك المفردات التي بدأ بعض العراقيون يتداولونها خلال الاعوام القليلة الماضية في خطاب أحزاب الإسلام السياسي، ولدى (البعض) من السياسيين.
٤. احتوت خطب وبيانات المرجعية على كلمات ومفردات مدنية محببة، مثل (العراق العزيز، مصالح البلد، تقديم الخدمة للشعب، المواطنين العراقيون، الشعب العراقي الكريم، التقدم والتنمية) بعد ان كادت هذه المفردات تغيب نهائيا خلال فترة الاعوام الماضية من خطاب أحزاب الإسلام السياسي.
٥. التأكيد على مبدأ التعايش السلمي والمجتمعي وتقبل الآخر ونبذ التطرف والعنف، وهذا يؤسس لثقافة مدنية متقدمة، متسامحة، منفتحة على الآخر، وبعيدة عن الانغلاق ورفض الآخر.
٦. لم تغفل المرجعية مستجدات العصر، فنصوص المرجعية تؤكد على ضرورة النظام المدني الديمقراطي (الانتخابات)، أي تحكيم ارادة الشعب العراقي كله، وهو أسلوب سياسي يتلائم مع معطيات العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين.
٧. خلت نصوص المرجعية من أي ميل او مدح او تمجيد او ترجيح لاي شخصية او جهة او تيار او منظمة سياسية كانت او اجتماعية او ثقافية، والمرجعية بسلوكها هذا قدمت المثل الاعلى في الحيادية والوقوف على مسافة واحدة بين جميع الاديان والمكونات والتيارات، وقد نجد من سيحاول توظيف هذا البيان او ذاك لصالحه إلا أن هذا في حالة حدوثه لن تكون المرجعية مسؤولة عنه. فالنص واضح جدا في حيادته.

التوصيات

يمكن النظر الى مجموعة من الفرص التي يمكن ان تسهم في وضع الحلول لسمعالجة الواقع، وهذه النقاط شخصتها المرجعية الدينية بدقة ووضوح من خلال خطبها ومواعظها، ومن خلال ما تقدم يوصي الباحث بجملة من التوصيات منها:

١. الالتزام الكامل بخطب واء ومواعظ المرجعية الدينية كونها صمام الأمان لكل العراقيين.

٢. عدم تسخير وتوجيه خطب المرجعية لخدمة فئة او طائفة او جهة سياسية او اجتماعية او تيار معين.

٣. العمل على توحيد الرؤى باتجاه دعم السلطة العراقية لتستطيع محاربة قوى الإرهاب في العراق ومتابعة تنفيذ الإصلاحات لتنهض بالبلد إلى الأحسن.

٤. الأخذ بعين الاعتبار وجهة نظر المرجعية الدينية في الإرهاب ومسباته والوقاية منه.

٥. أنّ المرجعية الدينية وعلى طول مسيرتها وتاريخها بقيت مستقلة عن الدولة وسياستها تماماً، فهي تسعى للاحتفاظ بالطابع الإسلامي للعراق، خاصة في الوقوف بوجه الاحتلال والمدّ التكفيري؛ ولذا لم توافق على الوجود الأميركي لوقت طويل، كما أنّ القيادات السياسية كانت تحاول كسب رضا المرجعية الدينية ومباركتها لخطواتها وقراراتها، كما حدث في الانتخابات السابقة لاكتساب الشرعية، كذلك رفضت أغلب هذه القيادات السياسية تواجد الاحتلال في العراق ودعت لإخراجه.

٦. تتمتع المرجعية الدينية في العراق بالتأييد الشعبي الواسع ومن مختلف شرائح ومكونات المجتمع؛ وذلك لمواقفها الوطنية التي لم تفرّق بين مكوّن وآخر،

وتصديها لدعم القيادات السياسية في العراق تحقيقاً لتوازن سياسي، وتحقيقاً لسلم اجتماعي لعدم وقوع حرب طائفية أو أهلية، وصولاً إلى استقرار المجتمع العراقي داخلياً، فقد دعت للتهدئة في العديد من الأحداث، ومنها: تفجير الإمامين العسكريين عليهما السلام، فكان لهذا التأييد الشعبي الواسع لها بمثابة دعوة شعبية لتدخل المرجعية الدينية في الشؤون العامة للبلاد، وعُدَّت الملجأ الأوّل والأخير للعراقيين للوقوف بوجه السياسة الإدارية غير الفعالة في العراق.

٧. ترى المرجعية أنّ دورها يعني الإشراف على شؤون المؤمنين الروحية والعبادية والاجتماعية، وهي تكليف وليس تشريف، وهي قبل كلّ شيء مقام ديني اجتماعي وليست مركزاً سياسياً؛ لذا فإنّ الانتخابات في نظر المرجعية ليس شأنًا سياسياً فقط، بل هي شأن اجتماعي، والشأن الاجتماعي يدخل في دائرة اهتمامات المرجعية. وبحكم تصدي السيد السيستاني لمقام المرجعية الدينية، فإنّه يرى نفسه ملزماً بالتعاطي في قضية الانتخابات، والتي يعتقد أنّها الأساس المتين للعملية السياسية وللحياة الاجتماعية في أيّ مجتمع أو بلد، ومن خلال التأمل في تجارب الأمم التي تتمتع بنظم سياسية مستقرة وبحياة هادئة، فسلامة الحياة السياسية يكون بوجود انتخابات حرّة نزيهة تعبّر عن رأي الأمة وإرادتها.

٨. أنّ تدخل المرجعية في الحياة السياسية نابع من مواقفها وحرصها الشديد على أن ينال كلّ العراقيين حقوقهم، وأن لا يكون هنالك تمييز لشريحة معينة على حساب بقية شرائح الأمة، وتأتي أيضاً من تفهّم المرجعية الرشيدة لأهمية الدستور في حياة أيّ أمة، وهي ترى أهميتها في حياة الأمم المتحضرة، وهو يتماشى مع ما تدعو إليه المرجعية من إحلال السلم والعدالة الاجتماعية

لكافة مكونات الشعب العراقي، وأن لا يكون لفئةٍ ما امتياز على بقية الفئات، وهذا هو موقف أبوي تجاه شرائح المجتمع العراقي، وليس موقفاً سياسياً إلزامياً.

المصادر

١. علاء عزيز كريم، موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٢٤، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، ٢٠٠٧.
٢. النصوص الصادرة عن مكتب السيد السيستاني، حامد الخفاف.
٣. عباس جعفر محمد الإمامي، الدور السياسي للمرجعية الدينية في العراق الحديث، دار العلم للنابهين، بيروت، ٢٠١١م
٤. عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، بيروت، ١٩٧٢م.
٥. صلاح عبد الرزاق، المرجعية الدينية في العراق والانتخابات البرلمانية وتعزيز الوحدة الوطنية، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٠م
٦. عمار البغدادي، مبادئ الدولة والقيادة لدى مراجع الحوزة العلمية (مقاربة في رؤى الخميني - النائيني - الصدر - السيستاني)، مركز الهدى للدراسات الحوزية، ٢٠٠٨م.
٧. كاروين مرجي صائغ، المرجعية الدينية والموقف الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣، ترجمة نصر محمد علي، مراجعة حسن ناظم، دار الفكر للحوار، ٢٠٢٠.
٨. احمد غالب محي جعفر الشلابة، الهوية الوطنية العراقية إشكالية البناء والتطور، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية جامعة

بغداد، ٢٠١٠.

- 9- January, Times Seminary Najaf, «Hussein Adnan see, Iraq within from clerics the of suspicions Regarding) 4(.2013, 19 August, Monitor-Al» Opposition Iraqi in Role Plays
- 10- Caroleen and, Sanchez Jose, McSherry Patrice. J, Ehrenberg John in statements selected See) 1(.22-320), 2010, Press University Oxford: York New and Oxford (Papers Iraq The, Sayej Marji.1

أثر فتوى الجهاد للشيخ محمد تقي الشيرازي (رحمه الله) في قيام الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠م ضد المحتل البريطاني

أ. د. عبد الرحمن ابراهيم الفنطوسي

قسم التاريخ / كلية التربية

الجامعة العراقية / العراق

Abdalmhman.barahem_78@yahoo.com

أ. د. برزان ميسر حامد الحميد

قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الإنسانية

جامعة الموصل / العراق

dr.barzan_78@yahoo.com

ملخص الدراسة :

لقد شهد تاريخ العراق المعاصر أحداثاً سياسية مهمة شكّلت نقاط تحول تاريخية، كان من أبرزها مقاومة الشعب العراقي للاحتلال البريطاني البغيض والذي توجّج بثورة ١٩٢٠م، ولم يكن العراق بمعزل عن محيطه العربي والإسلامي الذي ناهض الاستعمار الغربي (البريطاني والفرنسي) في سوريا ومصر وفلسطين وتركيا وغيرها من الدول العربية والأسلامية. حيث برز في هذه الدول العديد من القادة الوطنيين والزعماء الدينيين الذين التفت شعوبهم حولهم لنيل الحرية والاستقلال وطرده المحتلين الاجانب. كما برز في العراق ايضاً العديد من الشخصيات الوطنية والدينية كان على رأسها المرجع الديني الاعلى آية الله الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي.

لقد كان الإمام المرجع الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي من رجال الدين الأفاضل الذين واكبوا سير الحركات الثورية في عصورهم ووجهوا مؤيديهم لخدمة مصالح الوطن العليا، بحيث بدى الرجل أسبق من زمانه، واستثناءً في حينه في فهم دور المرجعية الدينية الشيعية الوطني. وبذلك فإنه التقط الجاذب والنافع والموحد في الفهم الإسلامي في معالجته أو تصديده لمثل هذه القضايا، حينما أفتى وساند ودعم حركة المجاهدين، بوجه الغزو البريطاني للعراق في مطلع القرن المنصرم، متمثلاً

بقول الإمام علي (عليه السلام): ما غزى قوم بأرضهم إلا ذلوا لأنه وجد وعن يقين ثابت أن الوقوف على الأطلال عتاب أو نواح أو كسل لغايات صغيرة، لا يجدي نفعاً، أمام هذه الافتتاحية المتعددة الأشكال من القوى الطامعة في أرضنا وخيراتنا، وخير رد عليها، يكون بالمعادل النوعي المتمثل بالجهاد الذي وجده الشيرازي في شكل ما متحقق -فرض عين- على كل مسلم في أرض الإقليم الذي يتعرض لهذا الغزو.

لقد كان الإمام الشيرازي يجد في حركة الجهاد، سفيراً إيمانياً لكل مشارك فيه، يمكنه من إعادة صقل وتهذيب النفس، بما يبعد عنها ما لحق بها من أدران، بحيث يكون جهاد النفس، متوازياً مع الجهاد الأخر، دفاعاً عن الأرض والعرض. وفتواه وفتوى غيره من العلماء، في دعم وإسناد حركة الجهاد، عبرت عن أفق وزمان إسلامي لا يتكرر، تصاغرت معه أزمان أخرى، بدت عاجزة أن تمسك حتى بأطرافه، لأن الإمام الشيرازي والعلماء الآخرون، أرادوا الإمساك بالتاريخ، لا بال اللحظة، لأن في ذلك امتحاناً لإيمانهم قبل أن يكون امتحاناً لوطنيتهم، ولذلك ظلت وقائع ما حصل رغم مرور قرن كامل عليها، ذكرى عطرة لا تمحيها كل الأحداث، لأنها تعاملت مع الإسلام التكاملي، لا الإسلام المجزأ والمقسم، وفقاً لرغبات الطوائف والملل وما أكثرها.

من خلال ما تقدم سنتناول في هذه الدراسة فتوى الامام الشيرازي (رحمه الله) في قيام ثورة العشرين الوطنية وتعبئة الصفوف وشد الهمم وإدامة زخم المجاهدين ضد المحتل البريطاني للعراق، وما أشبه اليوم بالبارحة، مستخدمين المنهج التاريخي الوصفي القائم على سرد الأحداث التاريخية وربطها وتحليلها ومناقشتها بغية الوصول الى الصورة الواضحة المعالم تاريخياً وبالرجوع الى المصادر والمراجع ذات العلاقة.

الكلمات المفتاحية: أثر، فتوى، الجهاد، الشيرازي، الثورة العراقية، البريطاني.

The impact of the jihad fatwa of Sheikh Muhammad Taqi al-Shirazi (may God have mercy on him) on the great Iraqi revolution 1920 AD against the British occupier

Prof. Dr. Abdurahman ibraheem
Algantossi

Dept. of History
College of Education
University of Iraqi / Iraq

Prof. Dr.Barzan moyasir hamid
alhameed

Dept. of History
College of Education for
Human Sciences
University of Mosul / Iraq

Imam al-Shirazi used to find in the movement of jihad, a journey of faith for each participant in it, enabling him to re-refine and refine the soul, by removing from it what has befallen it of dirt, so that the jihad of the soul is parallel to the other jihad, in defense of land and honor. And his fatwa and the fatwa of other scholars, in support and attribution of the jihad movement, expressed an Islamic horizon and time that would not be repeated. Other times became smaller with it, and it seemed unable to hold even its edges, because Imam Shirazi and other scholars wanted to hold on to history, not to the moment, because in that is a test of their faith before To be a test of their patriotism, and therefore the facts of what happened despite the passage of a whole century have remained a fragrant memory that cannot be erased by all events, because they dealt with integrated Islam, not fragmented and divided Islam, according to the desires of sects and sects and so on.

Through the foregoing, we will discuss in this study the fatwa of Imam Al-Shirazi (may God have mercy on him) on the rise of the national revolution of the twentieth century, mobilizing the ranks, strengthening the forces and sustaining the momentum of the Mujahideen against the British occupier of

Iraq, and what is similar today to yesterday, using the descriptive historical method based on narrating historical events, linking, analyzing and discussing them in order to Access to the clear picture historically and by referring to the relevant sources and references.

Keywords: impact, fatwa, jihad, Shirazi, Iraqi revolution, British.

مقدمة :

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م، نجحت بريطانيا العظمى في بسط نفوذها وسيطرتها على العديد من الدول، وبالأخص الإسلاميين منها، ففي العراق، تقدم الجيش البريطاني واحتل البصرة في ٩ تشرين الأول ١٩١٤ م. وكانت هذه الحملة البريطانية على العراق هي أولى عملياتها الحربية ضد الدول العثمانية.

لقد كان الغزو البريطاني للبصرة في تشرين الثاني ١٩١٤، الشرارة الأولى التي عمقت بوادر الوعي الوطني لدى رجال الدين، عندما انخرط مراجع الدين الكبار لأول مرة في تاريخ العراق الحديث في المقاومة المسلحة لمواجهة قوات الاحتلال البريطاني فسجلت صورة من صور التلاحم الوطني الديني العشائري في تحالفهم مع القوات العثمانية.

إن عملية تعبئة الجماهير المسلمة، بمختلف الطوائف في بداية التصدي لدخول الانجليز لثغر البصرة تمت من خلال الشعور الإسلامي والواجب الشرعي الذي يحتم على الفرد المسلم اتخاذ موقف الجهاد. فلم تتم التعبئة عن طريق المفاهيم الوطنية المجردة، أو عن طريق استمالة العشائر بالترغيب والترهيب، وإنما كان انقياداً تاماً للفتوى والأحكام الشرعية. فصدرت في الشهر الأول من دخول تركيا في الحرب عن شيخ الإسلام، فتوى الجهاد باعتباره صاحب أرفع منصب ديني في الدولة العثمانية، أنه فرض عين على جميع المسلمين في العالم، ومن بينهم الذين يعيشون تحت حكم بريطانيا وفرنسا وروسيا أن يتحدوا لمقاومة هذه الدول الثلاث عدوة الإسلام وان يجاربوا حلفاءها. لقد كانت المرجعية الشيعية ترى في جهاد الانجليز

حكماً قاطعاً لا يمكن التخلي عنه أو التردد فيه، فلم تكن حركتها (الجهاد) منبعثة من نظرة سياسية بحتة ولا أبعاد طائفية تستوقفها أو تجعلها تشك في وجوب الجهاد ضد الانجليز، وإنما كانت النظرة شاملة وكاملة في الحفاظ على بيضة الإسلام، الأمر الذي شكل دافعاً قوياً للكتابة بشكل معمق عن دور المرجعية الدينية في الجهاد المقدس ضد الاحتلال البريطاني للعراق مطلع القرن العشرين المنصرم.

وعلى هذا الأساس جاء البحث الموسوم (أثر فتوى الجهاد للشيخ محمد تقي الشيرازي (رحمه الله) في قيام الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠م ضد المحتل البريطاني)، ليلسط الاضواء على الدور الحيوي والمهم الذي لعبته المرجعية الدينية في العراق بشكل عام وفي مدن جنوب العراق بشكل خاص في حركة الجهاد ضد الاستعمار البريطاني البغيض بالتعاون من كافة فئات الشعب العراقي واطيافه.

واقترضت طبيعة الدراسة أن نقسمها الى مبحثين تسبقهما مقدمة وتعقبها خاتمة، تناول المبحث الأول: التعريف بشخصية الشيخ الشيرازي (رحمه الله) من حيث أسمه الكامل وألقابه ثم نشأته وتعليمه، وسيرته ووصف شخصيته، في حين كُرس المبحث الثاني عن: الاحتلال البريطاني للعراق وأثر فتوى الجهاد في مقاومة المحتل البريطاني، أما الخاتمة فسطرنا فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج وبالرجوع الى المصادر والمراجع التاريخية ذات العلاقة.

المبحث الأول: الشيخ محمد تقي الشيرازي: نشأته وتعليمه، سيرته ووصف شخصيته

أولاً: نشأته وتعليمه:

محمد تقي الشيرازي، هو الميرزا^(١) محمد تقي بن محب علي بن أبي الحسن بن الميرزا محمد علي الملقب بـ: (كلشن)^(٢)، الحائري^(٣)، الشيرازي، ولد في مدينة (شيراز) في إيران سنة ١٨٤٠م (١٢٠٦هـ)، ينتسب لأسرة ذات علم وأدب فكان والده الميرزا محب علي من أهل الورع والدين، أما أخوه الأكبر الميرزا محمد علي فكان من كبار رجال الدين في إيران^(٤).

(١) الميرزا: لقب فارسي يطلق على الشخص الذي يولد من أم علوية، وقديماً كان يطلق على أبناء الملوك، ينظر: محمد التونجي، المعجم الذهبي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩، ص ٥٥٣.

(٢) كلشن: كلمة فارسية تعني روضة الأزهار، وهو البستان الذي تكثر فيه الأزهار. ينظر: التونجي، المعجم الذهبي، ص ٥٠٨.

(٣) الحائري: نسبة إلى الحائر الحسيني، وهو حرم الأمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في مدينة كربلاء، ويطلق على المدينة بأجمعها فيقال لساكنها بالحائري لأنه نشأ في كربلاء. ينظر: محمد الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٥، ط ٤، بيروت، ١٣١٩هـ / ١٩٧١م، ص ٥٤٣؛ وينظر: جاسم محمد ابراهيم اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية عام ١٩٢٠، دراسة تاريخية، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر، مركز دراسات الكوفة، الجزء الثالث، القسم الأول، النجف ٢٠١٩م، ص ٢٨٧.

(٤) أغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر في القرن الرابع عشر، ج ١، النجف، ١٩٥٤، ص ٢٦١؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، مج ٦، ط ٧، بيروت، ١٩٨٩، ص ٩٣؛ بسام عبد الوهاب، معجم الأعلام، ط ١، قبرص، ١٩٨٩، ص ٦٨٨؛ سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء، ط ٣، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٩١.

درس الشيرازي في سامراء، ثم عاد إلى موطنه (شيراز)، وتصدى فيها لشؤون التدريس والفتاوى الشرعية طوال حياته، وكانت له المرجعية العليا فيها، كما إن عمه ميرزا حبيب الله كان من مشاهير الشعراء في مدينة شيراز^(١).

أما أبناء الشيخ محمد تقي الشيرازي فهم ثلاثة أولاد و بنت واحدة وتسلسلهم كالآتي:

١- الشيخ محمد رضا الشيرازي: وهو أكبر أبنائه، وساعده الأيمن في تأجيج الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ضد الاحتلال البريطاني، وكان صلة الوصل بين والده والعشائر العراقية الثائرة^(٢). ولقي في سبيل ذلك متاعب ومعاناة كبيرة، إذ أعتقل وأدخل السجن ثم نفي إلى جزيرة هنجام^(٣)، في الخليج العربي، ثم أفرج عنه بعد أقل من شهر وسافر إلى إيران وبقي هناك طيلة حياته ولم يرجع إلى العراق، بعد أن شجع الحركة الوطنية ضد الاحتلال البريطاني^(٤)، لهذا السبب أتهمته السلطات البريطانية بالميل إلى النزعة البلشفية في روسيا^(٥)، وصفته المس بيل (١٨٩٨-

(١) نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، طهران، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ١٨٣.

(٢) أغا بزرك الطهراني، هدية الرازي إلى الإمام المجدد الشيرازي، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٦.

(٣) جزيرة هنجام: جزيرة صخرية موحشة في الخليج العربي، لا تبعد كثيراً عن المضائق، أما حالتها الجوية فحرارتها مرتفعة وتزداد فيها نسبة الرطوبة، وتكثر فيها الحشرات، ينظر: فيليب ويلارد أيرلاندي، العراق، دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر خياط، بيروت، ١٩٤٩، ص ٢٠٥.

(٤) عباس الحائري، حوادث الأيام، قم، ٢٠٠٠، ص ٤٤٣؛ وينظر: اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية، ص ٢٨٩.

(٥) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: وتعليق جعفر الخياط، ط ٢، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ص ٤٤٣.

١٩٢٩^(١) بقولها: كان سياسياً فعالاً لا يستقر على حال، معارضاً للاتفاقية الإيرانية-البريطانية معارضة مرة، وعلى هذا الأساس فقد كرس جهوده لمناوئة الحكومة البريطانية في العراق، كما أتهمته بأنه يقبض المال من الأتراك، وأضافت المس بيل في وصف الشيخ محمد رضا: (.... ومع أنه لم يكن يعترف به كعالم فإنه كان يتمتع بالاحترام الذي كانت تعامل به أسرة المجتهد الأكبر، كما إن تأثيره على أبيه جعله مرجع أعلى للرأي)^(٢). حيث إن هذه الاتهامات لا تتناسب مع شخصية وطنية تنحدر من أسرة مرجعية فهي لا تتعدى محاولة للنيل من هكذا شخصية بهدف التقليل من دوره الاجتماعي والسياسي من خلال هذه الاتهامات.

صاهر الميرزا حبيب الله الشيرازي على كريمته وهي أخت العلامة الكبير السيد مهدي الشيرازي^(٣)، وتوفي سنة ١٩٥٧ في مدينة طهران في إيران^(٤).

٢. الشيخ عبد الحسين الشيرازي: وهو الابن الأوسط للشيخ محمد تقي الشيرازي، وكان عالماً فاضلاً من أعلام الحوزة العلمية في كربلاء، أتصف بحسن

(١) المس بيل: موظفة بارزة في المخابرات البريطانية التي عملت في العراق، رفعت تقارير إلى حكومة الهند البريطانية بصورة مستمرة تناولت فيها أحوال العراق خلال مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق. للمزيد ينظر: محمد يوسف إبراهيم القرشي، المس بيل وأثرها في السياسة العراقية، بغداد، ٢٠٠٣.

(٢) المس بيل، فصول من تاريخ العراق، ص ٤٤؛ وينظر: اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية، ص ٢٨٩.

(٣) سيد مهدي الشيرازي: ولد سنة ١٨٨٦م / ١٣٠٤ هـ في كربلاء، درس في عدة أماكن وأصبح أحد علماء الدين البارزين في العراق، للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، النجف الأشرف، ١٩٩٥م، ص ١٦٦ - ١٧١.

(٤) أغا بزرك الطهراني، هدية الرازي، ص ٦.

الأخلاق وطيبة النفس وحسن المعاشرة^(١)، وكان موضع احترام العلماء ومراجع الدين، وديوان مجلسه يحضره جمع غفير من العلماء والأعيان والموظفين والزعماء السياسيين والكسبة^(٢)، متزوج وله ولدين الأول محمد علي وعمل حاكماً في المحاكم الإيرانية والثاني أسمه عبد الأمير وعمل مدرساً في المدرسة المتوسطة الإيرانية في كربلاء، توفي الشيخ عبد الحسين في سنة ١٩٩٢ ودفن في الصحن الحسيني الشريف مع والده.

٣. الشيخ محمد حسن الشيرازي: وهو أصغر أبنائه، عمل قاضياً في محكمة التمييز العليا في العاصمة الإيرانية طهران، توفي سنة ١٩٨٦ م^(٣).

٤. أما بنات الشيخ محمد تقي الشيرازي: فله بنت واحدة فقط^(٤) كما ذكرنا، صاحب ثورة التنبك في إيران عام ١٨٩١ م والشيخ محمد تقي الشيرازي، فليست هناك صلة قرابة بينهما لكن كلاهما في مدينة شيراز في إيران ولكنها ليسا من أسرة واحدة وتربطهم صلة مصاهرة بين الأسرتين وهناك من يقول أن الشيخ محمد تقي الشيرازي هو من أحوال السيد محمد حسن الشيرازي^(٥)، والثاني استاذ الأول كما سنرى في الصفحات اللاحقة.

(١) نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، ص ١٩٢.

(٢) نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، ص ١٩٢.

(٣) نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، ص ١٩٢.

(٤) ومن الجدير بالإشارة هنا إن التشابه بالأسماء والكنى قد يوقع البعض في اللبس بين المجتهدين الشيرازيين، السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي، أغا بزرگ الطهراني، هدية الرزاي، ص ٦؛ وينظر: اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية، ص ٢٨٩.

(٥) شهاب الدين المرعشي، الإجازة الكبيرة، قم، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ١١٧.

ثانياً: سيرته ووصف شخصيته:

تشير العديد من المصادر التاريخية والشخصيات التي عاصرت الشيخ محمد تقي الشيرازي إلى أنه شخصية تمثلت بالعديد من الصفات التي تنم عن قدرات ذهنية عميقة في العديد من العلوم المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. كما عبرت عن قدرات قيادية حكيمة وفي ذلك يقول عنه السيد حسن الصدر: ((عاشرته عشرين عاماً فما رأيت منه زلة ولا أنكرت عليه خله، وباحثته اثنتي عشر سنة فما سمعت منه إلا الأنظار الدقيقة والأفكار العميقة والتنبيهات الرشيقة...^(١)، وعلق أحد تلامذته وهو العلامة أغا بزرك الطهراني على هذا الكلام (أي كلام حسن الصدر) بقوله: ((أقول وقد تلمذت على يديه (يقصد الشيرازي) وحضرت بحثه ثمان سنين فتأكدت لدي صحة كلام سيدنا الصدر، وبانت لي حقيقة وصدق الخبر، وتحققنا من ذلك عن طريق السمع والبصر^(٢))).

لم تشغله همومه عن تصديه لأعباء وصعوبات المرجعية وأعماله الكثيرة عن النظر إلى أمور المسلمين، فكان بيته المتواضع في مدينة كربلاء منتدى للزعماء السياسيين ورؤساء العشائر العراقية، ويزحم بالكثير من الناس من مختلف الطبقات، فضلاً عن علماء الدين في معظم الأوقات^(٣)، وكان الناس يعتبرونه قائداً لهم بسبب ما يمتلكه من صفات ومؤهلات، وعندما تصدى لقيادة الثورة العراقية

(١) حسن الصدر، تكملة أمل الأمل، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٤٢؛ عبد الرحيم العقيقي البخشايشي، كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين، ط١، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١١٦.

(٢) نقلاً عن أغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ص ٢٦٢.

(٣) نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، ص ١٨٥؛ وينظر: اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية، ص ٢٩٠.

الكبرى عام ١٩٢٠ ضد البريطانيين، ولم يشغله هذا العمل الكبير عن إصدار الفتاوى والتشريعات الدينية، وظل يستقبل الناس وينظر في مشاكلهم الخاصة والعامّة^(١)، وبهذا الصدد نقل عن أحد طلابه وهو السيد شهاب الدين المرعشي النجفي قوله: ((عندما كانت الثورة العراقية مشتتة الأوار وكان جهاد الشعب العراقي المسلم ضد الاحتلال البريطاني على أشده، كان المغفور له الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي بمثابة ثقل هذه الثورة ومحور الحركة الدينية والدينية...، وأضاف المرعشي إن الشيخ محمد تقي الشيرازي التقى بهم وقال لهم (أيها السادة طلاب العلم الأجلاء ترون بأنفسكم كيف أن رجال العشائر ورجالات السياسة يحوطنون بي ويزدحمون حولي وكيف أن الحرب مع الإنكليز تأخذ كثيراً، فأضاف أن واحداً منكم له حاجة معي ولا يمكنه الوصول إلي... ووضع الشيرازي حلاً لهذه المشكلة بأن يقوم بالمشي إلى جانب نهر الحسينية بعد صلاة الفجر من كل يوم ليأتيه الناس إلى هناك للنظر في أمورهم ومشكلاتهم، ويقول المرعشي عن ذلك ((..رأيتة بنفسي (ويقصد الشيرازي) عدة مرات في الصباح الباكر وهو يمشي هناك أنتظاراً منه للقاء من له حاجة أو مسألة منه^(٢)).

كان الشيخ محمد تقي الشيرازي في غاية الحلم والصبر، لم يحدث أن غضب في وجه أحد من الناس حتى من أساء إليه، ولم يكن ينظر إلى الأعلى بل كان منحني

(١) سلمان هادي آل طعمة، معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، ط١، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٨٧.

(٢) شهاب الدين المرعشي، المسلسلات من الأجازات، قم ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص ٩٣؛ لجنة آحياء تراث الإمام الشيرازي، في رحاب قائد ثورة العشرين الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي، ط١، كربلاء، ٢٠٠٤، ص ٣٣؛ نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، ص ١٨.

الرأس حتى إنه لم يكن ينظر إلى وجوه طلابه أثناء الدرس^(١).

سأل أحد تلامذته وهو الشيخ محمد كاظم الشيرازي عن عدله وتقواه وزهده، فأجاب بالقول: ((لا تسألني عن عدله وتقواه وكلمات كهذه، بل أسألني عن عصمته وقل لي هو إنسان معصوم أم لا، أي إنه في الكمال الروحي قد وصل إلى مرتبة عالية^(٢)).

كان الشيخ الشيرازي زاهداً إلى حد بعيد في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه، وكانت داره مستأجرة، على الرغم من وصول أموال كثيرة إليه من الدول الإسلامية، ولم يكن متقيداً بمظاهر الزينة ولا مكترثاً بمباهج الحياة وزخارفها لا في الملبس أو المسكن أو المأكل^(٣)، كما كان يحترم كل من يقابله بمنتهى الأدب والتواضع^(٤)، وكان دقيقاً في إصدار فتاويه حذراً أشد الحذر لمعرفته بخطورة ما يصدر لأنه رجل الدين المجتهد تكون مهمته في غاية الخطورة وأن أي زلة أو خطأ منه في إصدار الفتاوى تجعله يتحمل وزر مقلديه وكل الذين أتبعوا الفتوى التي أصدرها لهم، وقد نقل عن

(١) وفي هذا السياق فقد روى أحد المقربين من الشيخ الشيرازي أنه كان في قافلة مسافرة من مدينة سامراء إلى بلدة سيد محمد) وحاول أحد المسافرين إثارة غضب الشيخ الشيرازي، وقد راهن أحد أصدقائه الذين كان معهم على ذلك، فأخذ هذا الرجل يجادل ويناقش الشيخ الشيرازي في المسائل الفقهية والدينية ويخالفه الرأي بعنف وشده، لكن الشيخ الشيرازي لم يغضب لذلك وعند ذلك أبدى الرجل إعجابه واحترامه للشيخ الشيرازي أضعاف ما كان عليه من قبل.

(٢) أغا بزرك الطهراني، هدية الرازي، ص ٦.

(٣) لجنة أحياء تراث الإمام الشيرازي، في رحاب قائد ثورة العشرين الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي، ص ١٢.

(٤) نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، ص ١٨٨؛ وينظر: اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية، ص ٢٩١.

السيد محسن الحكيم^(١) عن وصف الشيخ الشيرازي حيث قال: ((لقد كان سماحته رجل دين ودنيا بما للكلمة من معنى...^(٢)). وكان الشيخ الشيرازي حريصاً يقوم هو بنفسه بمهامه الشخصية ولا يكلف فيها أحداً من الناس أبداً^(٣). كان يحمي المستجير به بقوله (يجب إجارة المستجير إن كان غير مسلم، فيكف بمن هو مسلم فر من كافر حربي؟) ويقف إلى جانب المظلوم ضد الظالم مهما كان جبروته وعظمته، وبهذا الصدد ذكر أحد الأشخاص المقربين من الشيخ الشيرازي، إنه في إحدى المرات وعندما كان الشيرازي في مدينة الكاظمية لأداء مراسيم زيارة الإمام الكاظم عليه السلام التجأ إليه أحد الأشخاص وكان من أسرة (الشهنذر) مستجيراً به فقد أصدرت عليه السلطات البريطانية حكماً بالإعدام عليه بسبب قتله أحد الجنود البريطانيين، وبدأت السلطات البريطانية بتوسيط بعض الأشخاص لاسترداد المطلوب لهم، لكن جميع الوساطات التي أرسلها البريطانيون لم تفلح في تحقيق مبتغاهم حيث ردّهم الشيرازي، وبدأت السلطات البريطانية باستعمال التهديد والوعيد للشيخ

(١) السيد محسن الحكيم (١٨٨٩ - ١٩٧٠) ولد في النجف الأشرف في بيت علم ودين وتقوى شارك في عمليات الجهاد ضد الغزو البريطاني عام ١٩١٤ م، أصبح مرجعاً أعلى للمسلمين الشيعة عام ١٩٥٢، للمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية ينظر: عدنان إبراهيم السراج، السيد محسن الحكيم (١٨٨٩ - ١٩٧٠ م)، ط١، بيروت، ١٩٩٣.

(٢) نقلاً عن لجنة إحياء التراث الإمام الشيرازي، في رحاب قائد ثورة العشرين الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي، ص ٤٦.

(٣) ففي إحدى المرات وبعد أن أتم صلاة المغرب والعشاء في مسجد (السهلة) لم يلبث أن توقف فجأة وكأنه فقد شيئاً يبحث عنه، فسأله أحد الأشخاص من المقربين منه فلم يجبه الشيخ بل تراجع عن مسيره وأتجه إلى مسجد السهلة ملتفتاً إلى الناس يأمرهم بمواصلة السير، حتى إذا وصل إلى مصلاه أخذ قلمه ومجبرته اللتين نساها هناك ثم رجع متجهاً إلى مسجد الكوفة، وكان ذلك حرصاً منه إن يقوم هو بمهامه الشخصية ولا يكلف فيها أحداً.

الشيرازي الذي ظل على موقفه الثابت، عند ذلك اضطرت السلطات البريطانية التنازل عن حكم الإعدام وأصدرت عفواً عن الشخص المطلوب ورجع الرجل آمناً إلى بيته.

أما عن أسلوبه في التدريس فقد ذكر عن أحد طلابه قائلاً: ((كان سباحته يمتاز بأسلوبه الخاص في تدريسه، ومن جملتها أنه إذا اشتد النقاش بين الطلبة وعلا بحثهم وارتفعت أصواتهم، لم ينهرهم الميرزا (يقصد الشيخ الشيرازي) بل يتركهم وشأنهم ويشغل هو بالذكر والتسبيح والتهليل إلى أن ينحل نزاعهم وتهدأ أصواتهم...^(١)، ولم يكن متزتماً برأيه أو يفرض توجهاته على أعوانه ومساعديه، وإنما كان يستشيرهم في كل صغيرة وكبيرة في مرحلتي السلم والحرب، وكانت جميع أموال الزكاة والخمس التي تأتيه من مختلف البلدان الإسلامية ينفقها على الفقراء والمحتاجين، ولاسيما خلال مرحلة الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ حيث مرت على الناس أوقات وظروف اقتصادية عصيبة، وكان مخصص لكل بيت ديناراً ذهبياً مسكوكاً^(٢).

ولعل من المآثر المهمة في سيرة الشيخ الشيرازي هو أيمانه بالوحدة الإسلامية والتسامح الديني مع بقية الأديان الأخرى، فقد عمل الشيخ الشيرازي على التوفيق بين طائفتي السنة والشيعة، وأوصى بالمحافظة على سائر الملل والنحل وحسن معاملتهم^(٣)، وعيل دور الشيخ الشيرازي في توحيد كلمة المسلمين قال البارزكان: ((زينا للشيعة الصلاة في مساجد السنة كما زينا للسنة الصلاة في مساجد

(١) اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية، ص ٢٩٣.

(٢) شيخ مرتضى انصاري، زندگاني وشخصية شيخ انصاري، جاب سوم، قم، ١٩٨٩م، ص ٤٠٨.

(٣) مي بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، لندن، ١٩٩٩، ص ٣٦٤.

الشيعة وقد بارك تلك الفكرة وشجعها الميرزا محمد تقي الشيرازي.....^(١)، وقد وصف دور الشيخ الشيرازي في هذا المجال، بأنه: ((عمل بكل جهد ووسيلة لإزالة النعرات الطائفية، والفوارق الإقليمية، والعصبات القبلية، ونسيان الأحقاد العشائرية وبفضل هذه المساعي توحدت الصفوف....^(٢)).

ودلالة على توجهاته التوفيقية فقد علّق محمد مهدي البصير على الدور الكبير الذي قام به الشيخ الشيرازي في رص الصفوف بين أبناء الشعب العراقي بالقول: ((... عرف المفكرون السُّنيون ما للرجل (ويقصد الشيرازي) في المنزلة العظمى فصاروا يتقربون منه ليستعينوا بنفوذه الديني الواسع على تحقيق مقاصدهم السياسية فكان رحمه الله يؤيد الصلات الودية المتبادلة بين الشيعيين والسنيين بكل قواه....^(٣)).

ووصفه عبد الرزاق الحسني بأنه: ((زعيم روحي كبير، صادق العزيمة نافذ الكلمة، واسع النفوذ...^(٤)، أما عبد الله الفياض فقال عنه: ((كان من رجال الدين الأفاضل الذين واكبوا سير الحركات التحريرية في عصورهم ووجهوا مؤيديهم لخدمة مصلحة الوطن العليا^(٥)).

(١) علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٥٤، ص ٥.

(٢) الياسري، عبد الشهيد، البطولة في ثورة العشرين د، م، ط ١، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠، ص ١٣٢؛ وينظر: اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية، ص ٢٩٣.

(٣) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ج ١، بغداد، ١٩٢٤، ص ١٩٠.

(٤) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، الطبعة الثانية، مطبعة العرفان، لبنان-١٩٩٥، ص ٩٦.

(٥) عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ط ٢، مطبعة الشريد، بغداد، ١٩٧٥، ص ٢١١.

أما المسؤولون البريطانيون فقد وصفوا الشيخ الشيرازي بأوصاف قاسية تظهر مدى الحقد الذي كانوا يكتفون له بسبب مواقفه المناهضة لهم. ومنهم أرنولد ولسن^(١) (نائب الحاكم المدني في العراق) حيث قال عنه: ((ميال جداً إلى تقليل نفسه وغيره من العالم،... كما إنه لم يكن محظوظاً في نسله...، و كانت تتتابه هو اجس الادعاء بالسلطة الزمنية التي كانت يعتقد أنها ناشئة عن تفوقه الثيوقراطي^(٢)). كما وصف الشيخ الشيرازي وأتباعه بالجنين والطائفية، كما أنهم ولسن الشيخ الشيرازي بأنه يسعى من أجل الحصول على السلطة وأتهم أنصاره بأنهم زوروا توقيعه^(٣).

أما المس بيل فقد وصفت الشيخ الشيرازي، حين وصفته بأنه: (رجل خرف عجوز يستولي عليه ابنه محمد رضا بصورة كلية...^(٤))، وأيدها في ذلك بعض المؤرخين الأجانب^(٥)، كما قالت إنها فرحت كثيراً عندما سمعت نبأ وفاته وأدعت

(١) أرنولد ولسن ١٨٨٤ - ١٩٤٠ عسكري وسياسي بريطاني قدم مع الحملة العسكرية البريطانية إلى العراق عام ١٩١٤ تحت أمرة المقدم برسي كوكس وكان ولسن آنذاك ضابط برتبة نقيب، ثم عين حاكماً عاماً بالوكالة بعد استدعاء برسي كوكس وتعيينه سفيراً في طهران، أتهمته الصحافة البريطانية بأنه يسعى إلى (تمهيد) العراق أي جعله تابعاً إلى الهند، قتل ولسن خلال الحرب العالمية الثانية أثناء أدائه للخدمة العسكرية في القوة الجوية البريطانية. ينظر: فؤاد قرانجي، العراق في الوثائق البريطانية (١٩٠٥ - ١٩٣٠)، بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٦؛ مذكرات سنדרسن باشا (طبيب العائلة الملكية في العراق ١٩١٨ - ١٩٤٦) ترجمة: سليم طه التكريتي، ط ٢، بغداد، ١٩٨٢، ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي، ص ٢٩٣.

(٣) أرنولد ولسن، الثورة العراقية، ترجمة: وتعليق: جعفر الخياط، ط ٢، لبنان، ٢٠٠٤، ص ١٣٩ - ١٤١.

(٤) المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة: وتعليق جعفر الخياط، بغداد، ١٩٧٧، ص ١٩٧.

(٥) فيليب ويلارد أيرلاند، العراق، دراسة في تطوره السياسي، ص ١٩٤.

إن وفاته جاءت بسبب التعفن الشيخوخي^(١)، وهي كلمة قاسية تدل على مدى الشماتة والعداء الذي كان يضمه البريطانيون له بسبب مواقفه ودوره في تأجيج الحماس الوطني لدى الشعب العراقي من الشمال إلى الجنوب ضدهم.

المبحث الثاني: الأحتلال البريطاني للعراق وأثر فتوى الجهاد في مقاومته:

بعد أن تمكن البريطانيون من احتلال العراق، وضعوا وعودهم التي أعلنها الجنرال مود يوم احتلاله بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ خلف يظهورهم، هادفين أن يستنسخوا تجربتهم في الهند لغرض تطبيقها في العراق، إلا إنهم واجهوا رفضاً جماهيرياً واسعاً، ساندته جملة من الفعاليات المعززة للتوجه. تعززت الوحدة الوطنية مرة أخرى من خلال موقف الحوزة العلمية في النجف الأشرف من الاستفتاء العام الذي قامت به إدارة الاحتلال البريطاني في العراق عام ١٩١٨، حول تأسيس حكومة وطنية فيه يكون المندوب السامي السير (بيرسي كوكس) رئيساً لها، وحينما عرض البريطانيون أشكال ذلك التوجه، أصدر المرجع الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي فتواه التوضيحية لعموم مسلمي العراق، إذ جاء فيها: ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب أو يختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين^(٢). وقد عد انتقال المرجع الشيخ الشيرازي إلى كربلاء المقدسة ضربة

(١) المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ص ٤٦٣؛ وينظر: وجدان فريق عناد وستار جبار الجابري، حركة الجهاد في فكر الشيخ محمد تقي الشيرازي، بحث منشور ضمن وقائع اعمال المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر (المرجعية أثرها في بناء الأنسان)، مركز دراسات الكوفة، الجزء الثالث، القسم الاول، النجف، ٢٠١٩، ص ٣٠.

(٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث،، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٤، ج ٥، ص ١٠٣؛ عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث،، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة، بيروت، ٢٠٠٨، ج ١، ص ١٢٩-١٣٠؛ عبد الرزاق الحسني، الثورة

حقيقية للإدارة البريطانية كونه عمل على إعادة توحيد العراقيين من خلال الوحدة التي قامت بين القوميين ورجال الدين وشيوخ العشائر خلال الحقبة من أيار ١٩١٨ وحتى نيسان ١٩٢٠، إذ جرى التوقيع على مضابط من كافة الجهات العشائرية ورجال الدين ومثقفي الفرات الأوسط على الاستقلال التام والحكم العربي^(١)، وما كان ذلك ليحدث لولا نفوذ الشيخ الشيرازي وابنه محمد رضا بعد عودتهما من سامراء، إذ توضح تأثير ذلك في دور الحوزة العلمية في تحقيق الوحدة الوطنية العراقية الذي أضفى الطابع القومي للحركة وأكسبها سمات (دينية)، فكان اجتماع القوميين والإسلاميين على استقلال العراق التام وقيام الوحدة الوطنية العراقية في ظل ملك دستوري من أنجال الشريف حسين أتاح هذا البرنامج قيام وحدة وطنية عراقية^(٢). هذه الفتوى، هي من نشطت وأسندت الدعوة العراقية لإنجاز هدف الاستقلال وانتخاب أمير عربي على العراق، حينما جعلت الدين والوطنية، مجريان باتجاه واحد، هدفه الأساس الوطن والمواطن. وقد عزز ذلك النشاط بإرساله رسائل لجميع قادة الدول الكبرى المجتمعين في مؤتمر فرساي لإقرار السلم العالمي عام ١٩١٩، يدعوهم لإسناد المطالب العراقية بنيل الاستقلال. كما كتب رسالة طويلة للرئيس الأمريكي «ودرو ويلسون» يذكره فيها بنقاطه الأربع عشرة، ويطلب تدخله لإنجاز الاستقلال وإبعاد البريطانيين عن الإشراف على الشؤون

العراقية الكبرى، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٢، ص ٣٧.

(١) وميض عمر نظمي وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، مطبعة جامعة صلاح الدين، ١٩٨٩، ص ٣٥٣.

(٢) نظمي وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، ص ٣٧٣.

العراقية^(١).

لقد كان الإمام الشيرازي على معرفة جيدة ومطلعة على قدرات الطرفين البريطاني والعراقي والتي تميل لصالح المحتل، ولذلك فإنه دعا العراقيين إلى سلوك النهج السلمي للمطالبة بحقوقهم «تظاهرات واعتصامات، ومؤتمرات، ومذكرات ورسائل احتجاج،... الخ» تقديراً منه، بطرق كل أبواب العمل المتاحة في حينه^(٢). كما كان جهده متميزاً وواضحاً في بلورة وتحشيد جهد جميع العراقيين في مطالبهم بالاستقلال في أعوام ١٩١٩ و ١٩٢٠، بحيث كانت شخصيته محور التجمع لجميع الفئات في شكل نشاطها. وكان مقره في كربلاء بعد انتقاله لها من سامراء، لرغبته في أن يكون قريباً من نبض الميدان، لا يخلُ من أحد الموفدين من مختلف أنحاء العراق، ولعل توجيهه بانتخاب ممثلين عن الشعب لمواجهة سلطات الاحتلال، ونقل رغبات الشعب بالتححرر والاستقلال، يمثل نقلة نوعية لشكل التوجه المطلوب لإنجاز الاستقلال، لاسيما وانه دعم ذلك التوجه بكتابين أساسيين، يحث الجميع على العمل بهما، وفقاً لهذا الاتجاه^(٣).

إن تجاهل المحتل لرغبات الشعب، دفع الجميع لتغيير اتجاه أشكال المطالبة، وتصعيدها بما يمكنها من التأثير في شكل وصناعة القرار السياسي الخاص بالعراق، بحيث بدت أنشطة الحركة الوطنية العراقية، تؤثر في مجمل أوضاع المحتل، ولذلك ارتأت إدارته، بنفي عدداً من رجال الحركة الوطنية، خارج العراق، وكان من بينهم الميرزا «محمد رضا الشيرازي» نجل الإمام الشيرازي، لكن ذلك لم يكن حادثاً

(١) نظمي وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، ص ٢٣٥.

(٢) الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٤٣؛ وينظر: عناد والجابري، حركة الجهاد، ص ٣١.

(٣) علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ط ٢، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٩١،

يوقف نشاط الإمام في التوجه نحو تحقيق أهداف الوطنيين العراقيين الرامية للتحرر والاستقلال، وطلب سماحته من قادة الرأي والعشائر، عدم ربط عودة ابنه كمعادل للأهداف الوطنية حينما يطرحها المحتل كتسوية^(١).

فضلاً عن ذلك فإن انسحاب أو تراجع بعض القيادات الدينية العراقية المؤثرة، في دعم مطالب العراقيين أو تمسكهم في الابتعاد عن إعطاء رأي واضح وصريح في ما يخص الاستقلال والنشاط السياسي. هذا الأمر دفع القيادات الميدانية في بغداد والنجف الاشرف ومناطق الفرات الأوسط، أن تودع للشيرازي زعامة الثورة روحياً، إزاء ما عرف عنه من جرأة وحزم وإقدام، لاسيما انه ترافق مع ذلك التوجه، انتقال الزعامة المرجعية له، بعد وفاة سلفه، «الشيخ كاظم اليزدي» في نيسان ١٩١٩، مما أضفى على معسكر الاستقلاليين، الكثير من القوة والجرأة والحزم، وهما ما كانت تحتاجه الأوضاع السائدة آنذاك^(٢).

لقد كان لشخصية الإمام الشيرازي الوطنية والمخلصة والأمنية والراعية لحقوق المسلمين عموماً دوراً أساسياً في وحدة المسلمين في العراق، بغض النظر عن مذاهبهم أو مللهم، وهذا ما كان واضحاً في الفعاليات التي سبقت الثورة، والتي كانت تتوشح دوماً بعلم وموافقة الشيرازي المعنوية والدينية، مما أعطاه زخماً قوياً ومؤثراً. لقد كان سماحته يرجو حصول العراقيين على مطالبهم من خلال الاتجاهات والفعاليات السلمية، لكن فشل ذلك الاتجاه جراء تعنت البريطانيين وغرورهم، دفعه أن يكون راية الثورة وعلمها والمسند الأول والأخير لها، وصاحب الكلمة

(١) الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، ص ٨٣.

(٢) البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ص ٩٢-٩٨.

النهائية في تقريراتها، حيثما تستوجبها الحاجة^(١).

لقد بقيت الآثار الدالة على روحية الجهاد، كامنة في نفوس جميع العراقيين الذين خبت نفوسهم إزاء عدم انطباق ما قاله الجنرال مود بأنهم «جاءوا محررين وليس محتلين» مع وقائع ما يحدث، لذلك كانت الأبواب مشرعة نحو الثورة التي كانت تنتظر ملهماً لها، وهذا ما تكفل به الإمام الشيرازي حينما وضعته الأقدار، رجل الساعة المطلوب لإدارة دفعة العمل. ولم يخيب الرجل رجاء وأمل من وضعوا على عاتقه هذه المسؤولية. لأنه بعد أن فشلت الوسائل السلمية في إقناع السلطات البريطانية بتغيير موقفها تجاه مطالب العراقيين المشروعة، فقد التقط لحظة المستقبل البادية في الأفق، رغم ما يحيط بها من ضباب وأمل مؤجل، حينما أذن بالثورة، لأنها القادرة على تغيير كامل الأوضاع، أمام جبروت وغرور محتل طاغ، لا يتورع عن أي شيء في سبيل ديمومة احتلاله، بما يمكنه من نهب وسرقة ثروات وخيرات البلد، ولذلك كان رده على من استفتاه من الزعماء والرؤساء، في جواز القيام بالثورة ضد المحتل، بإصداره فتوى أجاز فيها الثورة المسلحة، سميت بالفتوى الدفاعية جاء نصها كالآتي: «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب من ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية، إذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم»^(٢).

وقد ترافق مع تلك الفتوى، حادثة الرميثة^(٣)، التي أرخت كبداية للثورة في ٣٠

(١) الوردى، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٥، ص ٢٣٤.

(٢) الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٣٨؛ وينظر: عناد والجابري، حركة الجهاد، ص ٣٤.

(٣) حادثة الرميثة: اعتقل حاكم الرميثة البريطاني الشيخ شعلان أبو الجون شيخ عشيرة الطولم من قبائل بني حجيم، بحجة تأخره بسداد الضرائب المترتبة عليه، لكن واقع الحال أن اعتقاله جاء تحسباً من تأثيره وفعاليته في ادامة زخم الثورة التي بدأت تباشيرها تتضح. وقد ارسل له ابن عمه الشيخ «غثيث الحرجان» قوة اقتحامية مكونة من عشرة أفراد من أبناء العشيرة، نجحت في=

حزيران ١٩٢٠، مما قطع على المترددين كل خيارات المودعة والرجاء التي كانوا يأملونها عند الطرف البريطاني، بحيث بدأ أن خيار العنف والقوة، هما الفاصل في شكل النتائج النهائية للصراع. ونرى إن فتوى سماحته، بمباركة الثورة، جاءت بعد تيقنه بعدم تغير القناعات البريطانية الخاصة بموضوع الاستقلال، وهذا أمر يتعارض ورغبة عموم الناس، ويتقاطع في الوقت نفسه مع مزاجية وقناعات الإمام الشيرازي، كما إن فتواه للثورة جاءت رغم إدراكه بعدم توازن القوى عند طرفي الصراع، لكنه عبر عن صميمية وطنية خالصة ونزعة ثورة متميزة، لا تتهيب من مواجهة الصعاب والتصدي لها. كما إن فتواه هي من سيّرت مسالك الثورة وأدامت زخمها للمرحلة التي امتدت بها، إذ كان لوجوده ودعمه المتواصل للثوار قوة دفع مضافة لقدراتهم على الطاولة، ولذلك، وبدون تجنٍ على أحد أو تجاوز على حقوق الآخرين، فإننا نرى إن فتوى سماحته هي من أسست العراق الحديث، بغض النظر عما قيل سابقاً ولاحقاً على أحداث الثورة ونتائجها النهائية، فضلاً عن ذلك، فإنه لو لا تلك الفتوى لما قاتلت العشائر تلك المدة خمسة شهور، إذ كانت لقاءاته مع الثوار متواصلة وأساسية للعمل المشترك^(١).

وما أشبه اليوم بالبارحة، فلقد كان لفتوى الجهاد الكفائي الذي أعلنته المرجعية العليا في النجف الأشرف، ضد عصابات داعش الأريهابية الأثر الأكبر والحاسم في الحيلولة دون تقسيم العراق ومنع داعش من التسلط على البلاد والعباد، وأن تلك

=تحرير «أبو الجون» وإطلاق سراحه، وأرخت هذه الواقعة كبداية لثورة العشرين. وقد ظلت عشائر بني حجين تقاتل البريطانيين طوال أيام الثورة، ولم تلق سلاحها اعتباراً، إلا بعد اتفاق متبادل بين الطرفين. وكانت وقائعها في «الرارنيجة» والعارضيات» والتي اوقعت بالبريطانيين خسائر كبيرة.

(١) رشيد الخيون، المشروطة والمستبعدة، ط١، منشورات معهد الدراسات الاستراتيجية، =

المهمة هي أشرف وأقدس المهمات حيث الحفاظ على وحدة العراق وحماية شعبه وأرضه وعرضه، حيث أستطاعت مرجعية النجف أن توظف كثير من الممكّنات العميقة التي تملكها قوته في صيانة وحدة العراق. ولهذا يمكننا القول إن الدور الذي أضطلعت به مرجعية النجف في تاريخ العراق الحديث والمعاصر والفتوى التي صدرت عنه ما هي إلاّ (فتوى من أجل السلم) ومن أجل تحرير الأنسان والأرض من بطش وظلم الغازي المحتل سواءً أكان ذلك المحتل بريطانياً أم داعشياً. وأن هذا النداء (الفتوى) قد خاطب جميع العراقيين بجميع طوائفهم وقومياتهم.

عموماً لقد استمر تصاعد قوة ثورة العشرين بشكل متنام، لكنها واجهت ضربة موجعة، تمثلت بوفاة ملهمها وقائدها الروحي الإمام الشيرازي في ١٣ آب ١٩٢٠، مما خلف أثراً بيناً على نشاط وفاعلية الثوار، رغم إن خليفته في المرجعية شيخ الشريعة الأصفهاني سلك طريق الدعم والإسناد للثورة ومنهجها، ساعده في ذلك وجود الشيخ مهدي الخالصي أحد أبرز القيادات الحركية والثورية في تاريخ العراق المعاصر، قد حافظ على روحية العمل الثوري^(١)، إلا إن آثار غياب الشيرازي كانت واضحة، لاسيما في تحلل بعض القيادات العشائرية من وعودها التي كان وجود الإمام الشيرازي حياً، تأكيداً على التزامها. ولا نجد مبالغة، حينما نقول، إن الثورة قبل وفاته كانت شيئاً، وتبعد وفاته أصبحت شيئاً آخر، رغم عدم انحرافها عن مساراتها الأساسية التي رعى نموها منذ وقت طويل. لقد كان فعل القيادات الدينية الداعمة للثورة محل استهجان وعدم رضى وقبول من قبل السلطات البريطانية، ولذلك أبغض البريطانيون، الإمام الشيرازي لأنهم وجدوه خارج إطار تأثيراتهم،

=بغداد-بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٧٧؛ وينظر: عناد والجابري، حركة الجهاد، ص ٣٣.

(١) الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٣٨؛ وينظر: عناد والجابري، حركة الجهاد، ص ٣٤.

مع تباعده عن نعمة الطائفية التي يجيد البريطانيون وأعوانهم من المعتاشين عليهم العزف عليها، مع تطلعه الشديد لانجاز الاستقلال بإصرار لا يلين، ولذلك فإنه لا نجد غرابة حينما يصفه البريطانيون بكل ما هو مسيء لسماحته^(١)، لكنه بزهم بكل مزاياه حين وضع معادلة القوة الوطنية كمعادل لقوة الاحتلال، مراناً بكل طاقاته وجهوده وزخمه المعنوي والاعتباري، على القوة الوطنية، دون أن يعير للسلطة واغراءتها أي اهتمام أمام الأهداف الوطنية وبذلك فإنه يطل على المشهد التاريخي العراقي في أي وقت، دون أن يكون من حق غيره الادعاء بذلك، لجهاديته ومبدئيته وإسهاماته الايجابية في بناء الوطن العراقي ونظرته الشمولية للإسلام التكاملي.

خاتمة:

* يعد الشيخ محمد تقي الشيرازي أحد أهم الشخصيات في تاريخ العراق المعاصر، ذلك أنه كان من أبرز زعماء حركة الجهاد التي واجهت غزو الجيوش البريطانية للعراق. ويعود له الفضل بحدثين كبيرين، لولاهما لما تشكلت الدولة العراقية الحديثة، وهما فتواه التي حرمت اختيار غير المسلم لحكم المسلمين عندما كانت الإدارة البريطانية تفكر بحكم العراق حكماً مباشراً، بنظام شبيه بحكمهم في الهند. والحدث الثاني فتواه في ثورة العشرين، تلك الفتوى التي اججت الثورة وأدامت زخمها، ذلك أنه أصبح القائد والملمه للثوار وزعماء العشائر العراقية.

* أستطاعت مرجعية النجف أن توظف كثير من الممكنات العميقة التي تملكها قوته في صيانة وحدة العراق في تاريخه الحديث والمعاصر، وذلك من خلال الفتوى التي كان لها الدور الأكبر في بلورة وتحشيد جهد جميع العراقيين ضد

(١) الوردى، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٥، ص ٦٥.

المحتل البريطاني والداعشي، وتوحيد العراق أرضاً وشعباً ضد أي عدوان خارجي، والحصول على حقوقه وأستقلال شعبه.

المصادر والمراجع:

١. أنصاري، شيخ مرتضى، زندگاني وشخصية شيخ انصاري، جاب سوم، قم، ١٩٨٩م.
٢. أيرلاند، فيليب ويلارد، العراق، دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر خياط، بيروت، ١٩٤٩.
٣. البازركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ط٢، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٩١.
٤. البازركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٥٤.
٥. بصري، مي، أعلام الأدب في العراق الحديث، لندن، ١٩٩٩.
٦. البصير، محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ج١، بغداد، ١٩٢٤.
٧. بيل، ألمس، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: وتعليق جعفر الخياط، ط٢، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.
٨. بيل، ألمس، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة: وتعليق جعفر الخياط، بغداد، ١٩٧٧.
٩. البخشايشي، عبد الرحيم العقيقي، كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين، ط١، بيروت، ٢٠٠٢.
١٠. التونجي، محمد، المعجم الذهبي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩.
١١. الحائري، عباس، حوادث الأيام، ج١، قم، ٢٠٠٠.
١٢. الحسني، عبد الرزاق، تاريخ العراق السياسي الحديث، دار الرافدين للطباعة

- والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة، بيروت، ٢٠٠٨.
١٣. الحسيني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٢.
١٤. الحسيني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ط٢، مطبعة العرفان، لبنان، ١٩٩٥.
١٥. حرز الدين، محمد، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، النجف الأشرف، ١٩٩٥م.
١٦. الخيون، رشيد، المشروطة والمستبدة، ط١، منشورات معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد- بيروت، ٢٠٠٦.
١٧. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط٧، بيروت، ١٩٨٩.
١٨. السراج، عدنان إبراهيم، السيد محسن الحكيم (١٨٨٩ - ١٩٧٠م)، ط١، بيروت، ١٩٩٣.
١٩. الشهر ودي، نور الدين، أسرة المجدد الشيرازي، طهران، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
٢٠. الصدر، حسن، تكملة أمل الأمل، بيروت، ١٩٨٦.
٢١. الطهراني، أغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر في القرن الرابع عشر، ج١، النجف، ١٩٥٤.
٢٢. الطهراني، أغا بزرك، هدية الرازي إلى الإمام المجدد الشيرازي، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ / ١٩٩٦م.
٢٣. آل طعمة، سلمان هادي، تراث كربلاء، ط٣، بيروت، ١٩٨٣.
٢٤. آل طعمة، سلمان هادي، معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، ط١، بيروت، ١٩٩٠.
٢٥. عبد الوهاب، بسام، معجم الأعلام، ط١، قبرص، ١٩٨٩.
٢٦. العاملي، محمد الحر، وسائل الشيعة، ج٥، ط٤، بيروت، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

٢٧. عناد والجابري، وجدان فريق وستار جبار، حركة الجهاد في فكر الشيخ محمد تقى الشيرازي، بحث منشور ضمن وقائع اعمال المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر (المرجعية وأثرها في بناء الأنسان)، مركز دراسات الكوفة، الجزء الثالث، القسم الاول، النجف، ٢٠١٩.

٢٨. الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، ط٢، مطبعة الشريد، بغداد، ١٩٧٥.

٢٩. قرانجي، فؤاد، العراق في الوثائق البريطانية (١٩٠٥ - ١٩٣٠)، بغداد، ١٩٨٩، مذكرات سندرسن باشا (طبيب العائلة الملكية في العراق ١٩١٨ - ١٩٤٦) ترجمة: سليم طه التكريتي، ط٢، بغداد، ١٩٨٢.

٣٠. القرشي، محمد يوسف إبراهيم، المس بيل وأثرها في السياسة العراقية،، بغداد، ٢٠٠٣.

٣١. لجنة آحياء تراث الإمام الشيرازي، في رحاب قائد ثورة العشرين الإمام الميرزا محمد تقى الشيرازي، ط١، كربلاء، ٢٠٠٤.

٣٢. المرعشي، شهاب الدين، الأجازة الكبيرة، قم، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٣٣. المرعشى، شهاب الدين، المسلسلات من الأجازات، قم ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٣٤. نظمي وآخرون، وميض عمر، التطور السياسي المعاصر في العراق، مطبعة جامعة صلاح الدين، ١٩٨٩.

٣٥. الوردى، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٤.

٣٦. ويلسن، أرنولد، الثورة العراقية، ترجمة: وتعليق: جعفر الخياط، ط٢، لبنان، ٢٠٠٤.

٣٧. الياسري، عبد الشهيد، البطولة في ثورة العشرين د، م، ط١، دار الرافدين للطباعة

والنشر والتوزيع، ٢٠١٠.

٣٨. اليساري، جاسم محمد ابراهيم، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية عام ١٩٢٠، دراسة تاريخية، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر (المرجعية وأثرها في بناء الأنسان)، مركز دراسات الكوفة، الجزء الثالث، القسم الأول، النجف ٢٠١٩م.

المرجعية الدينية ودورها في الوحدة الإسلامية

(محمد تقي الشيرازي أنموذجا)

أ.م.د. اياد يونس عريبي

(الجامعة المستنصرية)

iaiyad44@yahoo.com

أ.م.د. مثنى عبد الجبار عبود

(جامعة بابل)

basic.muthanna.abduljabbar@uobabylon.edu.iq

يركز البحث على رؤية أساسية تتمثل في دور مرجعية الشيخ الشيرازي في تبني الخطاب الإسلامي الموحد الجامع لأسس الوحدة الإسلامية المنطلق من ثوابت التراث القرآني والسنة النبوية والعترة الطاهرة وتوحيدها ضد المستعمر.

وجاءت تلك الرؤية من قراءة معمقة لأهداف المحتل الرامية إلى تشتيت وحدة المسلمين وإثارة الفوارق الطائفية والعشائرية والطبقية فيما بينهم، لغرض تحقيق أهدافهم وتنفيذ بنود المعاهدات السرية في البلدان العربية والإسلامية ولاسيما العراق.

وتكون البحث من مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، اذ جاء في المبحث الأول عن موقف المرجعية الدينية من الاحتلال البريطاني للعراق للمدة ١٩١٤-١٩١٨، في حين استعرض المبحث الثاني دور المرجعية الدينية في بلورة الوحدة الإسلامية ضد الاحتلال البريطاني للمدة ١٩١٨-١٩٢٠ في حين ركز المبحث الاخير على دور المرجعية الدينية في ثورة العشرين وتأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢٠-١٩٢١.

كلمات مفتاحية: محمد تقي الشيرازي، الوحدة الإسلامية، المرجعية الدينية، ثورة العشرين.

Religious reference and its role in Islamic unity

(Mohammed Taqi Shirazi)

Asist. Prof Muthana Abduljabbar Abood- Babylon University
Mustansiriyah university-Lecturer Ayad Younes Areeby

Abstract:

The research focuses on a basic vision represented in the role of the reference of Sheikh Al-Shirazi in adopting the unified Islamic discourse that gathers the foundations of Islamic unity, based on the constants of the Qur'anic heritage, the Prophet's Sunnah, the pure progeny, and its unification against the colonizer.

This vision came from an in-depth reading of the occupier's goals aimed at dispersing the unity of Muslims and stirring up sectarian, clan and class differences among them, for the purpose of achieving their goals and implementing the terms of secret treaties in Arab and Islamic countries, especially Iraq.

The research consisted of an introduction, three chapters and a conclusion, as it came in the first topic about the position of the religious authority on the British occupation of Iraq for the period 1914-1918, while the second topic reviewed the role of the religious authority in crystallizing Islamic unity against the British occupation for the period 1918-1920, while the last topic focused On the role of religious authority in the twentieth revolution and the establishment of the modern Iraqi state 1920-1921.

Keywords: Muhammad Taqi al-Shirazi, Islamic unity, religious reference, the Twenty Revolution

المقدمة:

امتازت المؤسسة الدينية الشيعية، بمواقف مرحلية واستراتيجية في أبعادها المحلية والإقليمية، وكان لرجالها على مر التاريخ، أدوار مهمة في فهم واستيعاب التحديات المعاصرة، ووضع الخطط المناسبة لمواجهةها، ومثلت في الوقت نفسه دوراً أبويًا مسؤولاً في تبني الخطاب الإسلامي الموحد الجامع لأسس الوحدة الإسلامية والوطنية، ولاسيما المتعلق منها في مواقف الدفاع عن العراق ضد إشكال الاستعمار والاحتلال، وبناءً على ذلك جاء اختيارنا لعنوان البحث الموسوم (المرجعية الدينية ودورها في الوحدة الإسلامية «محمد تقي الشيرازي أنموذجاً») لبيان الدور الوجدوي الإسلامي البارز للسيد الشيرازي في قيادة الأمة وإثارة الوعي الوطني والديني فيها، وتبني مشروع المواجهة المباشرة للاستعمار البريطاني، مدركاً من خلالها حجم المسؤولية الشرعية من جهة، ومطالب الشعب الحرة بضرورة الاستقلال من جهة أخرى.

تتركز إشكالية الدراسة في إبراز دور مرجعية السيد محمد تقي الشيرازي في ترسيخ مبدأ الوحدة الإسلامية والوطنية بين أطراف الشعب العراقي وتوظيفها في مواجهة السياسة البريطانية وخططها الطائفية الرامية في إضعاف الحركة الوطنية وزعزعة ثباتها.

قسم البحث الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، اذ جاء في المبحث الأول دور المرجعية الدينية في بواكير القرن العشرين، في حين استعرض المبحث الثاني دور المرجعية في بلورة الوحدة الإسلامية ضد الاحتلال البريطاني، في حين ركز المبحث الأخير على موقف المرجعية من ثورة العشرين. واستند البحث على العديد

من المصادر الأصيلة يأتي في مقدمتها كتاب (الثورة العراقية الكبرى) لمؤلفه عبد الرزاق الحسيني، وكتاب (كربلاء في ثورة العشرين) لمؤلفه سلمان ال طعمة، وكتاب (كربلاء في التاريخ) لمؤلفه عبد الرزاق ال وهاب، وكتاب (الوجيز في تاريخ العراق السياسي الحديث) لمؤلفه جواد الظاهر، وغيرها من المصادر المهمة.

المبحث الأول: دور المرجعية الدينية في بواكير القرن العشرين

رغم الأحداث الدولية المتسارعة التي هزت العالم في بدايات الربع الأول من القرن العشرين، وكان أبرزها اندلاع الحرب العالمية الأولى، فأن علماء الدين في العراق لم يصلوا إلى موقف موحد بشأن تلك التطورات في بداياتها، ولم يأخذوا دوراً واضحاً في ضمان حقوق الشعب على مختلف الصعد، ويعود ذلك إلى الفكرة القائمة آنذاك في الحوزات الدينية كان مبنياً على فكرة فصل الدين عن السياسة، اذ اعتقد عدد كبير من علماء الدين ان مهمتهم الأساسية تكمن في تدريس الفقه والعقائد الإسلامية وإعطاء فتاوى تخص المسائل الشرعية^(١).

أحدثت الحركة الدستورية المشروطة في إيران عام ١٩٠٥ تحولات فكرية لدى عدد من علماء الدين، ولاسيما علماء حوزة النجف، إذ شكلت تلك القضية جدلاً ونقاشاً واسعاً بين علماء وطلاب الحوزات العلمية، وافرز ذلك الجدل انقساماً إلى فئتين عرفت أحدهما بطبقة الأحرار والأخرى بطبقة المتشددين، وبناءً على ذلك أفتى العديد من العلماء المجتهدين بضرورة احترام الحرية الفكرية، وبوجوب

(١) جعفر عبد الله جعفر، أمير محمد الكاظمي القزويني ١٩١٨-١٩٧١ ودوره الاجتماعي وأثره الفكري والسياسي في البصرة، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٣، ص ٩٤-٩٦.

الأخذ بنظرية الحكومة المشروطة عن طريق وجود دستور ذي طابع ديمقراطي^(١). موقف رجال الدين من الحركة المشروطة يعد تحولاً فكرياً في انبثاق نظرية سياسية في أروقة الوسط الحوزوي، بعد أن كان النهج السائد فيها يقف بالضد منها، وأفتى الشيخ (محمد كاظم الخراساني ١٨٣٨-١٩١١) باحترام قوانين المجلس الدستوري الإيراني، جاء ذلك الموقف بعد تأييد عدد من المراجع والمجتهدين أمثال محمد تقي الشيرازي (١٨٤٠-١٩٢٠) وشيخ الشريعة الأصفهاني (١٨٥٠-١٩٢١) وغيرهم، فيما امتنع المرجع السيد محمد كاظم اليزدي (١٨٣١-١٩١٩)^(٢)، من تأييدهم، مبرراً بتعارضها مع الشريعة الإسلامية، كما أيد علماء الدين في النجف الدساتير الديمقراطية، وأبدى المرجع الشيخ محمد كاظم الخراساني تأييده للحركة الدستورية التي بزغت في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨، وأرسل رسالة إلى السلطان عبد الحميد الثاني في اسطنبول طالباً منه وجوب تطبيق الدستور العثماني، والعمل بموجبه وعدم مناهضة الحركة الدستورية العثمانية^(٣).

يبدو ان موقف السيد اليزدي المحايد تجاه الحرب العالمية الأولى، ولاسيما من العثمانيين والبريطانيين، جاء من خلال عدم قناعته بمناصرة العثمانيين كونهم السبب الأساس في تأخر العراق لمدة أربعة قرون من جهة، ومن جهة أخرى كان

(١) عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ط٢، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٥، ص ١٣٥.

(٢) السيد اليزدي: هو المجتهد محمد كاظم عبد العظيم اليزدي، فقيه الأمامية ومرجعها الأعلى، وهو صاحب الموسوعة الفقهية العروة الوثقى. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد حرز الدين، معارف الرجال فر تراجم العلماء والأدباء، ج ١، مكتبة اية الله المرعشي النجفي، النجف، ١٩٦٤، ص ٢٧٦-٢٨٢.

(٣) عبد الله الفياض، المصدر السابق، ص ١٣٥.

اليزدي مدرراً لخطر الاحتلال البريطاني، ولكنه وجد بأن زوال السيطرة العثمانية لا تتم الا من خلال بريطانيا، وبزوال العثمانيين يبقى الأمل معقوداً على توعية ونهضة العراقيون في مواجهة الاحتلال البريطاني.

تركت الحركات الدستورية (الإيرانية- التركية) تحولات فكرية في أروقة الحوزات العلمية النجفية، وأصبح هناك اهتمام بالواقع السياسي بهدف ضمان حقوق الشعب، علماً ان مواقف العلماء لم تكن موحدة من تلك الأحداث، فأخذ البعض منهم جانب الحياد كموقف السيد كاظم اليزدي لانتظار ما تتمخض الأحداث بعد الحرب، فيما نشط قسم آخر من العلماء وقاتل الى جانب العثمانيين بالضد من البريطانيين في البصرة منذ عام ١٩١٤، ومن أهم تلك المعارك ذات الإطار الديني هي معركة الشعبية عام ١٩١٥، وكان على رأسهم محمد سعيد الحبوبي (١٨٤٩- ١٩١٥) والسيد محسن الحكيم (١٨٨٩-١٩٧٠) وغيرهم، ولكن الكفة كانت لصالح القوات البريطانية ذات الأسلحة والخطط الحديثة^(١).

إضافة لما سبق، قاتل العراقيون القوات البريطانية في مدينة النجف اذ اندلعت هناك ثورة شعبية عام ١٩١٨ عرفت بثورة النجف، ولكن لم يكتب لها الصمود والنجاح بسبب القمع المفرط من القوات البريطانية وباستخدام أحدث الأسلحة والخطط الحربية^(٢).

(١) جواد الظاهر، الوجيز في تاريخ العراق السياسي الحديث، ط ٢، ج ١، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١، ص ١٩٧-١٩٩.

(٢) فاضل حسين وآخرون، تاريخ العراق المعاصر، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٥-١٦.

ايد الحاكم البريطاني في العراق (ارنولد تالبوت ويلسن:Arnold Talbot Wilson)^(١) وجهة نظر القادة البريطانيين بالإبقاء على الوصاية البريطانية على العراق، ما أثار ذلك المخطط حفيظة علماء الدين في العراق، اذ قاموا بكتابة مضابط تؤيد قيام دولة عربية مستقلة عن سيطرة بريطانيا يترأسها احد أبناء الشريف حسين، حاولت الحكومة البريطانية الالتفاف حول إرادة الشعب بتعيين عدد من المندوبين الذين يمثلون الأديان والطوائف في بغداد، وإرادة منهم قبول وجهة النظر التي أرادها ويلسن، لكن الأمور خرجت عن سيطرة البريطانيين اذ أجمعت الأغلبية من سكان بغداد على ان يكون العراق دولة عربية مستقلة وغير خاضعة لأي نوع من الاستعمار^(٢).

بعد ازدياد المطالبات العراقية باتجاه إعلان الثورة المسلحة، ظهرت في مدينة كربلاء وجهتها نظر مختلفتين: الأولى تبناها المرجع الديني الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي دعا فيها الى انتهاج المعارضة السلمية، بينما أكدت وجهت النظر الأخرى على ضرورة استخدام الصدام المسلح ضد قوات الاحتلال، وذلك لتجاهل بريطانيا لمطالب الحركة الوطنية، وجاءت تلك التحركات بمثابة صدى للأحداث الإقليمية، ومنها الثورة المصرية عام ١٩١٩ ومعركة ميسلون في سوريا، فضلاً عن مؤثرات داخلية وهو ثقل الضرائب التي فرضت على العراقيين^(٣).

(١) ارنولد ويلسن (١٨٨٤-١٩٤٠): رجل عسكري وسياسي بريطاني قدم مع الحملة العسكرية البريطانية المتجهة الى العراق عام ١٩١٤، تحت امرة المقدم بيرسي كوكس، وكان ويلسن آنذاك ضابط برتبة نقيب، ثم بعدها عين حاكماً عاماً بالوكالة بعد نقل بيرسي كوكس الى طهران، سعى الى الحاق العراق بالهند، قتل في نهاية المطاف في الحرب العالمية الثانية. للمزيد من التفاصيل ينظر: فؤاد قرانجي، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥-١٩٣٠، دار المأمون، بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٦.

(٢) جواد الظاهر، المصدر السابق، ص ٢٢٠.

(٣) عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤، ط ٢، الدار العالمية للطباعة، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٨٥-١٩٠.

بعد الموقف الواضح للسيد اليزدي كتب عدد من الأعيان الى الشيخ محمد تقى الشيرازي بضرورة قيادته للحركة الوطنية، وأعلن موافقته على تلك المهمة وانتقل أثرها من الكاظمية الى كربلاء وجعل الأخيرة مقراً لإقامته، وذلك للحفاظ على موقع المرجعية المركزي في النجف، أدى الشيرازي دوراً كبيراً في تحريك الجماهير، إذ أسس مجلساً استشارياً مكون من عدد من علماء الدين ومنهم الشيخ مهدي الخالصي والسيد علي هبة الدين الشهرستاني وعدد كبير من العلماء والأعيان^(١).

بعد تطورات الأحداث في العراق عقد اجتماع في دار محمد تقى الشيرازي قدمت فيه آراء حول نوع الحكم في العراق، وكانت الأغلبية تميل الى حكومة عربية واختيار عبد الله او أخيه زيد ملكاً على العراق، وفي ذلك الاجتماع قدم الوطنيون سؤالاً مهماً للشيرازي طلبوا فيه الإفتاء بجواز انتخاب غير المسلم للأمانة، فأصدر الشيرازي فتواه في ٢٤ كانون الثاني ١٩١٩ ما نصه: «ليس لأحد من المسلمين ان ينتخب ويختار غير المسلم للأمانة والسلطنة على المسلمين» فكان لتلك الفتوى اثر عميق في نفوس المسلمين من الشيعة والسنة على حد سواء، وحظت بتأييد واسع من العلماء والأعيان^(٢). ويبدو ان السيد الشيرازي أعطى من خلال فتواه رسالة واضحة ومهمة برفض السياسة البريطانية في إدارة وحكم العراق، وترك قرار الحكم واختياره قاده من قبل المسلمين حصاراً.

(١) مير بصري، اعلام الوطنية والقومية العربية، ط١، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢٤١؛ كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي سيرته واهواء على مرجعيته ومواقفه ووثائقه السياسية، ط١، مطبعة برهان، قم، ٢٠٠٦، ص ٩٦.

(٢) امين سعيد، ثورات العرب في القرن العشرين، دار الهلال، د. م، د. ت، ص ١٣٠؛ عبد الله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، الكويت، د. ت، ص ١٢١-١٢٢.

الى جانب ذلك، حاول البريطانيون استمالة السيد الشيرازي الى جانبهم، بطرائق عدة للتقرب منه، اذ زار ويلسن السيد الشيرازي في حزيران ١٩١٩ في داره وتحديث معه بالفارسية لأنه يتقنها، فأثار ويلسون نقطة حساسة وهي منصب كليدار^(١) سامراء وطلب من الشيرازي ان يرشح رجلاً شيعياً لذلك المنصب، فرد عليه الشيرازي بجواب وطني وهو «لا فرق لدي بين السني والشيعي، والكليدار الحالي رجل طيب ولا أوافق على عزله»، علماً ان الشيرازي كان يحظى بمنزلة رفيعة في نفوس السنة والشيعية^(٢).

ويبدو ان رد الشيرازي ينطلق من قراءة حكيمة وواعية في معرض رده لويلسن، وكان مدركاً ان ما يهدف إليه الأخير هو من أجل إثارة النعرات الطائفية وشق صفوف الوحدة الوطنية، وبهذا الموقف سجل الشيرازي موقفاً ودرساً مهماً في محاربة الطائفية وترسيخ ثقافة الوحدة الوطنية بين العراقيين ضد السياسة البريطانية.

(١) الكليدار: كلمة تركية الاصل معناها رئيس السدنة في العتبات المقدسة وهي تتكون من مقطعين كليك او كليت ويقصد بها المفتاح ودار كلمة آرية قديمة تعني صاحب ذو حامل او من بيديه يكون المفتاح، وبذلك يكون المعنى بصورة دقيقة صاحب المفتاح، وللكليدار والسدنة زي خاص بهم يحتفظون به الى يومنا هذا اذ يعتمرون الكشيذة الطربوش الاحمر يلف في اسفله قطعة خضراء للسادة وصفراء للعوام، وهناك عوائل توارثت هذه المهنة الشريفة حتى لقبوا بها بيت الكليدار. للمزيد ينظر: عباس جعفر الامامي، تاريخ السدانة الحسينية، بيت العلم للنابهين، بيروت، ٢٠١٤، ص ١٢.

(٢) سلمان هادي ال طعمة، تراث كربلاء، مكتبة الفردوس، بغداد، ٢٠١٣، ص ٢٢.

المبحث الثاني: دور المرجعية في بلورة الوحدة الإسلامية ضد الاحتلال البريطاني

كان لعلماء الدين في النجف ورؤساء القبائل آراء متباينة حول مستقبل الحكم في العراق، وقرروا الذهاب الى بيت المرجع السيد محمد كاظم اليزدي، وعرضوا عليه آرائهم المختلفة، وأجاب في معرض رده اليهم «أن الأمر خطيراً وليس سهلاً»، ونصحهم بالاجتماع مرة أخرى، وبناءً على ذلك عقد اجتماع تداولي في بيت الشيخ محمد جواد صاحب الجوهر، وحضر ذلك الاجتماع عدد من العلماء والإشراف ورؤساء القبائل وغيرهم، وتوصل المجتمعون الى آراء متنوعة كان أبرزها رأي الشيخ عبد الواحد ال سكر بقوله: «لسنا اليوم أيها السادة اكفاء للجمهورية، ولسنا فرساً او انكليزاً فنختار اميراً فارسياً او تركياً او انكليزياً، وإنما نحن عرب فيجب ان نختار اميراً عربياً، وحيث ان البيت الشريف في مكة اكبر بيت في العالم العربي فأنا نرغب ان تكون لنا حكومة عربية مستقلة يرأسها احد أنجال الشريف حسين» وبعد انتهاء الاجتماع توجه المجتمعون الى منزل المرجع اليزدي وعرضوا عليه آرائهم ذاتها وكان جوابه هو « انه رجل دين لا أعرف غير الحلال والحرام ولا دخل له بالسياسة مطلقاً»^(١).

يبدو ان تبني بعض العلماء ورؤساء القبائل وعدد من النخب الفكرية، لفكرة ترشيح الأمير فيصل بن الحسين لحكم العراق غير مدروساً، وأعطى ذلك الترشيح موقفاً ضعيفاً للخيارات الوطنية في إدارة الحكم من خلال تجاهل القيادات العراقية وترشيح الشخصيات الحجازية، الى جانب كون تلك الفكرة جاءت متوافقة مع توجهات السياسة البريطانية، وبناءً على ذلك يبدو ان اليزدي أبدى عدم تفاعله

(١) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، مطبعة العرفان، بغداد، ١٩٧٢، ص ٧٢-٧٣؛ عبد

مع مطالبهم لكونها لا تعبر عن إرادة العراقيين الحرة المناهضة لتوجهات السياسة البريطانية.

لم يقتنع المجتمعون برأي المرجع اليزدي، فاستطاعوا ان يحصلوا على تأييد المرجع الديني محمد تقي الشيرازي الذي كان في سامراء حينها، اذ جاء بعد ذلك الى كربلاء وآلت اليه المرجعية العليا بعد وفاة السيد اليزدي عام ١٩١٩، وقد وقع الشيرازي المضابط والمذكرات التي قدمها علماء ورؤساء القبائل وأرسلت في صيف عام ١٩١٩ بيد الشيخ (محمد رضا الشيببي ١٨٨٩-١٩٦٥) الى الشريف حسين، والتي أكدت على ضرورة ان يحكم العراق أمير عربي من أنجال شريف مكة، فضلاً عن ذلك ارسل الشيخ محمد تقي الشيرازي، وشيخ الشريعة الاصفهاني رسالة الى الرئيس الأمريكي (ودرو ويلسون Woodrow Wilson ١٨٥٦-١٩٢٤) يثبته فيها على الايفاء بوعدده الى الشعوب المظلومة بنيل حقوقها واستقلالها، كما أرسلت رسالة أخرى من الشيخ الشيرازي الى الرئيس الأميركي عن طريق السفير الأميركي في طهران، أعرب فيها عن دعمه ومساندته للأمير فيصل بن الشريف حسين^(١).

ويبدو ان تأييد الشيرازي لفكرة ترشيح الأمير فيصل بن الحسين لحكم العراق، لم يكن تأييداً شخصياً، بقدر ان يكون هدفه معرفة مدى مصداقية الجانب البريطاني في تنفيذ تعهداته اتجاه مطالب الحركة الوطنية العراقية، ومحاولة تفضيل واجهة الحكم العربية على نظيرتها البريطانية، وسهولة إجراء الإصلاح وتحقيق مطالب الشعب في ظل الإدارة العربية.

(١) محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين معلومات ومشاهدات من الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠، تقديم على الخاقاني، مطبعة التضامن، النجف، ١٩٧١، ص ١٨٣.

وبناءً على ذلك، فإن الشيرازي لم يكن مطمئناً من جدية السياسة البريطانية في احترام مطالب الحركة الوطنية في منح الاستقلال، وهو الأمر الذي انعكس على مواقفه الساندة لتحركات المواجهة السلمية والثورية للوجود البريطاني في العراق، اصدر الشيرازي فتوى في آذار عام ١٩٢٠ حرم فيها الدخول في وظائف الدولة، فعمت موجة من الاستقالات من الوظائف الحكومية امثالاً لموقف المرجعية، وصار البقاء في اجهزة الدولة يعد نوعاً من عدم الالتزام بفتاوى المرجعية، وجاء في الفتوى ما نصه: «ان قبول وظيفة حكومية في ادارة البريطانيين امر تحرمه الشريعة الاسلامية»^(١).

يبدو من خلال موقف الشيرازي بخصوص الوظائف كان الهدف منها هو لإخراج الإدارة البريطانية، وإيصال رسالة مفادها بعدم قناعة رجالات الحركة الوطنية بحكم العراق، لانهم يعدون هذه الحكومة هي صنعة بريطانية، علماً ان معطيات الفتوى كانت محدودة في المدى القريب، واسهمت في تهميش شريحة واسعة على المدى البعيد، لان الجانب البريطاني استخدم سياسة (اللف والدوران) في تشكيل الحكومة، واعتمدت الادارة البريطانية على مخرجات المدرسة العثمانية في تشكيل الحكومة.

وانسجماً مع مواقف الشيرازي المناهض للبريطانيين فقد أقدم نجله الميرزا^(٢)

(١) الميرزا: وردت هذه الكلمة في اللغة التركية والفارسية والعربية والاصل انها كلمة مركبة من كلمتين امير وزاده، ويقصد بها ابن الامير امتاز اصحاب هذا اللقب بكونهم من سلالة محمد وال بيته الاطهار. للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين، ميرزا مهدي الاصفهاني رائد التفكيك في المعرفة الدينية، مركز الحضارات لتنمية الفكر الاسلامي، النجف، ٢٠١٦، ص ٣.

(٢) جواد الظاهر، المصدر السابق، ص ٢٣٥.

محمد رضا الشيرازي بتأسيس جمعية سرية باسم الجمعية الإسلامية، وتبلورت أهدافا منها رفض الاستعمار الأجنبي والمطالبة بالاستقلال، وتشكيل جمعية عراقية ينتخبها الشعب تجتمع في بغداد لمهمة تأليف حكومة عربية مستقلة تماما عن اي نفوذ أجنبي ويرأسها ملك عربي مسلم، ورفع كافة القيود على اتصال الشعب العراقي بالأمم الأخرى، وإطلاق حرية الصحافة والاجتماعات والأحزاب في كافة أنحاء العراق، وفي نيسان عام ١٩٢٠ دعا السيد علوان الياسري (١٨٧٥-١٩٥١) الى اجتماع في داره في النجف حضره عدد من علماء الدين ورؤساء العشائر، كما حضره الميرزا محمد رضا الشيرازي وكان الاجتماع سريا، اذ تم طرح لأول مرة القيام بثورة مسلحة ضد القوات البريطانية، فأيدها البعض وتحفظ عليها آخرون وذلك تخوفا من قوة تسليح الجيش البريطاني وحادثة خططه العسكرية^(١).

كان لتلك الجمعية دورا رياديا في وحدة الصف الوطني وتجنب الخلافات العشائرية الضيقة، والانفتاح نحو قضايا الوطن في نيل استقلاله والحصول على حكومة وطنية، وقد ضمت الجمعية واجهات اجتماعية مؤثرة، ورفعت شعارات وطنية لامست أحاسيس المواطنين.

ومن أبرز أهداف الجمعية هو توحيد الكلمة بين الطوائف والقوميات العراقية، ولاسيما بين السنة والشيعة، ونظمت ندوات للشعراء والخطباء من كلا الطائفتين الذين أكدوا في قصائدهم على ضرورة الاتحاد تحت راية الإسلام، ومن أهم تلك القصائد هي قصيدة الشاعر محمد حبيب العبيدي وكان من أبناء العامة إذ قال في مطلعها:

(١) جواد الظاهر، المصدر السابق، ص ٢٣٥.

لا تقل جعفرية حنيفة لا تقل شافعية زيدية
جمعتنا الشريعة الاحمدية وهي تأبى الوصاية الغربية^(١).

وفي السياق ذاته أقيمت مظاهرات سلمية ضد البريطانيين وشارك فيها عدد كبير من زعماء الفرات الأوسط، كما أقيمت احتفالات كبيرة في جوامع بغداد ومنها جامع الحيدر خانة بمناسبة ولادة النبي ﷺ، وشارك في تلك الاحتفالات السنة والشيعية معا وهذا ترسيخ واضح للوحدة والتلاحم الوطني^(٢).

رسخ الشيخ الشيرازي في اجتماعاته مبدأ الوحدة الوطنية بين الطوائف السنة والشيعية، ولغرض تحقيق ذلك الهدف وجه الشيرازي رسالة خطية الى الشيخ موحان الخير الله في ٢٥ آذار ١٩٢٠ وهو احد شيوخ عشائر المنتفك جاء فيها ان جميع المسلمين أخوان تجمعهم كلمة الإسلام وراية القران الكريم والنبي محمد ﷺ، والواجب علينا جميعا الاتفاق والاتحاد والتواصل والوداد وترك الاختلاف والتعاون على البر والتقوى والتوافق في كل ما يرضي الله تعالى^(٣)، ووجه رسالة أخرى في اليوم التالي الى الشيخ احمد الداود وهو احد علماء السنة في بغداد، وما يلفت النظر فيها ورود كلمة الجهاد، إضافة لما احتوته من عبارات المدح والثناء على شخص الشيخ احمد، وختم الشيرازي رسالته بالشكر والدعاء للأخوة المؤمنين^(٤)، كما وصل وفد مثل اليهود والنصارى من أهالي بغداد وقابلوا رجال

(١) ابراهيم الوائلي، ثورة العشرين في الشعر العراقي، مطبعة الايمان، بغداد، ١٩٦٨، ص ٤١.

(٢) محمد طاهر العمري الموصللي، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج ٣، دار السلام، بغداد، ١٩٢٥، ص ٣٣٥.

(٣) عبد الرزاق ال وهاب، كربلاء في التاريخ، ج ٣، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٣٥، ص ٩٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩٧-٩٨.

الدين في الكاظمية راجين منهم إيصال شكرهم الى الشيخ الشيرازي لأنه أوصى بأهل الكتاب^(١).

وكان للشيرازي قبولاً واسعاً في الأوساط الشعبية العراقية وبمختلف طوائفهم وانتفاءاتهم، ولعل من المآثر المهمة في سيرة الشيخ الشيرازي هو أيمانه بالوحدة الإسلامية والتسامح الديني مع بقية الأديان الأخرى، فقد عمل الشيخ الشيرازي على التوفيق بين طائفتي السنة والشيعة، وأوصى بالمحافظة على سائر الملل والنحل وحسن معاملتهم، وقد ذكر علي البازركان دور الشيخ الشيرازي في توحيد كلمة المسلمين قائلاً: «زينا للشيعة الصلاة في مساجد السنة كما زينا للسنة الصلاة في مساجد الشيعة، وقد بارك تلك الفكرة وشجعها الميرزا محمد تقي الشيرازي...»، وقد وصف دور الشيخ الشيرازي في هذا المجال بأنه: «عمل بكل جهد ووسيلة لإزالة النعرات الطائفية، والفوارق الإقليمية، والعصبية القبلية، ونسيان الأحقاد العشائرية وبفضل هذه المساعي توحدت الصفوف...»^(٢).

هذا الاتجاه الوحدوي الذي غرسته المرجعية الدينية في ذهن العراقيين على اختلاف طوائفهم ولد خوفاً يورق البريطانيين الذين لا يستسيغون وحدة العراقيين بعد ان كانت هذه الاتصالات تصل الى أسماعهم، لذا انعكس خوفهم في احد التقارير الذي جاء فيه إشارة إلى وحدة السنة والشيعة، ومناقشتهم للأمر السياسي في كل مكان دون خوف او تحفظ^(٣)، وعليه يمكننا القول ان بريطانيا

(١) فريق مزهر ال فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها، ط ٢، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٩٥، ص ١٤٦.

(٢) علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٥٤، ص ٢١٨.

(٣) عبد الرزاق ال وهاب، المصدر السابق، ج ٣، ص ٩٩-١٠٠.

كانت تحشى من دور المرجعية الدينية لإدراكها مقدار الثقل الديني والسياسي الذي تتمتع به المرجعية وأثرها في نفوس المواطنين في مختلف أنحاء العراق عن طريق وكلائها.

أقيمت المناسبات الدينية المشتركة بين السنة والشيعة في جوامع وحسينيات عدة من بغداد، ما انعكست تلك النشاطات الاجتماعية في ازدياد نضج الحركة الوطنية ونشاطها السياسي، وتبلورت أهدافها حول قضية مركزية واحدة وهي نيل الاستقلال وطرده البريطانيين، ففي الجوامع العريقة في بغداد وهي (الحيدر خانة، عبد القادر الكيلاني، سيد سلطان علي، الخلائي) أقيمت مناسبات دينية شارك فيها المسلمون بمختلف طوائفهم، وعندما زار السيد محمد الصدر أحياء التكرارته والسوامره، استقبله أهلها بالترحيب ومن ضمن الحضور الشيخ احمد الداود (١٨٧١-١٩٤٨) فتعانق السيد والشيخ عنقا اخويا جسد وحدة المسلمين بكل معانيها، كما قام الملا عثمان الموصللي (١٨٥٤-١٩٢٣) بدور ريادي اذ اخذ يتجول في أحياء بغداد، وبالأخص الاعظمية والكاظمية، وهو يردد التواشيح الإسلامية، وسعى من خلال تلك الجولات الى ترسيخ مبدأ الوحدة الإسلامية وتحفيز الروح الوطنية بين افراد الشعب^(١).

ويبدو فيما ورد في أعلاه، كان للاماكن الدينية دوراً مهماً في استقطاب المسلمين بمختلف طوائفهم من خلال إقامة المناسبات الدينية في غالبية المدن العراقية ولاسيما في بغداد، والتي شهدت جوامعها حضوراً شيعياً وسنياً مشتركاً، وساهمت تلك

(١) حسن لطيف الزبيدي، موسوعة الأحزاب العراقية الاحزاب والجمعيات والحركات والشخصيات السياسية والقومية والدينية في العراق، مؤسسة التعارف للمطبوعات، بيروت،

المناسبات في ترسيخ روح الوحدة الإسلامية بين أبناء الشعب العراقي بمختلف أطيافه، وهيأت وألهبت تلك المناسبات الوعي الوطني والثوري اتجاه السياسة البريطانية.

أدت زعامات الحركة الوطنية دوراً أساسياً في الاستعداد للثورة، ولاسيما بعد تدمير العراقيين من مقررات مؤتمر سان ريمو سيء الصيت الذي عقد في نيسان عام ١٩٢٠ ومن مقرراته وضع العراق تحت هيمنة الانتداب البريطاني، إذ استغل زعماء الحركة الوطنية الزيارة الرجبية في السابع والعشرين من رجب الموافق السادس عشر من نيسان ١٩٢٠ أي قبل ثلاث أيام من انعقاد مؤتمر سان ريمو، إذ توافدت الكثير من الشخصيات إلى كربلاء، ومنهم عبد الواحد آل سكر شيخ آل قنله والملاك المعروف جعفر أبو التمن ومولود مخلص (ضابط سابق في الجيش العثماني) وخيون العبيد شيخ العبودة وعلي الشرقي وهو من علماء الدين وغيرهم، وكان اجتماعهم في دار السيد نور السيد عزيز الياسري للتباحث بأمور وضع البلد السياسي وآخر التطورات الدولية ومدى تأثيرها على العراق كما عقدت اجتماعات عدة من أجل إنضاج الأفكار الوطنية والسياسية لمواجهة السياسة البريطانية كان أولها في آيار^(١) ١٩٢٠.

لم يكن في نوايا الميرزا محمد رضا الشيرازي القيام بثورة عسكرية، ولكنه أراد أن تبقى الحركة الوطنية سلمية، وقد عقد عدد من زعماء الحركة الوطنية اجتماعاً في دار المرجع الديني الشيخ محمد تقي الشيرازي، وذلك لغرض الاستعانة برأيه حول فكرة قيام ثورة مسلحة ضد قوات الاحتلال، وكان اجتماعاً سرياً حضره

(١) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٩٨.

الشيخ عبد الكريم الجزائري (١٨٧٢-١٩٦٢) ومحمد جعفر ابو التمن والشيخ عبد الواحد ال سكر رئيس قبيلة ال فتله، والشيخ شعلان ابو الجون (١٨٦٤-١٩٣٠) احد رؤساء قبيلة الطوالم وغيرهم، فاستعرض بعضهم في حديثه فكرة القيام بثورة مسلحة، فأجابهم المرجع الشيرازي بأنه يخشى ان لا تكون للعشائر القدرة على محاربة الاستعمار، لكن الحضور أكدوا ان لديهم الإمكانيات الكافية على المواجهة، والثورة أصبحت ضرورة ملحة، رغم أمانهم بعدم المواجهة، لكن الثورة هي الحل الوحيد لنيل الاستقلال مع ذلك تخوف المرجع الشيرازي بقوله: «أخشى ان يختل النظام ويفقد الامن فتكون البلاد في فوضى، وانتم تعلمون ان حفظ الامن اهم من الثورة بل اوجب منها» وكان رد المجتمعون بأنهم متمكنون من حفظ الامن والنظام في البلاد، وعندما وجدهم متمسكون بفكرة الثورة رد عليهم المرجع « اذا كانت هذه نياتكم وهذه تعهداتكم الله في عونكم»^(١).

والحقيقة ان المرجع الشيرازي لم يعط اذنا بثورة مسلحة في هذا اللقاء، بدليل ان رسائل الشيرازي اللاحقة اكدت على ضرورة اتباع الطرق السلمية في مقاومة البريطانيين وحفظ الامن والنظام في البلد، وردد زعامات الحركة الوطنية في اجتماعاتهم التالية على ضرورة اتباع الطرق السلمية في مناهضة البريطانيين^(٢).

وبرغم تحركات رجالات الحركة الوطنية بهدوء، الا أنها لم تكن بمنأى عن أنظار الحكومة البريطانية اذ قامت باعتقال نجل المرجع الشيرازي الميرزا محمد رضا الشيرازي، وعدد من نشطاء الحركة الوطنية في كربلاء في الحادي والعشرون

(١) جواد الظاهر، المصدر السابق، ص ٢٣٥-٢٣٦؛ عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) كاظم المظفر، ثورة العراق التحريرية عام ١٩٢٠، ج ١، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٩، ص ١٥٢.

من حزيران ١٩٢٠، وجاء تلك الخطوة البريطانية، بناءً على اتهامه بكونه المحور الأساسي للحركة الوطنية، وعلى اثر ذلك تم نفيهم الى جزيرة هنجام وبعد مرور شهر على نفيهم توسط شاه إيران لهم عند بريطانيا، وتم نقلهم الى طهران في الثامن والعشرين من تموز ١٩٢٠ وبقوا فيها، لقد احدث هذا التصرف المتطرس من البريطانيين حفيظة العراقيين، لاسيما الفرات الأوسط واستعداد العشائر للتصدي للبريطانيين مستقبلاً^(١).

المبحث الثالث: موقف المرجعية من ثورة العشرين

وفي ظل تراكم المواقف السلبية للبريطانيين اتجه الحركة الوطنية العراقية، اندلعت الشرارة الأولى لثورة العشرين من الرميثة بتاريخ الثلاثون من حزيران ١٩٢٠، بعد ثورة الشيخ شعلان ابو الجون أحد رؤساء قبيلة الطوالم على البريطانيين، بسبب الالهانة والاعتقال الذي لحق به من قبل (هيات Hayat) معاون الحاكم السياسي في الرميثة لكن الشيخ شعلان هرب من السجن وترتب على ذلك قيام الطوالم بالهجوم على دار الحكومة البريطانية في الرميثة والسيطرة عليه، ودارت بين الطرفين مواجهات عنيفة^(٢).

وبالتزامن مع تلك الأحداث، سعى المرجع الشيرازي لمنع وقوع كارثة استفراد القوات البريطانية بقبيلة بني حجيم والتوسط لدى ويلسن رئيس الإدارة البريطانية في بغداد من اجل إيقاف القتال وسحب القوات البريطانية من مناطق القتال، وإعلان عفو عن المنفيين، الا ان ويلسن رفض الوساطة ولم يستقبل وفد المرجع الشيرازي محملاً اياه مسؤولية العمليات العسكرية عبر عمليات الإفتاء بالجهاد

(١) جواد الظاهر، المصدر السابق، ص ٢٤٥؛ عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ١٧٩.

(٢) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٢٧٩.

وتولية بعض المسؤولين التنظيمية الخاصة بالعلاقة بين المجتمع العراقي والوجود البريطاني في العراق قائلاً «هو الذي بذر البذرة وهذا يوم حصادها»، من دون ان يدرك ان ذلك الرد ستكون نتائجه عكسية على البريطانيين، ولاسيما من قبل العشائر العراقية وقيامها بتوحيد جهودها القتالية ضد المحتل^(١).

وبناءً على ذلك، دفعت تلك التطورات المرجع محمد تقي الشيرازي إلى إصدار فتوى بالجهاد ضد البريطانيين ما نصه: «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمان مطالبهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانكليز من قبول مطالبهم»^(٢).

ويبدو ان توجه السيد الشيرازي للمواقف الثورية لمواجهة الاحتلال البريطاني، جاءت بعد سلسلة من الخطوات السلمية التي أثبتت ضعف الاستجابة البريطانية في احترام مطالب الشعب، وفي نفس الوقت حاول السيد الشيرازي خلال مرحلة النهج السلمي أن يرسخ مقومات الجبهة الوطنية وتوحيدها لكي تكون قادرة على مواجهة الاحتلال وإجباره على تحقيق المطالب الشعبية.

انتقلت شرارة الثورة بعد ذلك، من الرميثة الى مناطق الفرات الأوسط مثل المشخاب والشامية والديوانية والنجف وكربلاء والحلة وغيرها من المناطق، فضلاً عن امتداد الثورة إلى المناطق الغربية مثل ديالى وشهربان والمقدادية ودلتاوة، وقد ساند عدد من شيوخ المحمودية ولواء الدليم الثورة بعد ان وصلت أليهم فتوى الشيخ الشيرازي التي حفزتهم على الجهاد ضد الاحتلال البريطاني، بعدها امتدت

(١) فريق مزهر ال فرعون، المصدر السابق، ص ٤٧٦.

(٢) جواد الظاهر، المصدر السابق، ص ٢٤٥؛ عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ١٧٩.

الثورة الى مناطق الفلوجة وعانة وحديثة، الا ان الشيخ علي سليمان رئيس قبائل الدليم حاول منع توسع الثورة في هذا اللواء، وقد ساعد القوات البريطانية في مواجهة الثورة^(١).

أدت الانتصارات السابقة والدعم المقدم الى الثوار الى تنظيم الإدارة في مدينة كربلاء، ودفعتهم الى تنسيق اعمالهم العسكرية والإدارية فيها، بعد ان أخذت موقف الترقب والحذر في البداية، ولكن بعد معركة الرارنجية التي حدثت في الخامس والعشرين من تموز ١٩٢٠ اتخذت المدينة موقفا بالانضمام الى الثورة، حيث اجتمع أعيان كربلاء بمعاون الحاكم السياسي محمد خان بهادر، وطلبوا منه تسليم كل ما لديه من صلاحيات الى هيئة وطنية ينتخبها أعيان كربلاء فطلب منهم محمد خان مهلة يومين، وفي تلك المدة حاول استخدام اللف والدوران بالاتفاق مع مدير شرطة كربلاء لكنه فشل^(٢).

لم يستطع الميرزا محمد خان بهادر معاون الحاكم السياسي في كربلاء من الحد من الروح الثورية او الوقوف بوجه الثوار فانسحب من كربلاء، وأصبحت المدينة تحت سيطرة ثوار الحركة الوطنية الذين رفعوا علم الثورة العربية على مبنى دائرة البلدية^(٣).

وقد وصلت فتاوى الشيخ الشيرازي الى المناطق الغربية من العراق بوساطة مبعوثه جدوع ابي زيد، الذي سافر الى الفلوجة في الثالث والعشرين من تموز،

(١) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٢٧٩.

(٢) سلمان هادي ال طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، بيسان، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٦١.

(٣) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٩٨.

والتقى هناك برئيس عشائر الجانبيين خضير الحاج عاصي الذي كانت له اتصالات سابقة مع رجال الثورة في الفرات الأوسط، واصطحب الشيخ خضير مبعوث الشيرازي الى بقية عشائر المنطقة ومنها ابو نمر وزوبع والدليم وغيرها، وكانت أهم شخصية التقى بها ابو زيد هو الشيخ ضاري المحمود رئيس عشيرة زوبع الذي كانت له اتصالات كثيرة مع زعماء الفرات الأوسط، ولاسيما مع عبد الواحد الحاج سكر، وعندما اطلع الشيخ ضاري على صورة فتوى الشيخ الشيرازي ورسالته زاد حماسه للثورة « يشهد الله تعالى على أنني عربي مسلم وقد عاهدته وأنت من الشاهدين (يقصد ابا زيد) على ان ابذل الغالي والرخيص في سبيل إنقاذ بلدي من الإنكليز، وليعلم العلماء والزعماء من أخواني أنني سأقوم بأدوار يسجلها التاريخ بعد ان يسمعوها فترضي الله والناس»^(١).

بعد مقتل الضابط البريطاني في لواء الدليم (ليشمان Leishman) على يد ضاري شيخ عشيرة زوبع أصبح الطريق ممهدا لمبعوث حوزة النجف السيد محمد الصدر لإلهاب حماس العشائر في سامراء ضد البريطانيين، وقد افلح في اقناع شيخ قبيلة عزة وهو حبيب الخيزران بمجابهة الاحتلال، واقتنع الشيخ بذلك واقسم على الإخلاص والتعاون مع ممثل المرجعية، وفعلا أرسل الخيزران مبعوثا منه إلى سائر أنحاء سامراء داعيا القبائل التي اغلبها على المذهب السني للانضمام إلى السيد محمد الصدر ونصرته، وأصبح هنالك أعداد كبيرة من المقاتلين على أهبة الاستعداد للمجابهة، وكانت باكورة أعمالهم الحربية تخريب مواقع البريطانيين وخطوط اتصالاتهم^(٢).

(١) محمد علي كمال الدين، المصدر السابق، ص ٣٠٥.

(٢) عبد الله فهد النفيسي، المصدر السابق، ص ١٤٨-١٤٩.

امتد مبعوثي الشيرازي الى مناطق جنوب بغداد مثل المحمودية واليوسفية في الثامن والعشرين من تموز، الى جانب منطقة عويريج، وكان لأبناء تلك المناطق اتصالات سابقة مع السيد هبة الدين الشهرستاني، اذ أرسل رسائل عدة، لعشائر تلك المناطق يحثهم فيها على الوحدة والثورة ضد بريطانيا، وطردهم من وظائفهم وتخريب طرق مواصلاتها التي كانت تستخدمها لنقل الأسلحة والاعتدة خلال الثورة، ومن الجدير بالذكر ان المس بيل اجتمعت بمجموعة من علماء السنة والشيعة من اهل بغداد، وطلبت تشكيل وفد منهم للتوجه الى مدينتي النجف وكربلاء للتعاطف مع رجال الدين في هاتين المدينتين لإيقاف العمليات العسكرية للثوار، وهذا يدل على مدى الضغط الذي عاناه البريطانيون من جراء الثورة.

أدت وفاة الشيرازي في السابع عشر من آب ١٩٢٠ الى حصول فراغ سياسي وأداري في العراق كله، لكون المرجع كان المنظم الأساسي للأوضاع السياسية والاجتماعية نتيجة صلته القوية بالعشائر ووجود تقارب بين توجهاته وتوجهات قادة ثورة العشرين^(١).

وفي الثامن والعشرون من آب عام ١٩٢٠ قاد السيد محمد الصدر العشائر الثائرة في سامراء ومنها عشائر الجبور والبوفراج والعزة والبوباز والخزرج والبوجواري والبوعباس وبني تميم، وقد حاصرت العشائر مركز مدينة سامراء لثمانية أيام، ولم يستطع البريطانيون فك الحصار عنهم لإنقاذ معاون الحاكم السياسي الميجر نوربري ومن معه من جنود بريطانيين الا بصعوبة بعد قصف العشائر بالطائرات

(١) سلمان هادي ال طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، ص ٦٣.

وارسال مفرزة طبية^(١).

ويبدو من الخطوات التي اتخذتها حوزة سامراء رسخت مفهوم الوحدة الوطنية والتعايش السلمي في المدينة، ورفعت شعار الوحدة الوطنية فوق الميول والاتجاهات الطائفية والعرقية، ويمكن عد حوزة سامراء مؤسس مهم للخط الوطني الواضح على طول تاريخ المرجعية.

واستجابة لتطويق الأحداث تحركت قطعات عسكرية بريطانية لقمع قوات العشائر التي فرضت سيطرتها على الوضع في مناطق مختلفة من العراق، لا سيما في الفرات الأوسط وإعلان الثورة في المشخاب ومحاصرة الثوار لمدن ابي صخير والشامية والكوفة، وذلك بعد سلسلة من المعارك بين القوات البريطانية والثوار، وقد شعر الثوار بأهمية السيطرة على بعض المناطق الأساسية لتسهيل عمليات الإمداد والخدمات اللوجستية وقطع طرق إمدادات القوات البريطانية وتحركاتها، وبالفعل تقدمت بعض فصائل الحركة الوطنية للسيطرة على سدة الهندية وكربلاء، لكن القوات البريطانية سبقتها بالسيطرة على السدة بسبب متانة المواقع البريطانية والتفوق العدد البريطاني على القوات العراقية المهاجمة، اتضح اهمية المقتربات الريفية لمدينة كربلاء ومعرفة الثوار بها وبطرقها والترصد للقوات البريطانية التي سعت لمهاجمة كربلاء واحتلالها، وعلى اثرها قامت القوات العشائرية المرابطة بقيادة الشيخ مرزك العواد على ضفتي نهر الحسينية بمباغثة القوات البريطانية اثناء مرورها بالمنطقة متجهة الى كربلاء، وقد أوقعت بالبريطانيين خسائر فادحة واجبرتهم على التراجع فاستغل الثوار ذلك التراجع من اجل التقدم والسيطرة على مدينة كربلاء،

(١) فراس صالح خضر الجبوري، الجذور التاريخية للهوية الوطنية العراقية ثورة العشرين انموذجا، جامعة تكريت للعلوم الانسانية (مجلة)، العدد ٢٦، تكريت، ٢٠١٩، ص ٣٤٠.

اذ أوعز الشيخ عبد الواحد ال سكر والسيد علوان الياسري في التاسع من آب الى مجموعة من الثوار بالتنسيق مع بعض القوات الموجودة داخل مدينة كربلاء لتحريرها، وبالفعل استطاعت تلك القوات دخول المدينة واسر حميد خان بن اسد خان الحاكم السياسي البريطاني فيها وإرساله الى الهندية لاحتجازه هناك، وهذا مثل انتصارا واضحا للثوار وضربة قوية للقوات البريطانية، ما رفع من معنويات الثوار وعزز من وضعهم الاجتماعي^(١).

ولكن لم يستطع قادة ثورة العشرين الاحتفاظ بالنصر، وذلك لقوة الترسانة العسكرية البريطانية، فضلا عن حدوث خيانات للثورة، ما أدى الى تسليم كربلاء وقبول شروط الاستسلام القاسية التي فرضتها قوات الاحتلال، الأمر الذي انعكس على أضعاف الروح المعنوية للمقاتلين من ابناء العشائر، وامتدت سيطرت البريطانيين الى مناطق ديالى والفلوجة وهيت وسدة الهندية والمحاصيل وخان الحصوة، ومنها تمت السيطرة على المسيب وبعدها نحو السدة الا ان السيطرة على تلك المناطق لم تتم بيسر بسبب مقاومة الأهالي، وبهذا فأن قوات الاحتلال البريطاني امتلكت مفاتيح الفرات الاوسط^(٢).

وبعد ان سيطرت القوات البريطانية طرح كوكس عدد من اجراءات من اجل امتصاص نقمة الاهالي وهو جعل مجلس شورى تحت رئاسة عربية، وتشكيل مؤتمر عراقي يمثل جميع اهالي العراق ينتخب أعضاؤه باختيارهم فتكون ما يجب

(١) عز الدين عبد الرسول عبد الحسين، محسن ابو طيخ ودوره في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير منشورة مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٩٩٩، ص ٤٥.

(٢) سلمان هادي ال طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، ص ٧٣.

عليه تجهيز القانون الأساسي المار ذكره باستشارة المؤتمر العراقي^(١)، يبدو ان تلك المقترحات جاءت لذر الرماد في العيون وإيهام الرأي العام العراقي، لان الاستقلال بصورة وأخرى سيكون شكليا لان بريطانيا نصبت نفسها المسؤولة عن سياسة العراق الداخلية والخارجية.

غادر ويلسون العراق في ٢٤ ايلول ١٩٢٠ وجاء بدله برسي كوكس في الأول من تشرين الاوّل ١٩٢٠ الذي لقب بالمندوب السامي بدل تسمية الحاكم السياسي العام، أسهم كوكس بتشكيل حكومة عراقية مؤقتة، والتي جاءت تلك الحكومة من ثمار ثورة العشرين التحررية^(٢).

الخاتمة:

١. ادت الثورتين الدستوريتين في تركيا وإيران الى تبلور الوعي الفكري والسياسي، وافرزت مناخا فكريا ناميا كان له الدور البارز في بث الوعي السياسي لدى الفئة المثقفة من جهة، ومواقف المرجعية الدينية من جهة أخرى.
٢. أحدثت الحرب العالمية الأولى تحولات فكرية أدت الى تطور الوعي الوطني والقومي في العراق، وبالاعتماد على قادة الحركة الوطنية والدينية ولاسيما السيد الشيرازي.
٣. رغم ولادة المرجع الشيرازي في إيران، الا انه تبنى خطاب عالمي لجميع المسلمين الذين يتعرضون للظلم في مختلف بلدان العالم، سواء في العراق او إيران او غيرها، وقد عكست سيرته صفة المواطنة الصالحة لا صفة الطائفة

(١) فريق مزهر ال فرعون، المصدر السابق، ص ١١٦-١١٧.

(٢) جواد الظاهر، المصدر السابق، ص ٣٠١.

والمكون، ورغم انه فارسي لكن خطابه وامتنياته وميوله كلها كانت تتجه نحو العروبة والاسلام.

٤. كان للشيرازي دور محوري في قيادة الحركة الدينية والعشائرية، وذلك لعلاقاته الواسعة مع العشائر، وفهمه لمسار العمل والعلاقات السياسية، ونتيجة هذا الكم من الخبرة تبنى مواقف حاسمة وواضحة تجاه مستقبل العراق السياسي، مرتكزاً على مقومات وأسس الوحدة الإسلامية والوطنية التي تبنهاها.

٥. لم يكن هينا على المرجع الشيرازي إصدار فتوى ورؤيته للدماء الزكية، لكنه وجد العقيدة الإسلامية والهوية الوطنية معرضة للخطر، وان مقدسات العراق وأرضه معرضة لاستباحة قوى أجنبية طامعة، ومن باب المسؤولية الابوية أصدر فتوى الجهاد ضد القوات الاستعمارية.

٦. من ثمار ثورة العشرين ان العراقيون سنة وشيعة كانوا طوع إرادة علماء الدين الشيعة صفا واحدا إثناء مدة الاحتلال، فكانوا لا يتحركون الا بتوجيهاتهم ويطبقونها كواجب شرعي ووطني وبشكل جماعي ملفت للنظر، وهذا الذوبان السني في طاعة المرجعية جاء نتيجة الدور القيادي الديني والوطني للسيد الشيرازي، الى جانب تعزيز دور الطائفة السنية والدفاع عنها.

٧. مبدأ الوحدة الإسلامية الوطنية الذي تبناه السيد الشيرازي شكل عاملاً أساسياً في الاستقرار، وكلما تخلخل هذا المفهوم برزت الأفكار الهدامة كالتائفية والعنصرية، لذلك عملت المرجعية على تنمية وتبني خطاب عالمي لإنضاج مفهوم الوحدة الوطنية، وما يؤكد ذلك ان المرجعية على امتداد تاريخها لم تطرح شخصيات للحكم وإنما اكتفت بالنصح والإرشاد.

قائمة المصادر:

الكتب:

١. امين سعيد، ثورات العرب في القرن العشرين، دار الهلال، د. م، د. ت.
٢. ابراهيم الوائلي، ثورة العشرين في الشعر العراقي، مطبعة الايمان، بغداد، ١٩٦٨.
٣. جواد الظاهر، الوجيز في تاريخ العراق السياسي الحديث، ط ٢، ج ١، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١.
٤. حسن لطيف الزبيدي، موسوعة الأحزاب العراقية الاحزاب والجمعيات والحركات والشخصيات السياسية والقومية والدينية في العراق، مؤسسة التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧.
٥. سلمان هادي ال طعمة، تراث كربلاء، مكتبة الفردوس، بغداد، ٢٠١٣.
٦. سلمان هادي ال طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، بيسان، بيروت، ٢٠٠٠.
٧. عباس جعفر الامامي، تاريخ السدانة الحسينية، بيت العلم للناهين، بيروت، ٢٠١٤.
٨. عبد الحلیم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤، ط ٢، الدار العالمية للطباعة، بيروت، ١٩٨٨.
٩. عبد الرزاق ال وهاب، كربلاء في التاريخ، ج ٣، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٣٥.
١٠. عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، مطبعة العرفان، بغداد، ١٩٧٢.
١١. عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ط ٢، مطبعة دار السلام،

- بغداد، ١٩٧٥.
١٢. عبد الله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، الكويت، د. ت.
١٣. علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٥٤.
١٤. فاضل حسين وآخرون، تاريخ العراق المعاصر، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٠.
١٥. فراس صالح خضر الجبوري، الجذور التاريخية للهوية الوطنية العراقية ثورة العشرين انموذجا، جامعة تكريت للعلوم الانسانية (مجلة)، العدد ٢٦، تكريت، ٢٠١٩.
١٦. فريق مزهر ال فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها، ط ٢، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٩٥.
١٧. فؤاد قزانجي، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥-١٩٣٠، دار المأمون، بغداد، ١٩٨٩.
١٨. كاظم المظفر، ثورة العراق التحررية عام ١٩٢٠، ج ١، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٩.
١٩. كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي سيرته واضواء على مرجعيته ومواقفه ووثائقه السياسية، ط ١، مطبعة برهان، قم، ٢٠٠٦.
٢٠. مجموعة مؤلفين، ميرزا مهدي الاصفهاني رائد التفكيك في المعرفة الدينية، مركز الحضارات لتنمية الفكر الاسلامي، النجف، ٢٠١٦.
٢١. محمد حرز الدين، معارف الرجال فر تراجم العلماء والأدباء، ج ١، مكتبة اية الله المرعشي النجفي، النجف، ١٩٦٤.
٢٢. محمد طاهر العمري الموصلي، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج ٣، دار السلام، بغداد، ١٩٢٥.

٢٣. محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين معلومات ومشاهدات من الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠، تقديم علي الخاقاني، مطبعة التضامن، النجف، ١٩٧١.

٢٤. مير بصري، اعلام الوطنية والقومية العربية، ط ١، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩.

الرسائل والاطاريح:

٢٥. جعفر عبد الله جعفر، أمير محمد الكاظمي القزويني ١٩١٨-١٩٧١ ودوره الاجتماعي وأثره الفكري والسياسي في البصرة، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٣.

٢٦. عز الدين عبد الرسول عبد الحسين، محسن ابو طيخ ودوره في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير منشورة مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٩٩٩.

دور المرجعية الدينية في المحافظة على الهوية الوطنية

فتاوى الشيخ الشيرازي نموذجا

أ.م.د. غصون مزهر حسين

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب - قسم التاريخ

dr.ghsoon_mezher@yahoo.com

الملخص

شهد تاريخ العراق المعاصر أحداث سياسية مهمة، شكلت نقاط تحول تاريخية كانت من أبرزها مقاومة الشعب العراقي ضد الاحتلال البريطاني، لذا برز الكثير من القادة الوطنيين والزعماء الروحيين الذين التف حولهم الشعب لنيل الحرية والاستقلال، وبرز مثال على هذا التلاحم الوطني والالتفاف حول رموز وطنية هو التلاحم بين زعماء المرجعية الدينية وعلمائها مع أبناء الشعب بجميع طوائف في مطلع القرن العشرين وخاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وتقدم بريطانيا لاحتلال المناطق التي كانت تسيطر عليها الدولة العثمانية.

وقد مارست المرجعية الدينية أدوراً خطيرة في تاريخ الأمة الإسلامية، عبر فتاواها التي أصدرتها في أوقات حساسة في التاريخ الحديث، فكان لها تأثيرها الكبير في مجريات الأحداث، كما حدث مثلاً، في فتوى الجهاد ضد الاستعمار البريطاني، التي صدرت عن مراجع التقليد في العراق عام ١٩١٨، والتي نصت على قتال الإنكليز وحرمة التعامل معهم، وكذلك الفتوى الشهيرة للميرزا محمد تقي الشيرازي في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٩م، والتي حرمت المشاركة في استفتاء يهدف إلى قيام إدارة بريطانية في العراق، وفتوى الجهاد في ثورة العشرين في ٣٠

حزيران ١٩٢٠ ضدّ الاحتلال البريطاني للعراق.

أدرك البريطانيون بان الفتوى، تمثل سلاحاً لا يمكنها مواجهته، لانهم ببساطة، ليس بوسعهم استيعاب المسألة او فهمها، وما الذي يجعل شعب كامل او شعوب بأكملها بإطاعة رجل واحد في أمر ما والالتزام بما يقوله، ولذا لجأوا الى اساليب ملتوية وقذرة في سبيل مواجهة السلطة الروحية للمرجعية الدينية.

من هنا جاء بحثنا هذا لدراسة الدور التاريخي والسياسي البارز لمواقف المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي ودور الفتوى الصادرة عنه في المحافظة على الهوية العربية والاسلامية للعراق في مواجهة المشروع البريطاني في وضع حاكم بريطاني على العراق، من خلال مواجهة عملية الاستفتاء عام ١٩١٩، والذي حاولت أن تجريه سلطات الاحتلال البريطاني في مدن معينة من العراق، المدن التي لها ثقل ديني وسياسي مهم، خاصة بعد أن نكثت بريطانيا وفرنسا بوعدهما الخاص بأنشاء دول عربية في المنطقة بعد انسحاب النفوذ العثماني من المنطقة العربية، وقد تم تناول هذا الموضوع بأسلوب تاريخي تحليلي لدراسة الوقائع في هذه الفترة.

كلمات مفتاحية: المرجعية الدينية، الهوية الوطنية، الشيخ محمد تقي الشيرازي.

The role of religious authority in preserving national identity

The fatwas of Sheikh Shirazi as an example

Assistant Professor Dr.Ghsoon Mezher Hussein

Department of History

College of Arts / Al-Mustansiriya University

Summary

The contemporary history of Iraq witnessed important political events, which formed historical turning points, the most prominent of which was the resistance of the Iraqi people against the British occupation. Therefore, many national leaders and spiritual leaders emerged around whom the people gathered to achieve freedom and independence. The most prominent example of this national cohesion and rallying around national symbols is cohesion. Between the leaders of the religious authority and its scholars with the people of all sects at the beginning of the twentieth century, especially after the end of the First World War and Britain's progress to occupy the areas that were controlled by the Ottoman Empire.

The religious authority has played dangerous roles in the history of the Islamic nation, through its fatwas that it issued at sensitive times in modern history, and it had a great impact on the course of events, as happened, for example, in the fatwa of jihad against British colonialism, which was issued by the references of tradition in Iraq in 1918. , which stipulated fighting the English and the prohibition of dealing with them, as well as the famous fatwa of Mirza Muhammad Taqi al-Shirazi on January 23, 1919 AD, which forbade participation in a referendum aimed at establishing a British administration

in Iraq, and the fatwa of jihad in the twenty-first revolution on June 30, 1920 against the British occupation of Iraq.

The British realized that the fatwa was a weapon they could not confront, because they simply could not comprehend or understand the issue, and what makes an entire people or entire peoples obey one man in something and abide by what he says, so they resorted to twisted and dirty methods in order to confront the spiritual authority for religious reference.

Hence our research came to study the prominent historical and political role of the positions of the reference Sheikh Muhammad Taqi Al-Shirazi and the role of the fatwa issued by him in preserving the Arab and Islamic identity of Iraq in the face of the British project in placing a British ruler over Iraq, by confronting the referendum process in 1919, which I tried to conduct The British occupation authorities in certain cities of Iraq, cities that have an important religious and political weight, especially after Britain and France reneged on their promise to establish Arab states in the region after the withdrawal of the Ottoman influence from the Arab region. Period.

Keywords: religious reference, national identity, Sheikh Muhammad Taqi al-Shirazi.

المقدمة:

شهد تاريخ العراق المعاصر احداث سياسية مهمة، شكلت نقاط تحول تاريخية كانت من ابرزها مقاومة الشعب العراقي ضد الاحتلال البريطاني، لذا برز الكثير من القادة الوطنيين والزعماء الروحيين الذين التف حولهم الشعب لنيل الحرية والاستقلال، وبرز مثال على هذا التلاحم الوطني والالتفاف حول رموز وطنية هو التلاحم بين زعماء المرجعية الدينية وعلمائها مع ابناء الشعب بجميع طوائف في مطلع القرن العشرين وخاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وتقدم بريطانيا لاحتلال المناطق التي كانت تسيطر عليها الدولة العثمانية.

أدت المرجعية الدينية دوراً دينياً واجتماعياً وسياسياً متميزاً منذ بداية الغيبة الكبرى، فقد أمنت العلاقة المباشرة بين الفقيه مرجع التقليد وبين أتباعه ومقلّديه، استقلاليةً للمرجعية عن المؤسسة السياسية الحاكمة، ومارست المرجعية الدينية أدوراً خطيرة في تاريخ الأمة الإسلامية، عبر فتاواها التي أصدرتها في أوقات حساسة في التاريخ الحديث، فكان لها تأثيرها الكبير في مجريات الأحداث، كما حدث، مثلاً، في فتوى الجهاد ضد الاستعمار البريطاني، التي صدرت عن مراجع التقليد في العراق عام ١٩١٦.

أدرك البريطانيون بان الفتوى، تمثل سلاحاً لا يمكنها مواجهته، لانهم ببساطة، ليس بوسعهم استيعاب المسألة او فهمها، وما الذي يجعل شعب كامل او شعوب بأكملها بإطاعة رجل واحد في أمر ما والالتزام بما يقوله، ولذا لجأوا الى اساليب ملتوية وقدرة في سبيل مواجهة السلطة الروحية للمرجعية الدينية.

مهما كانت الحاجة الى الفتوى لمواجهة المخاطر والتحديات، فان المرجعية الدينية، وعلى طول الخط، تأخذ في نظر الاعتبار ملف الامن والاستقرار قبل التفكير في خوض المواجهة، فهي تتحقق بنسب عالية من عدم انزلاق الاوضاع نحو الفوضى وانتهاك الحرمات والحقوق العامة، ثم تتخذ قرارها بإصدار الفتوى، ولعل هذا بحد ذاته يعزز وجود الفتوى في الساحة كسلاح ردع في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية على حد سواء، فهو ليس كأبي سلاح في المعركة، إنما هو سلاح ذو بعد استراتيجي من نوع خاص لا يوجد في أي مكان بالعالم، وهذا ينم عن معرفة دقيقة بالعدو الذي ينطلق من مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» فيلجأ الى كل الاساليب لتحقيق مبتغاه حتى وإن كان على نهر من الدماء والاشلاء والتلاعب بمصائر الشعوب، وهو ما تعارضه بشدة المرجعية الدينية التي تنطلق من منظومة قيم ومبادئ اخلاقية وانسانية.

اولاً: المرجعية واهميتها (الميرزا الشيرازي مرجعاً)

للمرجعية اهمية كبيرة في حياة المجتمع وخصوصاً بعد بدأ الغيبة الكبرى للأمام المهدي (عجل الله فرجه)، وينبع ذلك من مكانة المرجع فهو الفقيه الذي تدان له الامة وترجع اليه علمياً وتثق بقيادته، فالمرجع يمتلك الجانبين العلمي والاجتماعي، فهو من الناحية العلمية مجتهد وفقه كأي واحد من الفقهاء أو اعلى منهم، وهو من الناحية الاجتماعية يتمتع بثقة الامة من خلال تجربة طويلة عاشها المرجع، واكتسب بها درجة عالية من العدالة والخبرة وقوة الصمود والارادة، فمن شروط المرجع التصدي الشجاع والفعلي للامور العامة، والدفاع عن بيضة الاسلام والامة الاسلامية ومصالحها، والوقوف بوجه اعدائها والمخاطر التي تحيط بها^(١).

في اواخر القرن التاسع عشر واولائل القرن العشرين ظهر نوع من التحول

(١) راجي نصير، المرجعية الدينية في النجف الاشرف وأثرها في الراي العام العراقي بعد عام ٢٠٠٣، مركز العميد للبحوث والدراسات، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، ٢٠١٨، ص ٣٠-٣٢.

والتطور لكيان المرجعية ودورها في الحياة العامة، وخصوصا مع ازدياد الاطماع الاستعمارية في البلاد، حيث بدأت المراجع تتسلم القيادة في الصراع ومواجهة القوى الاجنبية التي غزت بلاد المسلمين، وهدف المراجع هو الحفاظ على مصالح المواطنين كافة والدفاع عنها، وهنا دخلت المرجعية دورا جديدا من ادوارها المهمة وهو القيادة للمجتمع والتصدي لمشاكله، وبدأت بشكل مميز في عام ١٨٩٤، حيث برزت مرجعية ثلاثة مراجع كبار من الفقهاء وهم الملا محمد كاظم الخراساني ت ١٩١١، والسيد محمد كاظم اليزدي ت ١٩١٨، والميرزا محمد تقي الشيرازي ت ١٩٢٠، فقد كان لهم دور كبير في توسيع الفقه والاصول ومبدأ الاجتهاد، اضافة الى المواقف السياسية التي تميزوا بها^(١).

ان طبيعة المواقف التي تصدر من المرجعيات الشيعية بمختلف ادوارها وانتهااتها، حيال القضايا والتحديات السياسية والاجتماعية التي تعصف بالامة، كانت تتجاوز جميع النزعات القومية والوطنية وثبت ذلك خلال احداث ثورة العشرين بشكل واضح^(٢).

كانت من ابرز وسائل المرجعية الدينية لإيصال رسائلها الى الجماهير والرأي العام هي الفتوى الشرعية والخطب من على المنبر الحسيني في يوم الجمعة او المناسبات، لذا كانت الفتوى تحمل اهمية كبيرة فهي سلاح مهم استخدمته المرجعية في سبيل تحقيق مطامح الجماهير في السعي للخلاص من الاحتلال.

وتنبع اهمية الفتوى التي تصدرها المرجعية من الاهتمام والطاعة التي يوليها

(١) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٢) رسول جعفریان، التشيع في العراق وصلاته بالمرجعية وايران، ترجمة حيدر محمد جواد، دار الحبيب، مطبعة غزة، ايران - قم، ١٤٢٩هـ، ص ٧٧.

الشيعة لعلمائهم باعتبارهم نواب الائمة، وهذه الميزة خاصة بعلماء الشيعة دون غيرهم من العلماء في المذاهب الاسلامية الاخرى، وتعد هذه الفتاوى بمنزلة النص الديني من حيث القدسية وضرورة التقيد بها، وللمرجعية اهمية كبيرة في عملية البناء الذاتي والدعم القوي للمطالبة بالحقوق والعمل على توحيد المجتمع والسير فيه نحو القوة والمكانة المستقلة، فسر قوة الشيعة تنبع من القوة الذاتية وليس من السلطة والتي من ركائزها المرجعية الدينية^(١)، والمرجع هو نائب الامام كما ذكرنا، وله سلطات تماثل سلطات الامام، فله حق الافتاء وعلى المواطنين التقليد، وكذلك له حق القضاء بين الناس في المسائل الدينية والحياتية، وله حق الولاية على الناس، لذا فالإفتاء هو من المهام الكبرى للمرجع الديني، وهناك فتاوى كانت لها اهمية كبيرة في حياة المجتمع، ساهمت في حركة الرأي العام واتخاذ مواقف حاسمة ضد السلطات الطاغية والقوات المحتلة.

وتوجد الكثير من البيانات والفتاوى التي اطلقها علماء الشيعة دون ان تكون موجهة للشيعة فقط، حيث تؤكد هذه الفتاوى اهمية الوحدة في مواجهة الهيمنة الغربية وان هدفهم هو انتصار الاسلام، الامر الذي يعكس انفتاح الذهنية الثقافية الشيعية^(٢).

ومن ابرز مراجعنا العظام والذين كان لهم الدور الكبير في احداث تغييرات جوهرية في مسيرة الاحداث في تاريخ العراق خلال بدايات القرن العشرين، وتحديدًا مع دخول القوات البريطانية لاحتلال العراق ومطاردة القوات العثمانية

(١) راجي نصير، المصدر السابق، ص ٧٧.

(٢) رسول جعفریان، المصدر السابق، ص ٩٤.

المهزومة، هو المرجع الكبير (الميرزا محمد تقي الشيرازي الحائري)، ويعرف بأنه «هو المجاهد الاكبر الشيخ محمد تقي ابن الحاج محب بن علي بن ميرزا محمد علي كلش الحائري الشيرازي، زعيم الثورة العراقية، وموري شرارتها الاولى من اكابر العلماء والمجتهدين، ولد في شيراز ونشاء في الحائر الشريف وقرأ الاوليات ومقدمات العلوم وحضر في كربلاء على العلامة الشيخ حسين الاردكاني»^(١).

ثانياً: دور فتوى الشيرازي في مقاومة الاحتلال البريطاني

في الفترة المتأخرة من الحكم العثماني، ازدادت الضغوط على الشيعة في العراق، وكانوا يعدون مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة^(٢)، ومع بدا تدهور الاوضاع في الدولة العثمانية برز الانكليز كقوة عظمى في اتجاه الصراع، حيث مثلت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) بداية مرحلة مهمة في دور المرجعية وتوليها قيادة المجتمع ضد المشاريع الاستعمارية، فرغم عظمة التحديات التي اظهرتها هذه الحرب الا ان الاستجابة الجماهيرية المضادة كانت بطيئة ولم تقدر خطورة الموقف والتحديات التي تواجهها الامة بسبب الاطماع الاستعمارية، الامر الذي استوجب وقفة مهمة من المراجع والعلماء لتوجيه مسار الجماهير نحو توحيد مواقفهم ضد التوجهات الاستعمارية المتقدمة اليهم، وقد وقف الاتجاه الاسلامي الشيعي الى جانب الدولة ضد الاستعمار البريطاني حفاظاً على بيضة الإسلام وكان ذلك للدفاع عن الإسلام بغض النظر عن موقف الدولة العثمانية منهم^(٣).

ان تلك المرحلة كانت حاسمة في توحيد مستقبل البلاد الاسلامية وخصوصاً

(١) سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء (تاريخها، عشائرها، أعلامها)، مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، كربلاء، ط ١، ١٩٦٤، ص ٢٠٣.

(٢) رسول جعفریان، المصدر السابق، ص ٩٢.

(٣) سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، مؤسسة دائرة المعارف الفقه الاسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤، ص ٧٥.

الجزيرة العربية والعراق والشام، لأنها كانت ساحات الصراع بين الاطراف المختلفة، وميدان التطبيق الحقيقي للمبادئ والاتجاهات الفكرية والسياسية، فقد تعرضت هذه المنطقة الى هجمة كبيرة من الدول الاستعمارية قسمت الولايات التي كانت تابعة للدولة العثمانية المنهارة بين هذه الدول والتي سعت لتأمين مصالحها في النفط وحماية طرق التجارة^(١).

لقد اظهرت المرجعية الدينية مواقف مميزة في تلك الفترة، حيث تصدت للتقدم الاستعماري في المنطقة، واصبح العلماء والفقهاء هم جزء اساسي من الاحداث وادارتها، حيث واجهت المرجعية الدينية صراع جديد جعلها في مواجهة مباشرة مع الاستعمار البريطاني وخاصة بعد تقدم القوات البريطانية باتجاه البصرة، فقد كان من وجهة النظر البريطانية أن المواطنين وخاصة في مناطق الجنوب والذين تعرضوا للتعصب العثماني الطائفي ضدهم، سوف يناصرون التدخل البريطاني ضد الدولة العثمانية للتخلص من الاستبداد العثماني ضدهم وقبول أي شخص يخلصهم من ذلك الظلم^(٢).

فعندما دخلت القوات البريطانية الى البصرة في (٢٢ تشرين الثاني عام ١٩١٤)، لعب علماء الدين في الحوزة العلمية دورا كبيرا في استثارة المواطنين وابناء العشائر، وخاصة بعد ان ارسل اهالي البصرة برسالة في (٤ تشرين الثاني ١٩١٤) الى رجال الدين في المدن المقدسة يطلبون فيها المساعدة للدفاع عن المدينة، لذا قام المجتهد

(١) عباس كاظم، ثورة ١٩٢٠ قراءة جديدة في ضوء الوثائق التاريخية، ترجمة حسن ناظم، التنوير للطباعة، لبنان - بيروت، ٢٠١٤، ص ٢٨٧.

(٢) راجي نصير، المصدر السابق، ص ٦٣.

الكبير السيد محمد كاظم اليزدي^(١)، في (١٦ كانون الاول ١٩١٤) بالخطبة في مرقد الامام علي عليه السلام وامر الناس بالتوجه للدفاع عن الاراضي الاسلامية وفرض على غير القادرين على المشاركة في القتال تقديم المال للمساهمة في اعداد المقاتلين وتجهيزهم^(٢)، كما ارسل ولده للمشاركة في الجهاد وقيادة كتائب المتطوعين عام ١٩١٤، واتخذ المجتهدون الشيعة في باقي المدن المقدسة في كربلاء وبغداد وسامراء حيث الميرزا محمد تقي الشيرازي، نفس موقف السيد اليزدي في تحشيد الجماهير وابناء العشائر لغرض المشاركة في الجهاد حيث كان يقيم في سامراء، لذا ارسل ابنه الشيخ محمد رضا لالتحاق بالوحدات المحاربة والتي كان قد جندها المجتهد الحيدري في منطقة الفرات الاوسط، وقد افتى الميرزا الشيرازي بوجوب محاربة الكفار (الانكليز)^(٣).

ورغم هذه التحركات القوية وكثرة المواجهات مع القوات البريطانية في مناطق عدة الا ان القوات البريطانية استطاعت اكمال احتلال البصرة والتقدم داخل اراضي العراق لاكمال احتلاله، وذلك لتفوقها في الاسلحة بالإضافة الى الخسائر التي منيت بها القوات العثمانية الامر الذي سبب تفكك في القوات المجاهدة وخسارتها

(١) محمد كاظم بن عبد العظيم الطباطبائي الحسني الكسنوي اليزدي، ولد في قرية كسنوية في محافظة يزد في ايران عام ١٨٣١، درس المقدمات في مدينة يزد ثم سافر الى مشهد وبعدها الى اصفهان لاكمال دراسته، ثم سافر الى النجف عام ١٨٦٤ واستقر بها وهو المرجع الاعلى حتى وفاته عام ١٩١٨ ودفن في مرقد الامام علي عليه السلام، عن محسن الامين، اعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين الجزء العاشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣، صفحة ٤٣.

(2) Abbas Kadhim ,Reclaiming Iraq (The 1920 Revolution and the founding of the state),University of Texas press - Austin, USA, first edition , 2012, p 12-.

(٣) عبد الله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور السياسة في تاريخ العراق الحديث، ذات السلاسل للطباعة والتوزيع، الطبعة الثانية، الكويت، ١٩٩٠، ص ٨٦.

في مواقع عدة^(١)، فارتفعت الدعوات للجهاد من جميع مساجد العراق، الامر الذي استثمرته السلطات العثمانية لصالحها، وكان في مقدمة العلماء الشيعة الذين دعوا الى الجهاد الميرزا محمد تقي الشيرازي الحائري وشيخ الشريعة ومصطفى الكاشاني ومحمد سعيد الحبوبى وغيرهم، ومع ذلك لم يسفر هذا الجهاد والتضحيات عن شيء واكمل الانكليز احتلال العراق عام ١٩١٨.

وعلى الرغم من فشل حركة الجهاد عسكريا وعدم استطاعتها ايقاف مسيرة الاحتلال البريطاني لأراضي العراق، الا انها مكنت المجتهدين والعلماء من تعبئة الجماهير وابناء العشائر لتوحيد قواهم في مواجهة الاحتلال البريطاني في وقت لاحق، لذا ففي نهاية عام ١٩١٨ وبعد وفاة المرجع الاعلى اليزدي، انتقل الميرزا الشيرازي من سامراء الى كربلاء، واخذ يصدر بيانات تدعو الى اقامة دولة اسلامية في ارجاء العراق، هذا الامر الذي يُعد من الممهدات الاولى لثورة العشرين، ومن ضمن الفتاوى التي اصدرها المرجع الشيرازي «ان الخدمة لحساب ادارة الاحتلال غير مشروعة ومحرمة»^(٢)، وقد شكل الشيرازي مجلس شورى للعلماء ١٩١٨، وبدأ في اصدار البيانات التي تدعو الى اقامة دولة اسلامية في العراق، ودعا الى مواجهة الخطط البريطانية الرامية الى تهنيذ منطقة الخليج العربي ومن ضمنها العراق^(٣).

وكان للشيرازي دور كبير في توحيد الصفوف والحفاظ على الوحدة الوطنية

(١) رسول جعفریان، المصدر السابق، ص ٩٥.

(٢) عامر عبد الرزاق صفار، التطورات السياسية في العراق ١٩١٤ - ١٩٣٣، رسالة ماجستير منشورة في شبكة المعلومات الالكترونية، جامعة ام درمان الاسلامية، كلية الاداب، السودان، ٢٠١٦، ص ٩٤.

(٣) رسول جعفریان، المصدر السابق، ص ٩٦.

والعمل على دعوة جميع الفرق والطوائف في الاراضي العراقية الى مقاومة الخطط الاستعمارية المحتلة، وتأسست بناء على توجيهاته الجمعية الوطنية الاسلامية أواخر عام ١٩١٨، وهي جمعية سرية في محلة باب النجف في كربلاء، هدفت الى مناوئة الاحتلال وبث الدعاية الوطنية والتوفيق بين ابناء البلد الواحد^(١).

وقد كان العلماء يعبرون عن آراءهم السياسية من خلال مجالسهم او دواوينهم، حيث تتضمن هذه الدواوين والمجالس مناقشات حية بشأن القضايا السياسية والاجتماعية، وكانت تُعد القاعدة التي يتم من خلالها التخطيط للأحداث السياسية المهمة ومناقشتها، وهذا ما كان يجري في ديوان المرجع الاعلى الشيرازي، حيث يُعد ديوانه مرجعا للزعماء السياسيين وملتقى الوطنيين والمجاهدين، وخصوصا في تلك المرحلة السياسية المهمة، حيث كان يحثهم على التضحية بكل غالبي ونفيس لتحقيق النصر على الاستعمار^(٢).

ان فتوى المرجع الشيرازي وعمله الدؤوب في مرحلة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني، كانت تعبر عن سعة افق العالم الاسلامي الذي عمل على توحيد العمل بين جميع الطوائف والمذاهب من خلال بلورة صيغة عمل موحدة بين علماء المسلمين سواء كانوا سنة او شيعة لدفع الضرر عن الامة والمسلمين عموما، وكان ذو افق واسع وحكمة ووطنية كبيرة من خلال الارتفاع بمفهوم الوطنية عن الطرح المذهبي.

(١) سلمان هادي آل طعمة، كربلاء في الذاكرة، بغداد، ١٩٨٨، ص ٣٤.

(٢) سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء، مصدر سابق، ص ٢٣٠.

ثالثاً: الشيرازي وموقفه من الاستفتاء عام ١٩١٩

لقد انتهت حركة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني من وجهة النظر العسكرية بالفشل لعدة عوامل منها ضعف امكانيات المجاهدين، وبالمقابل حداثة التجهيزات البريطانية من اسلحة ودعم مستمر بالمعدات والرجال، ومن العوامل ايضا الانسحابات المستمرة للقوات العثمانية امام تقدم القوات البريطانية مما شكل عامل ضعف في جبهة الجهاد، اما من الناحية المعنوية والاساسية فأن حركة الجهاد اظهرت العلماء والمجتهدين كقادة للمقاومة في وجه الاحتلال البريطاني، واستطاعوا سد الفراغ الذي تركه الانسحاب العثماني من الساحة العراقية، حيث استثمروا الزخم الشعبي لحركة الجهاد لتوجيه المواطنين نحو العمل على المقاومة والمطالبة بالحقوق والمحافظة على الوحدة الوطنية التي ساهمت فيها الدعوات للجهاد التي شملت جميع مناطق العراق في تلك الفترة.

ومع عظم الدور الذي أداه المرجع الشيرازي خلال وجوده في سامراء في توحيد المواقف من الاحتلال البريطاني والذي جسّد نقطة محورية في تقوية الجبهة الوطنية الداخلية ودعم الوحدة بين ابناء جميع الطوائف والمذاهب، الا ان انتقاله الى كربلاء شكل نقطة تحول في التحرك نحو المطالبة بتنفيذ الوعود البريطانية في تحقيق استقلال المناطق التي تخرج من سيطرة العثمانيين، وقد ادرك الشيرازي الخطط البريطانية واساليبهم المتتوية في الاستجابة لمطالب العراقيين، وخاصة بعد ان حصلوا على تفويض من عصبة الامم لإدارة العراق بشكل مباشر (من خلال طرح مشروع الانتداب لإدارة العراق بسيطرة مباشرة للبريطانيين الذي أقر في عام ١٩٢٠)، وهنا عمل المرجع الشيرازي على توحيد التوجهات للعراقيين بكل طوائفهم في

سبيل تحقيق الاستقلال والخلاص من الاحتلال البريطاني البديل عن الاحتلال العثماني، من خلال اقامة الاحتفالات بالمولد النبوي المبارك بصورة مشتركة بين السنة والشيعه، وكذلك مشاركة جميع الطوائف في عزاء الامام الحسين (عليه السلام)، وكان التجسيد الاقوى لهذه الوحدة الوطنية هو مشاركة جميع الطوائف في تشييع المرجع كاظم اليزدي عام (١٩١٩).

بعد انتهاء بريطانيا من احتلالها للعراق وصولاً الى منطقة الفتحة في الموصل، بدأت تضع الترتيبات اللازمة لغرض ادارة العراق بشكل مباشر من قبل حاكم عسكري بريطاني، لأحكام السيطرة على جميع الموارد في الاراضي العراقية، الا ان هذه التوجهات اصطدمت بالتطلعات التي كانت لدى المواطنين الذين كانت لهم امال في تحقيق الاستقلال بلدهم بعد انتهاء السيطرة العثمانية وايفاء بريطانيا بوعودها التي قطعها لهم بالحرية والاستقلال، وخصوصاً بعد اندلاع ثورة عارمة في مدينة النجف في عام ١٩١٨، فبعد وفاة الجنرال مود (General Maude) في ١٨ تشرين الثاني ١٩١٧ بفترة قصيرة حتى اندلعت ثورة عارمة في مدينة النجف، بعد قيام مجموعة من المسلحين بمهاجمة مقر القوات البريطانية في مدينة النجف، وقتل الكابتن مارشال (Captain Marshall) مع مجموعة من الحراس في ١٩ آذار ١٩١٨، الامر الذي تسبب في فرض البريطانيين لحصار شديد على المدينة، لم ينتهي الا بعد تقديم قائمة المطلوبين وتنفيذ حكم الاعدام في احد عشر شخص في ٢٥ أيار ١٩١٨، مما أدى الى وجود استياء عام بين المواطنين والقادة السياسيين^(٢).

(1) Abbas Kadhim ,op.cit , p 5.

(٢) جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية (دراسة في التطور السياسي والعلمي)، دار الرافدين، لبنان- بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥، ص ٢٦١-٢٦٢.

كانت هذه الحركة هي اول رد فعل عنيف ضد الوجود البريطاني، الذي لم يكن متوقع لديهم ان يحدث ذلك في العراق، وفي المجال الداخلي اثارت هذه الحركة الشعور الوطني، وكانت ذات تأييد كبير من العشائر المحيطة بالمدينة، واعطت زخم قوي لموقف العراقيين ضد بريطانيا رغم سياسة العنف التي اتبعها البريطانيون^(١).

ان الاسباب الرئيسية التي ساهمت في اتساع المقاومة هي فشل سياسة الانكليز في الايفاء بالعهود والوعود التي اطلقوها عند احتلالهم بغداد من كونهم «محررين لا فاتحين»، بالإضافة الى سياسة الشدة والتعسف التي مارسها بعض الحكام العسكريين البريطانيين^(٢)، يضاف الى ذلك تنامي الوعي الجماهيري بضرورة استقلال العراق وخاصة لدى العلماء ومراجع الدين في النجف الاشرف وكربلاء والذين يعدون الطبقة المثقفة في المجتمع العراقي في تلك الفترة، الامر الذي ساهم في دفع بريطانيا الى دراسة الحالة السياسية للعراق ووضع اسس جديدة للتعامل مع الشعب العراقي الخارج من سيطرة عثمانية اذاقته الامرين.

لقد سرعت المواجهة خلال ثورة النجف بين المعارضة الشيعية والقوات البريطانية في عملية ايجاد حل عاجل للوضع في العراق، حيث جرت اتصالات ومناقشات في بريطانيا اسفرت عن تكليف (ويلسن) الحاكم العسكري في العراق بأجراء استفتاء عام، (ينفذ خلال عام ١٩١٩)، لمعرفة رأي الشعب في شكل الحكم

(١) فاروق صالح العمر، حول سياسة بريطانيا في العراق ١٩١٣-١٩٢١، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٧، ص ٧٥-٧٦.

(٢) الشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، الجزء الاول، دار الاضواء، الطبعة الثانية، لبنان - بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٥٢.

الذي يروونه مناسباً^(١)، وكانت اسئلة الاستفتاء ثلاثة هي:

١. هل يرغبون بإقامة دولة عربية واحدة تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل الى

الخليج العربي تحت الوصاية البريطانية؟

٢. هل يرغبون بتنصيب أمير عربي على راس هذه الدولة؟

٣. فإذا وافقوا فمن الأمير الذي يفضلونه؟^(٢)

وكانت هذه الاسئلة ذات اسلوب يتضمن المغزى الحقيقي للسياسة البريطانية اتجاه العراق وهو الحصول على آراء تؤيد الحكم البريطاني في العراق، ولذا تمت صياغتها بطريقة تؤكد الاشراف البريطاني على الحكم الشكلي الذي تنوي بريطانيا أنشائه في العراق ولا يمكن رفضه هذا الاشراف عند الاجابة على هذه الاسئلة.

لقد تمخض عن هذا الاستفتاء تداعيات كثيرة اثرت بشكل مباشر في سير الاحداث وتطورها الى أن انتهت بقيام ثورة العشرين عام ١٩٢٠، حيث تولدت قناعة لدى العلماء والمجتهدون في المدن المقدسة والشخصيات العشائرية رغبة كبيرة في اقامة دولة مستقلة تمتد من الموصل شمالا الى الخليج جنوبا، وتكون تحت حكم امير عربي^(٣)، يضاف الى ذلك الفتوى التي اصدرها المرجع الشيرازي وذلك في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٩ ونصها: «ليس لاحد من المسلمين أن ينتخب غير المسلم في الامارة والسلطنة على المسلمين»^(٤).

(١) برسي كوكس - هنري دوبس، تكوين الحكم الوطني (صفحة من تاريخ العراق الحديث من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩٢٦)، تعريب بشير خرجو، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥١، ص ٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٣) راجي نصير، المصدر السابق، ص ٦٧.

(٤) العقيقي البخشايشي، كفاح علماء الاسلام في القرن العشرين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، ط ١، ٢٠٠٢، ص ١١٧.

وكانت هذه الفتوى أخطر من فتاوى الجهاد التي أعلنها رجال الدين في بداية الاحتلال البريطاني للعراق، لأن فتاوى الجهاد صدرت خلال الحكم العثماني، أما هذه الفتوى فإنها صدرت في ظل الاحتلال البريطاني، وبذلك تشكل تحدياً مباشراً له، فضلاً عن ذلك فإن هذه الفتوى انتشرت بشكل سريع في كثير من المناطق ومدن العراق مما أدى الى تأزم الموقف الشعبي ضد البريطانيين.

وكان الموقف الاقوى للمدن المقدسة هو موقف مدينة كربلاء بتأثير وجود الزعامة المرجعية للشيرازي وتوجيهاته، فعقد الكربلائيون عدة اجتماعات في منازل العلماء، وقد اختلفت الآراء وتعددت وجهات النظر، حتى استقر الرأي أخيراً على مضبطة وقعها عدد من الحاضرين جاء فيها: « وقد اجتمعنا نحن أهالي كربلاء امثالاً لأمركم وبعد مداولة الآراء وملاحظة الأصول الإسلامية وطبقاً لما تقرر رأينا على أن نستظل بظل راية عربية إسلامية فانتخبنا أحد أنجال سيدنا الشريف حسين ليكون ملكاً علينا مقيداً بمجلس منتخب من أهالي العراق لتسنين القواعد الموافقة لروحيات هذه الأمة وما تقتضيه شؤونها»^(١).

أراد الشيخ الشيرازي مع مؤيديه وأنصاره من الوطنيين الكربلائين أن يقطع الطريق على أية محاولة بريطانية لتنظيم مضبطة أخرى مؤيدة لهم، فعندما سُئل عن الطريق والمنهج الواجب اتباعه في عملية الاستفتاء وكان نص السؤال هو:

«ما يقول شيخنا وملاذنا حضرة حجة الإسلام والمسلمين آية الله في العالمين الشيخ ميرزا محمد تقي الحائري الشيرازي متع الله المسلمين بطول بقائه، في تكليفنا معاصر المسلمين بعد أن منحتنا الدولة المفخمة البريطانية العظمى في انتخاب أمير

(١) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الخامس، القسم الاول، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٧، ص ٧٥-٧٦.

لنا نستظل بظله ونعيش تحت رايته ولوائه، فهل يجوز لنا انتخاب غير المسلم للإمارة والسلطنة علينا أم يجب علينا اختيار المسلم بينوا تؤجروا؟».

وكان جوابه: ((ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين)) . صدرت هذه الفتوى في ٢٠ ربيع الثاني عام ١٣٣٧هـ (٢٣ كانون الثاني عام ١٩١٩م) (١).

وقد أيدها سبعة عشر عالماً دينياً في كربلاء إذ وقعوا على نص الفتوى وكان من أبرزهم السيد محمد صادق الطباطبائي، السيد محمد علي الحسيني، والسيد محمد رضا القزويني، وغيرهم، كما أرسلت نسخ عديدة من هذه الفتوى الى عشائر الفرات والجنوب وغيرها، مما أدى الى تأزم الموقف ضد البريطانيين الذين ازدادوا صرامة (٢).

حاول البريطانيون الرد على المضبطة التي نظمها الوطنيون في كربلاء من خلال هو رفضهم استلام المضبطة بحجة أنها لم تسلم في الوقت المناسب، والثانية هو تنظيم مضبطة أخرى بديلة عن طريق بعض مؤيديهم، الا أن الطريق قطع على البريطانيين بفتوى السيد الشيرازي، حيث حددت الفتوى الاتجاه العام للتحرك ضد الاحتلال البريطاني، حيث كان لها الاثر البالغ في الاوساط الجماهيرية حيث انتشرت في جميع مناطق العراق (٣).

(١) سليم الحسني، المصدر السابق، ص ٢٣٢.

(٢) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، طبعة منقحة، مؤسسة المحيين، ايران - قم، لا.ت، ص ٣٥.

(٣) سليم الحسني، المصدر السابق، ص ٢٣٣.

ومن اهم نتائج هذا الاستفتاء انه كشف عن تضارب المصالح بين الفئات المختلفة في داخل المجتمع العراقي سواء كان الشيعي او السني، الامر الذي ابرز دور المرجع الشيرازي في كونه القوة المؤثرة والقادرة على توحيد الرأي العام الشيعي والسني والاقليات الموجودة داخل المجتمع العراقي، وكذلك عمله على توحيد الموقف ضد استمرار الحكم البريطاني المباشر، وتعبئة الشيعة والسنة للعمل السياسي، وحسب تفسيرات حسن العلوي يعتبر ان طروحات المراجع والفقهاء الشيعة كانت لها دور بارز في قيادة الحركة الاستقلالية ولم تكن تطلعاتهم ذات ابعاد دينية او مذهبية بل كانت مشروعات ذات طابع وطني عربي اسلامي تحري، تدعو الى الوحدة الوطنية في مواجهة البريطانيين^(١).

رابعا: المرجع الشيرازي قائد الثورة العشرين ومفتيها

بعد هذه التطورات المهمة التي مرت بها العلاقة بين البريطانيين والمواطنين العراقيين من حرب الجهاد وثورة النجف، وافشال مشروع الاستفتاء وجعله شكليا ومزورا، اصبحت العلاقات اكثر حدة وتشنج وقادت الى نشوب ثورة عارمة في حزيران ١٩٢٠، كان للمرجعية الدور الابرز في قيادتها بفضل الفتاوى التي صدرت من المراجع لتجيز للمواطنين العمل بالقوة الممكنة للمطالبة بالحقوق. كان للمرجع محمد تقي الشيرازي الدور الكبير في ملا الفراغ السياسي والديني في المرجعية الشيعية خصوصا بعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي في الثالث من نيسان ١٩١٩، حيث تولى زعامة المرجعية الدينية وتمكن من قيادة الثورة في عام

(١) حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق (١٩١٤ - ١٩٩٠)، دار سبحان، ايران - قم، ٢٠٠٥، ص ١٠٢.

١٩٢٠ على البريطانيين بالتعاون مع علماء النجف و كربلاء والكاظمية، وقد الف مجلس سري للمشورة، وعقد اجتماع تقرر ان يكتبوا الى السلطة البريطانية يطالبونها بإنجاز وعودها بالاستقلال و اذا لم ينفذ مطلبهم بدأوا بالعمل بشكل مختلف، وقد كتب الشيرازي في (أيار ١٩٢٠) الى رؤساء القبائل في السماوة والرميثة بالتهيؤ للثورة اذا تصلب البريطانيين بموقفهم ونقض عهودهم، كما كتب بيانا الى الشعب العراقي في (٢٧ أيار ١٩٢٠)، دعا فيه الى التظاهر السلمي ونص البيان على: «الى اخواننا العراقيين، ان اخوانكم في بغداد والكاظمية والنجف و كربلاء وغيرها من انحاء العراق، قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع و القيام بمظاهرات سلمية، وقد قامت جماعة كبيرة منهم بتلك المظاهرات مع المحافظة على الامن، طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق أن شاء الله بحكومة اسلامية، وذلك بأن يرسل كل قطر وناحية الى عاصمة العراق بغداد وفدا للمطالبة بحقه متفقا مع الذين يتوجهون من انحاء العراق عن قريب الى بغداد، الواجب عليكم بل على جميع المسلمين الاتفاق مع اخوانكم في هذا المبدأ الشريف، واياكم والاخلال بالأمن والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض، أن ذلك مضر بمقاصدكم، ومضيع لحقوقكم التي صار الان أوان حصولهم بأيديكم، و اوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم في نفوسهم واموالهم واعراضهم، ولا تنالوا احدا منهم بسوء ابداء، وفقكم الله جميعا لما يرضيه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، والامضاء محمد تقي الحائري الشيرازي^(١).

(١) مقتبس من ناصر حسين الاسدي، شيعة العراق دولهم وثوراتهم، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي، كربلاء، ٢٠١٢، ص ١٧٢-١٧٣؛ عامر عبد الرزاق صفار، المصدر السابق، ص ٩٤؛ سليم الحسني، المصدر السابق، ص ٢٤٢-٢٤٣.

ومن خلال هذا البيان اكد المرجع الشيرازي اهمية الوحدة بين المواطنين في مطالبتهم بحقوقهم، اضافة الى المحافظة على الامن وحماية الوحدة المجتمعية وعدم الاعتداء على حقوق الافراد خلال قيام المظاهرات، وعدم التجاوز على حريات الاخرين، وعدم التنازع في سبيل القيادة انما المنافسة في سبيل تحقيق الاهداف التي يدعو اليها جميع المواطنين وهي الاستقلال والحكومة الاسلامية.

وقد كان للمرجع الشيرازي فتوى ساهمت في التمهيد للثورة، حيث اصدر المرجع الاعلى في اذار ١٩٢٠ فتوى مفادها أن قبول اي وظيفة حكومية في ادارة البريطانيين امر تحرمه الشريعة الاسلامية، فطغت موجة من الاستقالات في منطقة الفرات الاوسط، دلالة على طاعة المرجع الاعلى، الامر الذي اثار الرعب لدى البريطانيين من قوة تأثير المراجع في الجماهير^(١).

هذا النداء التاريخي حدد أهداف ومسار الحركة الثورية في العراق، فالهدف الأساسي الذي من أجله ستمت المظاهرات والاجتماعات هو: الاستقلال والحكومة الإسلامية، أما الوسيلة إلى ذلك: القيام بالمظاهرات السلمية، وتشكيل الوفود المنتخبة لتقديم مضابط الشعب للسلطة، الا ان مماثلة البريطانيين في الرد على طلبات المواطنين،بالإضافة الى اسلوب الادارة البريطانية القائم على الشدة وعدم احترام المواطنين وطلباتهم، دفع المرجع الشيرازي الى اصدار فتواه الشهيرة والتي كانت شرارة الثورة عام ١٩٢٠، والتي اعطت الشرعية لأي تحرك تقوم به الجماهير ضد القوات البريطانية، وقد نصت الفتوى على «أن المطالبة بالحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في مطالباتهم رعاية السلم والامن، ويجوز لهم التوسل بالقوة

(١) عبد الله فهد النفيسي، المصدر السابق، ص ١٣٣.

الدفاعية إذا امتنع البريطانيون عن قبول مطالبهم^(١)، لقد اذن المرجع الشيرازي للشعب العراقي سنة وشيعة أن يقفوا وقفة رجل واحد حاملين راية الجهاد ضد الاستعمار، وان يتجاوزا مرحلة الدفاع الى الهجوم لتحقيق المطالب^(٢).

والواقع أن ثورة ١٩٢٠ كانت سريعة الانتشار في البلاد نتيجة لما سبق اندلاعها من تهيئ فكري، مع التصميم على وجوب حصول العراق على حقوقه في الاستقلال والحكم الذاتي، وكانت هذه الثورة كمعظم الثورات قد تكونت قيادتها من النخبة التي حاولت اقناع الناس بمختلف الوسائل والطرق لمساندتها وتأييدها، وكانت نخبة ثورة العشرين تتكون من فئات ثلاث: الاولى- القيادة الدينية التي تتمثل في رجال الدين ومركزها النجف- ويدين لها بالولاء جميع ثوار الفرات الاوسط الذين يمثلون الفئة الثانية ولهذا كانت أهم الفئات الثلاث، الثانية- القيادة العشائرية التي كان العرف العشائري والانتماء العميق له عاملا في أن تكون العشائر مسيرة كليا من رؤسائها، الثالثة- القيادة الفكرية التي كان مركزها أولا في بغداد ونشاطها في الدعوة الى الاجتماعات المتكررة والمظاهرات التي حدثت في الأماكن العامة والجوامع^(٣).

ورغم عدم وجود الانسجام الكامل بين هذه القيادات الا أن الثورة قد سارت بصورة طبيعية أول الأمر في انتشارها الواسع وفي انضمام الثوار اليها من مختلف مناطق العراق ومن مختلف الطبقات، وما أدت اليه من اطلاق الوضع البريطاني

(١) ناصر حسين الاسدي، المصدر السابق، ص ١٦٦-١٧١؛ فاروق صالح العمر، المصدر السابق، ص ٨٤-٨٥.

(٢) العقيلي البخشايشي، المصدر السابق، ص ١٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٠.

الداخلي في الانهزامات امام الثوار على الرغم من عدم التكافؤ بين الجيوش النظامية البريطانية المدربة على الأسلحة الحديثة وبين الثوار الذين كانوا يعتمدون في هجومهم على أسلوب (الكر والفر) والاسلحة البدائية، بالإضافة الى بعض الأسلحة الحديثة التي توفرت لديهم خلال الحرب الأولى مما زاد في انتصاراتهم، إلا أن الامدادات البريطانية الكثيرة التي وصلت العراق عن طريق خط البصرة - بغداد من جانب نهر دجلة الذي كان مفتوحا بحيث لم يحدث به ما يحول دون مرور القوات، قد ادى الى تقلص الثورة التدريجي اضافة الى الاختلاف الداخلي في الثورة نتيجة للضحايا الكثير التي قدمها الثوار لفقدان التكافؤ في القتال ولذلك طالب قسم من الطبقة المثقفة بالتفاوض بينما الجانب الآخر كان يصر على أن (لا تفاوض الا بعد جلاء القوات البريطانية من العراق) وبذلك بدأت الثورة بالتراجع التدريجي وتقلصت مناطقها^(١).

ورغم وفاة المرجع الشيرازي في ١٣ اب ١٩٢٠، والذي شيع تشيعا مهيبا بحضور زعماء العشائر بأسلحتهم واهازيجهم ودفن في الروضة الحسينية المقدسة، الا ان الثورة استمرت مع وصول الشيخ فتح الله الاصفهاني (شيخ الشريعة) للمرجعية، حيث اصبح هو المشرف على الثورة^(٢).

أن ثورة العشرين حافظت على هويتها العربية ودعوة قادتها الى الوحدة الوطنية، وقد عبروا عن هدفهم في الثورة هو قيام حكومة اسلامية متحررة من السيطرة

(١) صلال الفاضل الموح، مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح (من رجال الثورة العراقية ١٩٢٠)، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦، ص ٧٣ - ٨٥.

(٢) سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء، المصدر السابق، ص ٢٠٤؛

الاجنبية، قائمة على الوحدة الاسلامية بين جميع المذاهب دون تفرقة^(١)، وقد فشل البريطانيون في تقدير قوة طاعة العشائر لرجال الدين والمرجعية الدينية الامر الذي اظهرته الثورة بشكل واضح.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة التي لا ترقى لكونها نقطة في بحر مواقف المرجع الشيرازي سوى كان ذلك اثناء مرجعيته ام قبلها، فالمرزا الشيرازي مثل الخط الوطني المواجه للخطط الاستعمارية البريطانية التي كانت ترمي الى حكم العراق حكما مباشرا، فقد كانت لفتاويه المميزة والقوية والتي تأتي في مكانها الصحيح لغرض تحريك الجماهير وبيان اهداف المستعمر، ومن خلال هذه الدراسة البسيطة يظهر لنا:

١. ان المرجع الشيرازي تصدى للعمل السياسي بالإضافة الى العمل الديني ودوره العلمي في الحوزة العلمية.
٢. استطاع الميرزا الشيرازي ان يقوم بدور كبير في حركة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٤، من خلال توقيعه على فتوى الجهاد التي صدرت عن علماء الدين للمحافظة على الوحدة الاسلامية ضد المحتل البريطاني الكافر رغم جور السلطات العثمانية ضد مواطني الجنوب والفرات الاوسط.
٣. كان لفتوى الشيرازي عام ١٩١٩ الدور الكبير في افشال خطة البريطانيين في اجراء استفتاء شكلي يؤيد نظريتهم في ادارة العراق بشكل مباشر من قبل الحاكم العسكري البريطاني، حيث افشلت هذه الفتوى خطته وسفهت نتائج استفتاءهم.

(١) رسول جعفریان، المصدر السابق، ص ٩٧-٩٨.

٤. اما الدور الالهم والاكبر فهو قيادة المرجع الشيرازي لثورة العشرين بصورة مباشرة فهو صاحب الفتوى باستخدام القوة الدفاعية، وهو الموجه لجميع امور الثورة وتوفير الدعم المعنوي والمادي لها، فهنا ارتبطت الثورة بقائدها، وعمله الدائم على المحافظة على الوحدة الوطنية وعدم الاخلال بالأمن بين الالهي لان هذه هي نقطة القوة في الثورة.

قائمة المصادر

١. راجي نصير، المرجعية الدينية في النجف الاشرف وأثرها في الراي العام العراقي بعد عام ٢٠٠٣، مركز العميد للبحوث والدراسات، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، ٢٠١٨.
٢. رسول جعفریان، التشيع في العراق وصلاته بالمرجعية وايران، ترجمة حيدر محمد جواد، دار الحبيب، مطبعة غزة، ايران - قم، ١٤٢٩هـ.
٣. سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء (تاريخها، عشائرها، أعلامها)، مؤسسة الاعملي للمطبوعات، كربلاء، ط ١، ١٩٦٤.
٤. سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، مؤسسة دائرة المعارف الفقه الاسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤.
٥. عباس كاظم، ثورة ١٩٢٠ قراءة جديدة في ضوء الوثائق التاريخية، ترجمة حسن ناظم، التنوير للطباعة، لبنان - بيروت، ٢٠١٤.
٦. عبد الله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور السياسة في تاريخ العراق الحديث، ذات السلاسل للطباعة والتوزيع، الطبعة الثانية، الكويت، ١٩٩٠.
٧. عامر عبد الرزاق ضفار، التطورات السياسية في العراق ١٩١٤ - ١٩٣٣، رسالة ماجستير منشورة في شبكة المعلومات الالكترونية، جامعة ام درمان الاسلامية، كلية الاداب، السودان، ٢٠١٦.

٨. سلمان هادي آل طعمة، كربلاء في الذاكرة، بغداد، ١٩٨٨.
٩. جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية (دراسة في التطور السياسي والعلمي)، دار الرافدين، لبنان - بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥.
١٠. فاروق صالح العمر، حول سياسة بريطانيا في العراق ١٩١٣ - ١٩٢١، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٧.
١١. الشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرهما، الجزء الاول، دار الاضواء، الطبعة الثانية، لبنان - بيروت، ١٩٨٦.
١٢. برسي كوكس - هنري دويس، تكوين الحكم الوطني (صفحة من تاريخ العراق الحديث من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩٢٦)، تعريب بشير خرجو، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥١.
١٣. العقيلي البخشايشي، كفاح علماء الاسلام في القرن العشرين، مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، لبنان - بيروت، ط ١، ٢٠٠٢.
١٤. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الخامس، القسم الاول، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٧.
١٥. عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، طبعة منقحة، مؤسسة المحبين، ايران - قم، لا.ت.
١٦. حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق (١٩١٤ - ١٩٩٠)، دار سبحان، ايران - قم، ٢٠٠٥.
١٧. محسن الأمين، أعيان الشيعة، الجزء العاشر، تحقيق وإخراج حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣.
١٨. ناصر حسين الاسدي، شيعة العراق دولهم وثوراتهم، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي، كربلاء، ٢٠١٢.

١٩. صلال الفاضل الموح، مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح (من رجال الثورة العراقية ١٩٢٠)، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦.

20. Abbas Kadhim ,Reclaiming Iraq (The 1920 Revolution and the founding of the state),University of Texas press - Austin, USA, first edition , 2012.

دور المرجعية الدينية في تأصيل الهوية الوطنية العراقية ١٩١٤ - ٢٠١٤

١.م.د. سعد علي حسين التميمي

الجامعة المستنصرية

drsaaadali76@yahoo.com

١.م.د. علي جاسم محمد التميمي

الجامعة المستنصرية

dr.alitop8085@gmail.com

الملخص :-

ان للقيادة الروحية للشريعة والمتمثلة بالحوزة العلمية الشريفة وخاصة في النجف الاشراف دور بارز في ادارة الشؤون السياسية والاجتماعية للمجتمع من خلال مواقفها وفتواها التي تخص فيها المجتمع الاسلامي بصورة عامة وبعض الاحيان مايتعلق بالمجتمع العراقي على وجه الخصوص لتعدل مساراته الاجتماعية والسياسية عند انحرافها وعندما يقتضي الامر تدخلها، فانها تغيير المسار وتصنع التاريخ من جديد كما فعلت الحوزة الحلمية في عشرينات القرن الماضي وقيادتها لثورة العشرين التي يمثلها البعض بالثورة الفرنسية الاصلاحية والثورة الجزائرية وهي من اهم الثورات في المنطقة، كانت بقيادة المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس سره) عام ١٩٢٠ والتي كان لها صداها في الساحة الاقليمية والدولية من خلال حكمت القيادة ووعي الجماهير ولم تتكرر الا بفتوى الجهاد الكفائي للسيد السيستاني (دام ظله) عندما اجتاحت الجماعات الارهابية العراق عام ٢٠١٤ ولزم الامر تدخل الحوزة العلمية لانقاذ العراق ولتوعية الامة بالخطر المحدق وتغيير البوصلة وافشال مخططات الاعداء.

لم يكن في العراق ابان قيام ثورة العشرين حكم وطني ملكي او جمهوري او اي شكل من اشكال الحكومات الوطنية اذ كان العراق يريزح تحت مظلت الاحتلال العثماني وعندما دخلت القوات الانكليزية للعراق ارادت اخراج القوات العثمانية وترسيخ

الانتداب البريطاني على العراق واحتلاله، لذا اقتضت الضرورة تدخل الحوزة العلمية لقيادة المرحلة الجديدة التي خلت من القيادة وعلان الثورة العراقية ضد الانكليز والتي كان الهدف الاساسي منها هو الحصول على استقلال العراق وتأسيس حكم وطني برئاسة امير او رئيس عراقي عربي مسلم والتخلص من كل انواع الاحتلال سواء العثماني او الانكليزي اذ كانت قيادة الثورة بيد رجال الدين اللذين نشروا فكرة الجهاد وساهموا في الدعوة الى تبيان اهدافها من استقلال العراق وتحريره وفعلا تشكلت جمعية دينية اسلامية في كربلاء والنجف وغيرها لمناصرة الثورة والدعوة لها ولاهدافها، فكما كانت هي لاتزال الحوزة العلمية لها الدور المحوري في حركة التحرير وترسيخ البعد الوطني للعراق.

قد افرز ظهور الدولة الوطنية في المجال الاسلامي العديد من المفاهيم التي تباينت مواقف العلماء منها في مختلف التيارات وتفاعلت الشيعة مع هذه التطورات وتصدت للدفاع عن الهوية الوطنية للفرد العراقي وتأكيد الانتماء للوطن ودور الشباب الشيعي في الحفاظ على الهوية الوطنية والدفاع عنها وهذا ما اثبتته التجارب على مر التاريخ من ثورة العشرين الى الانتفاضة ضد الارهاب وخاصة في العام ٢٠١٤ وما تناولته فتوى الجهاد الكفائي للدفاع عن العراق وارضه دون النظر الى الهويات الفرعية والمناطقية للجماعات وانما كان العراق فقط في جهادهم ودفاعهم وتضحياتهم.

لذا سنتناول في بحثنا دور المرجعية الدينية في تأصيل الهوية الوطنية العراقية ١٩١٤ - ٢٠١٤ وما لها من دور بارز لحفظ الهوية الوطنية العراقية وكونها كانت وماتزال تمثل الدعامة الاساسية في ادارة الازمات التي تمر بها الدولة العراقية والمجتمع العراقي منذ الاحتلال البريطاني ١٩١٤ الى الاحتلال الامريكي ٢٠٠٣ التصدي للارهاب الداعشي. كلمات مفتاحية: الهوية الوطنية، المرجعية الدينية، الاحتلال البريطاني، الاحتلال الأميركي.

The role of the religious authority in consolidating the Iraqi national identity 1914 - 2014

Prof.Sist. Dr. Ali Jassim Mohammed Al-Tamimi

Prof.Sist. Dr. Saad Ali Hussein Al-Tamimi

Abstract:

It is clear the role of the supreme religious authority in preserving, rooting and emphasizing national identity, especially in times of crisis and adversity. Over the course of a century, the supreme religious authority has played a prominent, effective and important role in emphasizing the national spirit and the national dimension among the Iraqi people, and this emerged clearly in 1914. When the Hawza, represented by the reference Sheikh Muhammad Taqi al-Shirazi (may his secret sanctify), confronted the British occupation and called for it to be confronted, fought and rid of by all Iraqis, regardless of their religious, ethnic and sectarian affiliations, and to stress the call of all the Iraqi people to stand up to Britain and expel it from Iraq, and this was for this matter, a fundamental and decisive role in the outbreak of the twentieth revolution against the British presence in Iraq.

This was repeated a century later when the supreme authority, Sayyid Ali al-Sistani (may his shadow lasted), issued a fatwa for sufficient jihad to all the Iraqi people without specifying a specific sect or doctrine to defend the land of Iraq, the Iraqi people, and the holy sites against the terrorist attack represented by the terrorist organization ISIS. And that blessed fatwa succeeded in preserving the unity of Iraq's land and people, and that fatwa had a decisive role in striking all the schemes that sought to undermine Iraq and dividing its identity into sub-identities that are easy to eliminate.

Thus, it becomes clear to us the reality of the real, important and effective role of the supreme religious authority over the ages in preserving and rooting the national identity, preserving national unity and eliminating division among the Iraqi people in order to get out of crises and dangerous situations in a positive and successful manner that preserves the country's existence and dignity.

المقدمة

ان للقيادة الروحية للشريعة والمتمثلة بالحوزة العلمية الشريفة وخاصة في النجف الاشرف دور بارز في ادارة الشؤون السياسية والاجتماعية للمجتمع من خلال مواقفها وفتاواها التي تخص فيها المجتمع الاسلامي بصورة عامة، وبعض الاحيان ما يتعلق بالمجتمع العراقي على وجه الخصوص لتعدل مساراته الاجتماعية والسياسية عند انحرافها وعندما يقتضي الامر تدخلها، فإنها تغير المسار وتصنع التاريخ من جديد كما فعلت الحوزة العلمية في عشرينات القرن الماضي وقيادتها لثورة العشرين التي يمثلها البعض بالثورة الفرنسية الاصلاحية والثورة الجزائرية وهي من اهم الثورات في المنطقة، وكانت بقيادة المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس سره) عام ١٩٢٠ والتي كان لها صداها في الساحة الاقليمية والدولية من خلال حكمة القيادة ووعي الجماهير، ولم تتكرر الا بفتوى الجهاد الكفائي للسيد السيستاني (دام ظله) عندما اجتاحت الجماعات الارهابية عددا من المدن العراقية عام ٢٠١٤ ولزم الامر تدخل الحوزة العلمية لإنقاذ العراق ولتوعية الامة بالخطر المحدق وتغيير البوصلة وافشال مخططات الاعداء.

لم يكن في العراق ابان قيام ثورة العشرين حكم وطني ملكي او جمهوري او اي شكل من اشكال الحكومات الوطنية، اذ كان العراق يرزح تحت مظلة الاحتلال العثماني وعندما دخلت القوات البريطانية للعراق ارادت اخراج القوات العثمانية وترسيخ الانتداب البريطاني على العراق واحتلاله، لذا اقتضت الضرورة تدخل الحوزة العلمية لقيادة المرحلة الجديدة التي خلت من القيادة وعلان الثورة العراقية ضد الانكليز والتي كان الهدف الاساسي منها هو الحصول على استقلال العراق

وتأسيس حكم وطني برئاسة امير او رئيس عراقي عربي مسلم، والتخلص من كل انواع الاحتلال سواء العثماني او البريطاني اذ كانت قيادة الثورة بيد رجال الدين الذين نشروا فكرة الجهاد وساهموا في الدعوة الى تبيان اهدافها من استقلال العراق وتحريره، وفعلا تشكلت جمعية دينية اسلامية في كربلاء والنجف وغيرها لمناصرة الثورة والدعوة لها ولأهدافها، فكما كانت هي لاتزال الحوزة العلمية لها الدور المحوري في حركة التحرير وترسيخ البعد الوطني للعراق.

لقد افرز ظهور الدولة الوطنية في المجال الاسلامي العديد من المفاهيم التي تباينت مواقف العلماء منها في مختلف التيارات وتفاعلت الشيعة مع هذه التطورات، وتصدت للدفاع عن الهوية الوطنية للفرد العراقي وتأکید الانتماء للوطن ودور الشباب الشيعي في الحفاظ على الهوية الوطنية والدفاع عنها، وهذا ما اثبتته التجارب على مر التاريخ من ثورة العشرين الى الانتفاضة ضد الارهاب وخاصة في العام ٢٠١٤ وما تناولته فتوى الجهاد الكفائي للدفاع عن العراق وارضه دون النظر الى الهويات الفرعية والمناطقية للجماعات وانما كان العراق فقط في جهادهم ودفاعهم وتضحياتهم.

لذا سنتناول في بحثنا دور المرجعية الدينية في تأصيل الهوية الوطنية العراقية ١٩١٤-٢٠١٤ وما لها من دور بارز في حفظ الهوية الوطنية العراقية وكونها كانت وماتزال تمثل الدعامة الاساسية في ادارة الازمات التي تمر بها الدولة العراقية والمجتمع العراقي منذ الاحتلال البريطاني ١٩١٤ الى الاحتلال الامريكي ٢٠٠٣ والتصدي للإرهاب الداعشي.

المحور الاول: المرجعية الدينية تعدد ادوار ووحدة هدف (من الشيرازي الى السيستاني ١٩١٤-٢٠١٤)

يعد العراق ذات موقع استراتيجي حيوي للدول التي تريد السيطرة على منطقة الشرق الاوسط كما انه لما يملكه من معادن وثروات وانهار كان محط اطماع المستعمرين، فقد عانى من هيمنة الاستعمار البريطاني منذ بداية القرن العشرين والذي جاء بعد قرون من الهيمنة العثمانية والصراع مع بلاد فارس عليه، حتى حاول الانكليز بعد انتصارهم في الحرب العالمية الاولى وهزيمة وتفكك الامبراطورية العثمانية تكريس بقاءهم العسكري في العراق ومواصلة احتلال كامل الاراضي العراقية وعقد اتفاقيات طويلة الامد لشرعة بقاءهم عبر معاهدة بورتسموث عام ١٩٤٨ التي حاول تمريرها صالح جبر(رئيس الوزراء آنذاك) وهب الشعب العراقي تحت القيادة الشيعية لمرجعية النجف الاشرف التي كان لها دور بارز وموقف واضح في بدايات الاحتلال البريطاني ١٩١٤ وفي ثورة العشرين ١٩٢٠.

نبذة عن حياة اية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي

محمد تقي الشيرازي هو الميرزا محمد تقي بن محب علي بن ابي الحسن بن الميرزا محمد علي الحائري الشيرازي، ولد في مدينة شيراز في ايران عام ١٨٤٠ ينتسب الى اسرة ذات علم وادب فكان والده الميرزا محب علي من اهل الورع والدين درس في سامراء ثم عاد الى موطنه شيراز وتصدى فيها لشؤون التدريس والفتاوى الشرعية، اما ابناؤه الشيخ محمد تقي الشيرازي فهم ثلاثة اولاد، الاكبر فيهم الشيخ محمد رضا الشيرازي وهو اكبر ابناؤه وساعده الايمن في تأجيج الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ضد الاحتلال البريطاني وكان صلة الوصل بين والده والعشائر العراقية الثائرة،

أما الشيخ عبد الحسين الشيرازي وهو الابن الاوسط للشيخ محمد تقي الشيرازي فقد كان عالماً فاضلاً من اعلام الحوزة العلمية في كربلاء وتوفي عام ١٩٦٢ ودفن في الصحن الحسيني الشريف مع والده، وأما الشيخ محمد حسن الشيرازي وهو اصغر ابناءه فقد عمل قاضياً في محكمة التمييز العليا في طهران توفي عام ١٩٨٦^(١).

المرجعية الدينية ودورها في ثورة العشرين؛

يمتد تاريخ الحوزة العلمية في النجف الاشرف الى ما يقارب الف سنة، فقد بدأ الدراسة فيها الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفي سنة ٤٦٠ بعد ان اضطر للهجرة اليها من بغداد عام ٤٤٨، اثر الاضطهاد الذي تعرض له على ايدي السلاجقة، ومنذ ذلك التاريخ اصبحت النجف حاضرة علمية تحتضن طلبة العلوم الاسلامية، وكان كثير من الوافدين اليها يستوطنون فيها والبعض الاخر يعود الى مواطنهم لممارسة التبليغ والدعوة والارشاد والعمل على تأسيس المدارس الدينية في مناطقهم، وشهدت الدراسة في النجف الاشرف حالات ازدهار وتقدم في مراحل تاريخية معينة كما تعرضت في مراحل اخرى لانحسار وضمور تبعاً للتحويلات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في العراق والمحيط الاقليمي للبلدان التي منها الطلبة الوافدين الى النجف، وبالمقابل كانت هناك الكثير من المدارس العلمية الدينية تضعف وتندثر كالحلة وحلب وجبل عامل واصفهان وكربلاء وسامراء وقم وشبه القارة الهندية واسيا الوسطى وغيرها^(٢).

(١) ينظر: جواد الظاهر، ثورة العشرين ثورة الشعب العراقي الكبرى، الطبعة الاولى، بغداد ٢٠١٠ ص ١٢.

(٢) ينظر: حسن الحكيم، معضلة التباك او كلمة النجف الاشرف المناهضة للاستعمار، مجلة الهدى، السنة الثالثة، العدد التاسع بغداد ٢٠١٠ ص ١٧٥.

ومنذ القرن التاسع عشر اصبحت حوزة النجف الحاضرة العلمية الاشهر والاطول والاهم لاسيما بعد تبلور مؤسسة المرجعية وتدخلها المباشر في المنعطفات السياسية والاجتماعية في تاريخ العراق وايران مثل نهضة (المشروطة) وصياغة دستور سنة ١٩٠٦^(١) في ايران ومقاومة الاستعمار البريطاني ١٩١٤ - ١٩١٧ وثورة العشرين ١٩٢٠ في العراق^(٢).

ففي الموقف ضد الاستعمار البريطاني للعراق والذي بدا في عام ١٩١٤، كان موقف المرجعية الدينية المتمثلة بسماحة الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي صلب وشديد وواضح في رفض الاحتلال والدعوة لمقاومة المحتل، وعندما حاولت السلطة البريطانية تعيين حاكم بريطاني للعراق يكون له مستشاروه من العراقيين اطلق سماحة الشيخ الشيرازي فتواه قائلا (ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب او يختار غير المسلم لأمانة على المسلمين)^(٣).

دور الحوزة العلمية في ثورة العشرين:

عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى ضد الحلفاء اعلن الاخير الحرب عليها في ٢٩ تشرين الاول عام ١٩١٤ وللعلاقة الجيدة والتميزة بين الانكليز وشيوخ الخليج العربي اصدر المقيم السياسي البريطاني في ٣١ تشرين الاول ١٩١٤

(١) الثورة الدستورية (المشروطة) سمي الايرانيون الحركة الدستورية عام ١٩٠٦ ب (المشروطة) وهي مأخوذة من الشرط على الملك بالدستور بدل عن عدم وجود شرط على حكمه. في عهد حكم العائلة الفاجارية بعد تزايد الفساد والانحلال والنفوذ الاجنبي فيها كانت من اسباب الثورة عليها. انظر احمد مجيد عبد الله مصدر سبق ذكره ص ١٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ١٧٩.

(٣) ينظر: جواد الظاهر، مصدر سابق ص ٢١

بإيعاز من حكومته بيان الى شيوخ العرب والخليج العربي ورعاياهم، يشرح فيه ان الدولة العثمانية دخلت الحرب بتحريض من المانيا فسعت بذلك الى حتفها، ويظهر ان الامبراطورية العثمانية قد اخذت شمسها بالأفول ووعد الشيوخ العرب بحماية بريطانيا العظمى لهم على ان يحافظوا على الامن، ثم اصدر بيان اخر حول حماية الاماكن المقدسة في العراق، وأقتنع الشيوخ بهذه التطمينات ولم يصدر منهم خلال مدة الحرب العالمية الاولى اي موقف معادي لبريطانيا، واثبت الصداقة الرسمية بينهم وبين الانكليز وخصوصا مع الامراء مثل شيخ المحمرة وشيخ الكويت وامير نجد وال سعود، وفي ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ نزلت القوات البريطانية القادمة من الهند الى شط العرب في البصرة بقيادة الجنرال (ديلامين) فاستولت على قلعة الفاو بحماية قصف المدفعية البحرية، وقد اصدر السيد (بيرسي كوكس) الذي كان يرافق الحملة العسكرية بيانا بعد وقت وصوله الى البصرة من نفس العام جاء فيه (ليكن معلوما للجميع

بان الحكومة البريطانية لا تخاصم السكان العرب المقيمين على ضفتي الشط وعليهم ان لا يتخوفوا من شيء لأننا سوف لا نتعرض لهم ولا لأموالهم اذا وقفوا منا موقفا وديا لا يؤازرون فيه الا تراك او يحملون السلاح علينا... الخ) (١).

من هذه الاحداث والاحتلال البريطاني للعراق الذي بدا من البصرة في عام ١٩١٤ كان هناك موقف واضح للمؤسسة الدينية في العراق المتمثلة في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، اذ كان لها دور بارز وتدخل مباشر في المنعطفات

(١) ينظر: ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، ترجمة: -مصطفى الجوار وفؤاد جميل، بغداد ١٩٦٧ ص ١٨٩؛ احمد عبد الله الموسوي، الفقه السياسي الاسلامي المعاصر، رسالة ماجستير، غير منشورة، علوم سياسية، بغداد، ٢٠٠٧، ص ص ١٩١٠

السياسية والاجتماعية في العراق، وكان للمرجعية في النجف الاشرف موقف شديد وصلب وواضح لرفض الاحتلال والحث على المقاومة للمحتل، وعبر عن ذلك الشيخ محمد تقي الشيرازي ضاربا كل الاتفاقات التي تمت بين بريطانيا وشيوخ الخليج عرض الحائط اذ اطلق فتواه المعروفة عندما حاولت السلطة البريطانية ترسيخ احتلالها بأدوات تعيين الحاكم وغيرها كما ذكرنا سابقا^(١).

وقد بدأت المقاومة تأخذ مسارها الصحيح منذ انتفاضة النجف الاشرف والتي اعلنتها المرجعية عام ١٩١٨، اذ شارك فيها كبار العلماء امثال ابو الحسن الاصفهاني وساحة رجل الدين الخرساني ورفاقه واية الله الشيرازي (والميرزا محمد حسين النائيني)^(٢) والمرجع الشيخ مهدي الخالصي وغيرهم الكثير، اذ شاركوا مشاركة واسعة وفاعلة في ثورة الشعب وخرجوا للجهاد آنذاك، وهذه الاجواء كانت محفزة للشعب العراقي من اجل الجهاد والمقاومة بكل اطرافه، وجاءت الدعوة من قبل الشيخ الشيرازي (والسيد ابو الحسن الاصفهاني)^(٣) بعد عقد مؤتمر جماهيري في

(١) ينظر: محمد جابر ومحمد صلاح الاسود، الدور السياسي للمرجعية الشيعية في العراق، مجلة الهدى، السنة الثالثة، العدد التاسع سنة ٢٠١٢ ص ١٤٤.

(٢) محمد حسين النائيني هو احد اهم العلماء المجددين ويعد مؤسس الفقه الاسلامي الحديث ويعتبر كتابه (تنبيه الامة وتنزيه الملة) اهم وثيقة سياسية فقهية اصلاحية في الفكر السياسي. وهو فقيه اصلاحي يعد صاحب مدرسة في علم الاصول برز سياسيا في النجف مطلع القرن العشرين وهو من كبار علماء الشيعة. احمد عبد الله مجيد مصدر سبق ذكره ص ١٠

(٣) ابو الحسن الاصفهاني هو مرجع وفقيه شيعي تسلم المرجعية بعد وفاة المرجع محمد حسين النائيني ١٩٣٦ صار من كبار مراجع الشيعة وقياداتهم الدينية والسياسية في العراق وايران عاصر الاحتلال البريطاني للعراق وكان له رأي ضده وله مواقف في ثورة العشرين وغيرها. انظر الرابط. ansaralhoja.blogspot.com

كربلاء عام ١٩١٨ وتم ذلك من اجل حشد الطاقات لجهاد الانكليز، وحقق المؤتمر اهدافه الوطنية والسياسية والاعلامية مما اثار حفيظة الانكليز فتحركوا لأفشاله لكن لم يتمكنوا وعليه تم صياغة الميثاق الوطني الذي كان اهم مخرجات المؤتمر^(١).

حوزة النجف والدور السياسي في العراق:

يمتد تاريخ الحوزة العلمية في النجف الاشرف ما يقارب الالف عام فقد دشن الدراسة فيها الشيخ محمد بن الحسن الطوسي كما ذكرنا اثر اضطهاده في بغداد من قبل السلاجقة، ومنذ ذلك التاريخ اضحت النجف قبلة لدارسي العلوم الدينية وعاصمة الطائفة الشيعية في العالم، اذ يقصدها طالبي العلم من كل بقاع العالم ينهلون من علومها ويرجعون الى اوطانهم لممارسة التبليغ والدعوة والارشاد، والعمل على تأسيس حلقات لتعليم الديني في المساجد، وكانت للنجف الاشرف على مرور التاريخ الدور البارز والموقف المؤثر في كل الاحداث الدينية منها والسياسية والاجتماعية وخاصة في العراق، لكن كان الموقف الاوضح هو قيادتها للجماهير والعشائر العراقية من اجل القيام بأبرز ثورة شهدتها العراق في القرن العشرين ضد الاحتلال البريطاني ومواقف معارضة له منذ دخوله الاراضي العراقية عام ١٩١٤ وختمت بإعلان الثورة في عام ١٩٢٠ والمسماة بثورة العشرين، وكان رجال ثورة العشرين هم من اسسوا الدولة العراقية الحديثة، اولئك الرجال الذين تقدمهم رجالات الحوزة العلمية من مراجع وطلبة العلوم الدينية معلنين الثورة ضد الانكليز ووضعوا بنى الدولة العراقية في اهدافهم^(٢). وانطلقت شرارة

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٤٣.

(٢) ينظر: سليم الحسني، دور الشيعة في مواجهة الاستعمار، دار النجف للنشر، مكتبة الآداب،

الثورة من مدينة الرميثة في محافظة المثنى في جنوب العراق والتحققت بها كل المدن الشيعية تباعاً، ثم توسعت الثورة لتمتد من ديالى شرقاً وزوبع غرباً وتلعفر شمالاً والناصرية والبصرة وميسان جنوباً والمدن المقدسة كربلاء والنجف، وكانت الكاظمية تمثل مصدر قرار الثورة فأوقعت الخسائر الكبيرة في صفوف المستعمرين الانكليز وقدم رجال الثورة الغالي والنفيس من ارواح واموال في سبيل استقلال العراق وعدم خضوعه للهيمنة الغربية المتمثلة بالاحتلال الانكليزي^(١).

الاسباب التي ادت الى نجاح الثورة^(٢):

١. العامل الديني:- انتشرت دعوة الجهاد بين المسلمين في العراق لمحاربة المحتلين، تلك الدعوة او الفتوى التي تلاها الزعيم الديني الكبير سماحة الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس سره) وكانت المحفز والمشجع للعشائر العراقية للالتفاف حول مرجعيتهم في اي قرار تتخذه.
٢. نشاط وجهاء المدن ورؤساء العشائر ورجال الدين لنشر الافكار المطالبة بالاستقلال وتحرير العراق من الاحتلال، واقامة الفعاليات التي تدعوا الى ذلك اضافة الى التبليغ والارشاد الذي مارسوه رجال الدين في المجتمع.
٣. نشاط بعض المثقفين والضباط الذين سبق لهم تولي الوظائف والمناصب في العهد العثماني وقد فقدوا وظائفهم ونفوذهم نتيجة الاحتلال فاحذوا يثقفون ضد الاحتلال.
٤. الوعي الديني والسياسي الذي كان يتمتع به المواطن العراقي والالتزام بأوامر ونواهي الحوزة العلمية في النجف الاشرف لعمق العلاقة ومصداقيتها التي تربط الفرد العراقي مع مرجعاته الدينية.

(١) ينظر: جواد الظاهر، مصدر سبق ذكره، ص ١١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ١٧٦.

وغير ذلك من الاسباب التي ساعدت في اتساع نطاق الثورة وكان لها مقبولية بين اطياف المجتمع العراقي.

الشيرازي - السيستاني مرجعية التصدي :

كانت الميزة البارزة لدى زعماء ورجال ثورة العشرين هي شجاعتهم وبسالتهم في المعارك رغم عدم التكافؤ بين طرفي الحرب بريطانيا العظمى التي حكمت العالم، ولها السيطرة على المحيطات والبحار ودول كبرى كانت تزرع تحت هيمنتها كالصين والهند وغيرها وتملك من العدد ما لا يحصى من مرتزقة تأتي بهم لمكافحة الثورات والعدة وما تملكه من سلاح متطور من مدفعية وبنادق حتى طائرات، اما الطرف الثاني فكان شباب الثورة الذين لا يملكون شيء من هذا وانما مسلحين بالعقيدة والايان بالله والطاعة لمرجعياتهم الدينية وحبهم للمقدسات وبعض مما استولوا عليه من الاعداء من السلاح الخفيف والسلاح الابيض مثل الفالة وغيرها، ومع تصاعد الثورة التي اخذت تتخطى مناطق الجنوب العراقي لجأ الاحتلال البريطاني الى اسلوب المناورة لتقويض الثورة، فبادر بتقديم بعض التنازلات واعطاء العراقيين بعض المطالب الهامة داعيا اياهم بالتفاوض معها، لكن علماء الدين ردوا على تلك الدعوة بالرفض الحاسم لأي مفاوضات لا تتم على اساس استقلال العراق الموحد بكل ارضه، اذ عجز البريطانيون عن اخضاع الثوار الذي اجبروا الاحتلال على الدخول في مفاوضات معهم ورفضوا مطالبهم حتى انهم قاموا بإعطائهم للثوار ثمن البنادق التي طلبوها كجزء من شروط التفاوض^(١).

(١) ينظر: محمود جابر، قراءة في ترجمة ساحة السيد ابو الحسن الاصفهاني، بحث مقدم بالاحتفال بذكرى ساحتها في اصفهان، ٢٠٠٨.

ورغم ان الثورة لم تحقق الهدف المنشود وهو استقلال العراق وطرده المحتلين، لكن سجل فيها علماء الشيعة ورجالات الحوزة العلمية في النجف وكربلاء والكاظمية اجمل المواقف التي سجلت لهذه المؤسسة العريقة والتي كانت الاساس الذي استندت عليه مواقف المراجع من التدخلات الخارجية، واهمها دور المرجعية الدينية وموقفها من الاحتلال الامريكى عام ٢٠٠٣ الذي اعتمد على نفس الادوات التي جاء بها الاحتلال البريطاني، وكما تصدت المؤسسة الدينية للاحتلال البريطاني عام ١٩١٤ وقادت الثورة عام ١٩٢٠ كذلك تكرر الحال، وكان الموقف المشرف للمؤسسة الدينية في عام ٢٠٠٣ في رفضها التعامل والتعاون مع قوات الاحتلال الامريكى وفرضت عليه اجراء انتخابات عراقية نزيهة وكتابة دستور بأيدي عراقية ولا ننسى موقفها من الارهاب الداعشي عام ٢٠١٤ وفتوى الجهاد الكفائي.

ادرك السيد السيستاني (دام عزه) ان احتلال العراق عام ٢٠٠٣ ليس الا مقدمة لاحتلال طويل الامد فسعى منذ البداية نحو امرين هامين واعتقد انها ساهما في استقرار العراق، ويعتبر من ضمن المقاومة لذلك الاحتلال.

الاول: هو منع الشيعة والسنة من الثأر من عناصر كانت تحكم العراق وتعذب ابنائه قبل ٢٠٠٣ لأنه يعلم ان الثأر لا يجلب الا الثأر والمتضرر الوحيد هو الشعب العراقي لذا اصدر توجيهاته لحث العراقيين على عدم اللجوء الى اعمال ثأرية ضد عناصر النظام السابق.

ثانيا: مقاومته للاحتلال منذ البداية وهي مقاومة سلمية من خلال رفض اية مقابلة مع الجانب الامريكى رغم الحاح الحاكم المدني آنذاك بول بريمر على مقابله مرارا لكن السيد السيستاني رفض مقابله او لقاءه مع من يمثل الجانب المحتل

بصورة مباشرة او غير مباشرة، وعندما اراد بريمر نقل السلطة للعراقيين عام ٢٠٠٤ اصر السيد السيستاني على ضرورة اجراء انتخابات عامة في العراق قبل انتقال السلطة في حين ان مجلس الحكم عارض ذلك متعذرا بصعوبة اجراء انتخابات آنذاك، كما افتى السيد السيستاني بحرمة استخدام الممتلكات العامة للدولة وحرمة سرققتها وضرورة تسليم المسروق منها الى الجهات المستفيدة والمعنية في ارجاعها الى الدولة، فكان السيد يدرأ في ذلك فتنة ويحاول ابعاد المجتمع العراقي من شبح فتنة لا تبقي له باقية^(١).

وسوف نبين بشكل اكثر تفصيل عن دور المرجعية الدينية في احداث ما بعد ٢٠٠٣ في المحور الثاني.

المحور الثاني: دور المرجعية الدينية في الحفاظ على الهوية الوطنية بعد عام ٢٠٠٣

برز دور المرجعية الدينية العليا والمتمثلة بالمرجع الاعلى السيد علي السيستاني، بعد احداث ٢٠٠٣ وما خلفته من تفكك في بنية الدولة العراقية على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والامنّي، وفي ظل هيمنة امريكية عملت على إدارة العملية السياسية في العراق وبناء نظام حكم جديد، وبالرغم من كون المرجعية لا تمتلك قوة تنفيذية كونها فاعلا غير رسمي، الا انها ادت دورا مؤثرا في مراحل بناء الدولة العراقية الجديدة، وكانت لها مواقف سياسية واضحة بدءا من رفض الاحتلال الامريكي للعراق مروراً بالدعوة الى كتابة الدستور بأيادي عراقية وعرضه على الشعب العراقي من اجل الموافقة عليه او رفضه، والدعوة

(١) ينظر: علي ابو الخير، دور ساحة السيد علي السيستاني في واد الفتنة الطائفية في العراق، مجلة الهدى، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، العدد ٩، العراق، النجف الاشرف، ٢٠١٢، ص ١٢٤.

الى انتخابات عامة ينتخب فيها المواطنون من يمثلهم بتنوعاتهم لانتخاب حكومة وطنية تمثل الجميع، وصولاً الى التأكيد على اهمية تعزيز الوحدة الوطنية والابتعاد عن الإحتراب الداخلي وحرمة الدم العراقي، والعمل على المشتركات التي تسهم في تعزيز التعايش السلمي بين فئات المجتمع العراقي القائم على الاحترام للقيم الدينية او الطائفية والابتعاد عن التعصب والعنف الذي يؤدي الى عدم استقرار المجتمع، ولعل الدور الابرز الذي قامت به المرجعية الرشيدة يتمثل في اصدار فتوى الجاد الكفائي اثر سيطرة تنظيم داعش الارهابي لعدد من المدن العراقية وتهديده للسلم المجتمعي والوحدة الوطنية والتعايش السلمي عام ٢٠١٤، فقد مارست القيم التي تضمنتها الفتوى المباركة والمتمثلة بقيم التضحية والأخوة بين العراقيين وتحرير الأراضي العراقية من سيطرة تنظيم داعش الإرهابي دوراً فاعلاً في تحشيد العراقيين للدفاع عن ارضهم وتحريرها من خلال آلاف المتطوعين الذين شاركوا بالقتال ضد التنظيم، وهو ما ساهم في هزيمة ودحر تنظيم داعش وطرده وابراز الروح الوطنية للعراقيين وتعزيز انتمائهم الوطني وهويتهم الوطنية، وسنستعرض دور المرجعية الدينية الرشيدة في الحفاظ على الهوية الوطنية العراقية من خلال رفض الاحتلال الامريكي ومحاربة الفتنة الطائفية والارهاب الداعشي كما في ادناه.

موقف المرجعية الدينية العليا من الاحتلال الامريكي:

كان موقف المرجعية الدينية العليا من الاحتلال الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣ موقفاً واضحاً وصريحاً وحازماً، إذ أكد سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني سيادة العراق وان يكون الحكم للعراقيين بلا اي تسلط للأجنبي لأن العراقيين هم

الذين لهم الحق في اختيار نوع النظام في العراق بلا تدخل للأجانب، كما أكد سماحته على ضرورة استحصال قرار واضح من مجلس الأمن باستعادة العراقيين لسيادتهم على بلدهم بشكل كامل وغير منقوص (أي في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية)، كما أكد على السعي لإزالة آثار الاحتلال من جوانبه كافة^(١).

وأكدت المرجعية الرشيدة على أهمية دور الأمم المتحدة المحوري في المرحلة الانتقالية لإرساء الأمن والاستقرار خصوصا وأن جهودها كانت ضرورية للأشراف ومتابعة الخطوات الضرورية واللازمة لتمكين العراقيين من استرجاع السيادة لبلدهم، وقابل ذلك رفض القاطع للقاء ممثلي الاحتلال الأمريكي بكل رموزه العسكرية والمدنية، وهو ما دفع الحاكم المدني آنذاك بول بريمر إلى الاعتراف بالسلطة غير الرسمية للسيد علي السيستاني الذي رفض التحدث إلى الولايات المتحدة بوصفها سلطة محتلة مما دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى اللجوء للأمم المتحدة ليكون لها دور مهم في الوساطة، ورغم معارضة السيد السيستاني لخطة سلطة الاحتلال الأمريكي الخاصة بنقل السلطة للعراقيين إلا أنه لم يذهب إلى الدعوة لمواجهة الأمريكيين بالسلاح وكان هذا النهج فاعلا لأنه سمح بالتوصل إلى صيغة بديلة وهي إقامة انتخابات مبكرة ونقل السلطة إلى حكومة انتقالية بدون الذهاب إلى المواجهة المسلحة، وأسهم تأكيد السيد السيستاني على دور الأمم المتحدة وتحميلها للمسؤولية في الإشراف على العملية السياسية وتهيئة الأوضاع اللازمة لإجراء الانتخابات العامة وكتابة الدستور^(٢).

(١) ينظر: سهى منعم جيجان، تأثير الفواعل غير الرسمية في السياسة الخارجية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ المرجعية الدينية العليا دراسة حالة، رسالة ماجستير، جامعة بغداد كلية العلوم السياسية، ٢٠٢١، ص ٨٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ٨٥.

دور المرجعية الدينية العليا في محاربة الفتنة الطائفية :

اصدرت المرجعية الرشيدة العديد من التوجيهات والبيانات بخصوص الفتنة الطائفية التي اجتاحت العراق بعد الاحتلال الامريكي، وكانت تلك الاحداث تمثل خطورة لا يستهان بها، اذ لم يمر البلد بمثل تلك الاحداث فيما سبق فهددت كيانه وضربت عمق الصلة الاجتماعية بين ابناء الشعب، وفتحت الباب امام الاعداء لبث سمومهم ومخططاتهم لضرب الوحدة الوطنية والهوية الوطنية العراقية، الا ان المرجعية كانت واعية ومدركة لتلك المخاطر وعملت على دعم وتمثيل النهج الصحيح والتثقيف على ترك التعصب والعنصرة المؤدي الى الاحتراب الطائفي، فعندما تعرضت الكنائس في بغداد والموصل الى اعتداءات ارهابية راح ضحيتها المئات من الضحايا الابرياء، دافعت المرجعية دفاعا واضحا عن مقدسات المسيحيين والتي تعتبر خارج الاطار المذهبي والنظر اليها بسمتين الاولى وهي انسانية والثانية وهي الوطنية، واكد خطاب المرجعية في هذا الجانب على شجب وادانة تلك الجرائم وضرورة تظافر الجهود في سبيل وضع حد للاعتداء على العراقيين وقطع دابر المعتدين، كما اكد على وجوب احترام حقوق المواطنين المسيحيين وغيرهم من الاقليات الدينية ومنها حقهم في العيش في وطنهم العراق بأمن وسلام، وحين بدأت فتنة الارهاب والتكفير الطائفي في العراق من قبل التنظيمات الارهابية ضد الشيعة في العراق واستهدافه لشخصياتهم ومناسباتهم الدينية وتوالت الاغتيالات، رفض السيد السيستاني توجيه الاتهام الى اي جهة مذهبية والتأكيد على الوعي والحذر من الفئات المعادية للعراق والمذاهب لأن هدفها الاساس ايقاع الفتنة بين اطراف وفئات الشعب العراقي^(١).

(١) ينظر: د. باسل محسن مهنا، دور المرجعية في تعزيز الوحدة الوطنية السيد السيستاني نموذجا، مجلة دراسات مركز الكوفة، العدد ٦٣، ٢٠٢١، ص ص (٦٢-٦٣).

وكانت نظرة المرجعية بشأن محاربة الفتنة الطائفية شاملة ولم تقتصر على جانب واحد او جهة واحدة فقد شملت المسلمين وغير المسلمين، كما اكدت على التعايش السلمي بين ابناء الشعب العراقي بمختلف اطيافه، ويكفي ان نشير في هذا الصدد الى موقف المرجعية من العوائل التي نزحت من مناطق الارهاب، فقد اكدت في خطبها على ذلك الامر من خلال الاشارة الى أن عشرات الآلاف من المواطنين من التركمان والشبك والمسيحيين والأقليات الأخرى يعيشون ظروفًا قاسيةً بسبب التهجير والنزوح عن مناطق سكناهم بعد سيطرة الارهابيين على مدنهم وقراهم في محافظة نينوى وغيرها، وأن الجهود المبذولة في رعايتهم والتخفيف من معاناتهم لا تزال دون المستوى المطلوب، وان الحكومة الاتحادية تتحمل مسؤولية كبيرة تجاه هؤلاء المهجرين والنازحين، كما أن حكومة إقليم كردستان والمنظمات الدولية يقع على عاتقها بذل المزيد من الاهتمام بهم، وإن هؤلاء المواطنين يجب أن تتوفر لهم فرصة العودة إلى مناطق سكناهم بعد استتباب الأمن والسلام فيها ولا يجوز أن يكون تهجيرهم ونزوحهم عنها مدخلًا لأيّ تغييرات ديموغرافية في تلك المناطق^(١)، وهذا هو الخطاب الإنساني الذي يهتم بجميع المكونات، ويعتز كل الاعتزاز بالأقليات ولا يهتمش أي طرفٍ مهما كان وأتى كان، يرفض الظلم بجميع أشكاله. بل ثمة مطالبة لأجل تلك الطوائف، تلك المطالبة شملت الحكومة المركزية وحكومة كردستان كذلك ومطالبات المنظمات الإنسانية في تسخير

(١) ينظر: د. عباس اسماعيل الغراوي، المرجعية الدينية واثرها في التعايش السيد السيستاني نموذجا، مؤسسة الهدى للدراسات الاستراتيجية، تاريخ النشر ٢٠١٩ / ٢ / ١ على الرابط الاتي:

جهودها الإنسانيّة للمنكوبين والمتضرّرين، وما ذلك إلّا لأجل تسخير كلّ الجهود لأجل العراق.

دور المرجعية في تأصيل الهوية الوطنية :

اتسم خطاب المرجعية الدينية العليا منذ عام ٢٠٠٣ بكونه خطاباً إنسانياً ووطنياً أكد على بناء المواطنة الصالحة والرؤية المعاصرة الدقيقة لبناء الفكر الاجتماعي، وما يدلل على ذلك استخدام المرجعية للخطاب الحكيم المبني على النهج الإنساني والوطني، إذ استخدمت مفردات (العراق، الشعب، المواطن، المجتمع) وهو ما يدلل على حرص مرجعية السيد السيستاني على الخطاب الوطني والروح الأبوية، وتوضح احصائية انه خلال المدة ما بين عامي (٢٠٠٥-٢٠١٧) تضمن خطاب المرجعية الاشارة الى كلمة شعبنا (٢٧٤٦) مرة وكلمة المواطن (٣٢٥٩) مرة وكلمة مجتمعنا (١٩٧٨) مرة وكلمة العراقيين (٥٣٠٤) مرة، وهو ما يوضح البعد الوطني في خطاب المرجعية وتأكيده على الهوية الوطنية العراقية^(١).

ويكفي ان نشير في هذا الصدد الى دور المرجعية في الحفاظ على وحدة العراق ارضاً وشعباً وتعزيز الهوية الوطنية العراقية من خلال التصدي ومواجهة الارهاب الداعشي الذي اخذ يمتد شيئاً فشيئاً، إذ اجتاحت عصابات داعش الارهابية مدينة الموصل وسيطرت عليها في ٩ حزيران ٢٠١٤، واستطاعت خلال ايام معدودة من تهجير وقتل الالاف من ابناء الاقليات الدينية الايزيدية والمسيحية، وتوجهت نحو مدن صلاح الدين وكركوك وديالى، وبعد ثلاثة ايام فقط من سقوط الموصل بيد داعش، اصدرت المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف فتوى الجهاد الكفائي

(١) ينظر: د. باسل محسن مهنا، مصدر سبق ذكره، ص ٦١.

في ١٣ حزيران ٢٠١٤، والتي كانت موجهة الى كل من هو قادر على حمل السلاح للدفاع عن الارض والوطن والشعب والمقدسات كواجب كفائي (اي الاكتفاء بعدد يحقق الغرض المطلوب وهو حفظ البلاد وشعبه ومقدساته)، ولم تكن تلك الفتوى المباركة موجهة لطائفة دون اخرى بل الى العراقيين جميعا، وكانت الاستجابة سريعة جدا اذ استجاب حوالي مليونين ونصف المليون متطوع، ومثل ذلك صدمة لداعش والولايات المتحدة الامريكية^(١).

واكدت المرجعية على جملة من المبادئ والاسس في مواجهة تنظيم داعش الارهابي وهي كالآتي^(٢):

١- ان العراق وشعبه يواجهان تحديا كبيرا وخطرا عظيما وان الارهابيين لا يستهدفون بعض المحافظات مثل نينوى وصلاح الدين فقط بل صرحوا انهم يستهدفون جميع المحافظات ويستهدفون جميع العراقيين ومن هنا فان مسؤولية محاربتهم والتصدي لهم هي مسؤولية الجميع.

٢- ان التحدي وان كان كبيرا الا ان الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة والاقدام وتحمل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة اكبر من هذه التحديات والمخاطر، فان المسؤولية في الوقت الحاضر هي حفظ العراق ومقدساته من هذه المخاطر، وهو ما يتطلب المزيد من العطاء والتضحيات في سبيل الحفاظ على وحدة الوطن وكرامته وصيانة مقدساته.

(١) ينظر: سهى منعم جيجان، مصدر سبق ذكره، ص ٩٣.

(٢) ينظر: د. فراس عبد الكريم محمد علي، دور المرجعية في حفظ وترشيد العملية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية جامعة النهرين، العدد ٦٢، ٢٠٢٠، ص ١٥٧.

٣- ان القيادات السياسية في العراق امام مسؤولية وطنية وشرعية كبيرة وهذا يقتضي ترك الاختلافات والتناحر خلال تلك الفترة العصبية وتوحيد كلمتها واسنادها ودعمها للقوات المسلحة ليكون ذلك قوة اضافية لأبناء الجيش العراقي في الصمود والثبات.

٤- ان دفاع ابناء الجيش العراقي وسائر الاجهزة الامنية هو دفاع مقدس ويتأكد ذلك من خلال معرفة ان منهج الارهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الاسلام، ويرفض التعايش مع الاخر بسلام ويعتمد سفك الدماء واثارة الاحتراب الطائفي كوسيلة لبسط نفوذه وهيمنته على مختلف المناطق في العراق ودول اخرى.

وكان للفتوى المباركة التي اطلقتها المرجعية ابعاد غاية في الاهمية تمثلت في حث الشباب الواعي على الولاء للوطن والعقيدة الاسلامية والدفاع والحفاظ عليهما، ومحاربة الغلو والتطرف بكل اشكاله وايراد النصوص القرآنية المحذرة منه، ونشر الوسطية والاعتدال عقيدة ومنهجاً وسلوكاً في الحياة، وان مسؤولية التصدي للعصابات الارهابية هي مسؤولية جماعية ولا تخص طائفة دون اخرى، ولذلك مثلت فتوى المرجعية اعادة للروح الوطنية الى القوات الامنية والجيش العراقية وبثاً للروح الوطنية لدى ابناء الشعب العراقي كافة للدفاع عن ارضهم وشعبهم ومقدساتهم، وهنا يمكن القول ان الجهاد الكفائي الذي اعلنته مرجعية السيد السيستاني ضد تنظيم داعش الارهابي كان له الاثر الاكبر والحاسم في الحيلولة دون تقسيم العراق ومنع داعش من التسلط على البلاد والعباد، ولعل من اهم نتائج فتوى الجهاد الكفائي انها خاطبت العراقيين جميعاً بجميع طوائفهم وقومياتهم، وهو ما يعني ان المرجعية في فتوى الجهاد خاطبت المواطنين وليس المؤمنين او

الشيعة فقط، كما انها دعت الى الانخراط في صفوف القوات الامنية حصرا، ومثل البعد الوطني الوجودي المجال الابرز في مفردات فتوى الجهاد الكفائي^(١). وأدركت المرجعية الدينية العليا ضرورة كبح تنظيم داعش الارهابي وبسرعة والا فانه سوف يستمر في التمدد ومن ثم تصبح مسألة المعالجة معقدة، لا سيما وان اهدافه وتطلعاته كانت دائما تتمثل بالتبجح بالإعلان عن السيطرة على كل البلاد، لذلك فان الشعب العراقي وفقا للمرجعية هو الاولى في الدفاع عن بلده من الآخرين، وخطأ التعويل على القوة الخارجية بما تطرحه من شعارات وادعاءات ولا سيما ان بعض الجهات الخارجية ربما تكون غير صادقة في نواياها لمحاربة الارهاب، وعليه كان لا بد من التأكيد على البعد الوطني وتفعيل وتعزيز الهوية الوطنية والروح الوطنية واستنهاض الهمم من اجل محاربة الارهاب والارهابيين والحفاظ على الارض والعرض والمقدسات وهو ما حصل تنفيذاً لفتوى الجهاد المباركة^(٢).

ولم تقتصر فتوى المرجعية المباركة على البعد الوطني الوجودي وانما تعدته الى البعد الانساني، اذ لم يكتفي المرجع السيد السيستاني بفتواه في الجهاد الكفائي لمواجهة تنظيم داعش بالبعد العسكري والامني، بل عمل على مسارات اخرى مكمله للفتوى المباركة واهم تلك المسارات البعد الانساني، فقد عمل السيد السيستاني على ايلاء موضوع النازحين اهتماما خاصا ومباشرا من حيث توفير

(١) ينظر: د. سعد عبدالحسين نعمة، المرجعية الدينية وبناء الوحدة الوطنية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ (دراسة في مواقف وفتوى سماحة السيد السيستاني)، مجلة مركز دراسا الكوفة، العدد ٦٣، ٢٠٢١، ٢٤٥. ايضا د. فراس عبدالكريم محمد علي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٨.

(٢) ينظر: د. سعد عبد الحسين نعمة، مصدر سابق، ٢٤٧.

الامكانات المادية والمعنوية وحشد المخلصين من الهيئات والمنظمات والعشائر والمؤسسات الحوزوية لتقديم جميع الامكانات لأهالي المناطق التي تعرضت للقتال والنزوح، فقد كانت المأساة الانسانية اكبر من كل شيء ولذلك لم تترك المرجية البعد الانساني للمدنيين من العوائل والاطفال، ومارست كل انواع الضغط والمناشدة والتحريض على تقديم المساعدات الضرورية كي لا تحدث انتهاكات انسانية وهو ما اكدته خطب المرجعية مرارا وتكرارا^(١).

ويمكن القول ان فتوى الجهاد المباركة لم تكن فتوى عسكرية فحسب هدفها مسؤولية الدفاع عن الوطن، وانما اسهمت بشكل كبير في حفظ السلم الاهلي ووحدة المجتمع العراقي على اختلاف مكوناته الدينية والمذهبية والعرقية والقومية، وحفزت العراقيين على حماية بعضهم البعض والدفاع عن بعضهم البعض وحماية الاقليات الموجودة على ارض العراق، وهنا يبرز الدور الحقيقي والفعلي للمرجعية الدينية العليا في تأصيل الهوية الوطنية العراقية.

(١) ينظر: د. فراس عبد الكريم محمد علي، مصدر سابق، ص ١٥٨.

الختامة :

مما تقدم يتضح دور المرجعية الدينية العليا في الحفاظ على الهوية الوطنية وتأصيلها والتأكيد عليها خصوصا اوقات الازمات والشدائد، فعلى مدار قرن من الزمان مارست المرجعية الدينية العليا دورا بارزا وفاعلا ومهما في تأكيد الروح الوطنية والبعد الوطني لدى ابناء الشعب العراقي، وبرز ذلك بشكل واضح وجلي عام ١٩١٤ عندما تصدت المرجعية ممثلة بالمرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس سره) للاحتلال البريطاني ودعت الى مواجهته ومحاربهه والتخلص منه من قبل العراقيين كافة بغض النظر عن انتمااتهم الدينية والعرقية والمذهبية، والتأكيد على دعوة ابناء الشعب العراقي كافة للوقوف بوجه بريطانيا واخراجها من العراق، وكان لهذا الامر دور اساس وحاسم في اندلاع ثورة العشرين ضد الوجود البريطاني في العراق.

وقد تكرر هذا الامر بعد قرن من الزمان عندما اطلق المرجع الاعلى السيد على السيستاني (دام ظله) فتوى الجهاد الكفائي الى ابناء الشعب العراقي كافة دون تحديد لطائفة معينة او مذهب معين للدفاع عن ارض العراق وعن الشعب العراقي وعن المقدسات ضد الهجمة الارهابية الممثلة بتنظيم داعش الارهابي، ونجحت تلك الفتوى المباركة في الحفاظ على وحدة العراق ارضا وشعبا، وكان لتلك الفتوى دور حاسم في ضرب كافة المخططات التي سعت للنيل من العراق وتقسيم هويته الى هويات فرعية يسهل القضاء عليها.

وبذلك يتضح لنا حقيقة الدور الحقيقي والمهم والفاعل للمرجعية الدينية العليا على مر الازمان في الحفاظ على الهوية الوطنية وتأصيلها، والحفاظ على

الوحدة الوطنية والقضاء على الفرقة بين ابناء الشعب العراقي من اجل الخروج من الازمات والاوزاع الخطرة بشكل ايجابي وناجح يحفظ للبلد وجوده وكرامته.

قائمة المصادر:

اولاً: الكتب العربية

١- جواد الظاهر، ثورة العشرين ثورة الشعب العراقي الكبرى، الطبعة الاولى، بغداد، ٢٠١٠.

٢- سليم الحسني، دور الشيعة في مواجهة الاستعمار، دار النجف للنشر، مكتبة الآداب، ٢٠٠٤.

ثانياً: الكتب المعربة

١- ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، ترجمة: مصطفى الجوار وفؤاد جميل، بغداد ١٩٦٧.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح

١- احمد عبد الله الموسوي، الفقه السياسي الاسلامي المعاصر، رسالة ماجستير، غير منشورة، علوم سياسية، بغداد، ٢٠٠٧.

٢- سهى منعم جيجان، تأثير الفواعل غير الرسمية في السياسة الخارجية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ المرجعية الدينية العليا دراسة حالة، رسالة ماجستير، جامعة بغداد كلية العلوم السياسية، ٢٠٢١.

رابعاً: المجلات

١- حسن الحكيم، معضلة التنبك او كلمة النجف الاشرف المناهضة للاستعمار، مجلة الهدى، السنة الثالثة، العدد التاسع بغداد ٢٠١٠.

٢- محمد جابر ومحمد صلاح الاسود، الدور السياسي للمرجعية الشيعية في العراق،

- مجلة الهدى، السنة الثالثة، العدد التاسع، ٢٠١٢.
- ٣- محمود جابر، قراءة في ترجمة سماحة السيد ابو الحسن الاصفهاني، بحث مقدم بالاحتفال بذكرى سماحته في اصفهان، ٢٠٠٨.
- ٤- علي ابو الخير، دور سماحة السيد علي السيستاني في واد الفتنة الطائفية في العراق، مجلة الهدى، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، العدد ٩، العراق، النجف الاشرف، ٢٠١٢.
- ٥- د. باسل محسن مهنا، دور المرجعية في تعزيز الوحدة الوطنية السيد السيستاني نموذجاً، مجلة دراسات مركز الكوفة، العدد ٦٣، ٢٠٢١.
- ٦- فراس عبد الكريم محمد علي، دور المرجعية في حفظ وترشيد العملية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية جامعة النهرين، العدد ٦٢، ٢٠٢٠.
- ٧- سعد عبد الحسين نعمة، المرجعية الدينية وبناء الوحدة الوطنية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ (دراسة في مواقف وفتوى سماحة السيد السيستاني)، مجلة مركز دراسا الكوفة، العدد ٦٣.
- خامساً: الانترنت
- ١- د. عباس اسماعيل الغراوي، المرجعية الدينية وأثرها في التعايش السيد السيستاني نموذجاً، مؤسسة الهدى للدراسات الاستراتيجية، تاريخ النشر ٢٠١٩ / ١ / ٢ على الرابط الاتي:

www.alhudamissan.com/index.php/2013-25-21-05-03-2013/16-25-21-05-56-45-24-01-2019-5404/11.html.

دور المرجعية الدينية في تأسيس الدولة العراقية ١٩٢١

م.م. أمين غانم الحفوف
كلية التربية الأساسية - جامعة الموصل

Amen56@gmail.com

أ.م.د. عماد عبدالعزيز يوسف
كلية التربية الأساسية - جامعة الموصل

emadabdulazeez38@gmail.com

الملخص

الكلمات المفتاحية: العراق، تأسيس، المرجعية، بريطانيا

موضوع الدراسة :

كان للمرجعية الدينية في التأريخ الحديث والمعاصر موقفاً واضحاً ومشرفاً وعظيماً لجميع الاحداث التي تعرضت إليها بلاد المسلمين من قبل الدولة الاستعمارية التي تعرضت إليها بلاد المسلمين من قبل الدول الاستعمارية التي تكالبت عليها لاستعمارها أو من خلال اعوانهم وعملائهم من الحكام لتمزيق وحدتهم وتحريف منهجهم وتلوّث عقائدهم ونهب خيراتهم وإفساد رجالهم ونسائهم، فانبرى لمواجهةهم فقهاء المرجعية واعلامها من خلال الفتاوى التي تدعو للتصدي لأفكارهم تارة ولاعتداءاتهم تارة أخرى، وما جرى في العراق منذ ابتداء تأسيس دولته عام ١٩٢١م بعد فتوى ثورة العشرين التي اطلقها المرجع الديني الشيخ محمد تقي الشيرازي ضد الانكليز المحتلين وما ترتبت عليها من آثار. وكذلك دور بقية المراجع والعلماء والمرجعية كمؤسسة هذه المؤسسة التي كانت لها الدور الكبير في قيام المملكة العراقية خاصة وتاريخ العراق بشكل عام.

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى مناقشة عدة فرضيات تحاول إيجاد الحلول لها وهي هل ان المرجعيات الدينية في العراق حققت اهدافها، وهل كان لها الدور الرئيس في تشكيل الدولة العراقية.

أسئلة الدراسة :

تحاول الدراسة الإجابة على:

١ . امكانية اعتماد النتائج المردودة عن المرجعيات الدينية؟

منهجية الدراسة :

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي موضوع الدراسة وفيه يتم التركيز على المعلومات التاريخية وتحليلها وفق معطيات تاريخية علمية تهدف إلى توضيح أهمية المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة هذا الموضوع.

حدود الدراسة

الحدود الزمانية: تتعلق بالمدة التاريخية التي حددت الدراسة وهي الربع الأول من القرن العشرين.

الحدود المكانية: فهي الموقع الذي دارت به الدراسة وهي العراق.

الحدود الموضوعية: تتعلق بموضوع الدراسة وهو دور المرجعيات الدينية في تأسيس الدولة العراقية.

مصادر الدراسة :

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر المتنوعة العربية والمعرّبة والدوريات ذات العلاقة بالموضوع.

Abstract

Keywords: Iraq, founding, reference, Britain Study subject: The religious authority in modern and contemporary history had a clear, honorable and great position for all the events that the Muslim countries were exposed to by the colonial state that the Muslim countries were subjected to by the colonial countries that fought against them to colonize them or through their aides and agents of the rulers to tear their unity, distort their approach, pollute their beliefs and plunder their goods And the corruption of their men and women, so he turned to confronting the jurists of the reference and its media through fatwas that call for confronting their ideas sometimes and their attacks at other times, and what has happened in Iraq since the beginning of the establishment of its state in 1921 AD after the fatwa of the twenty-first revolution launched by the religious authority, Sheikh Muhammad Taqi al-Shirazi against the British occupiers and the consequences of its antiquities. As well as the role of the rest of the references, scholars and reference as the institution of this institution, which had a great role in the establishment of the Iraqi Kingdom in particular and the history of Iraq in general. Objectives of the study: The study aims to discuss several hypotheses trying to find solutions to them, which are whether the religious authorities in Iraq achieved their goals, and whether they had a major role in forming the Iraqi state. Study questions: The study attempts to answer: 1- The possibility of adopting the results returned from religious references? Study Methodology: The study depends on the historical, descriptive, and analytical method, the subject of the study, in which the focus is on historical information and its analysis according to historical and scientific data that aims to clarify the importance of the information that can be relied upon in the study of this topic. The limits of the study Temporal

boundaries: relate to the historical period that the study determined, which is the first quarter of the twentieth century. Spatial boundaries: it is the location in which the study took place, which is Iraq. Objective limits: related to the topic of the study, which is the role of religious authorities in establishing the Iraqi state. Study sources: The study relied on a variety of Arab and Arabized sources and periodicals related to the subject.

دور المرجعية الدينية في التخطيط لقيام ثورة العشرين

أجتمع ممثلو حزب النجف السري والجمعية الوطنية الإسلامية وجمعية حرس الاستقلال في النجف وتدارسوا فكرة القيام بالثورة المسلحة على بريطانيا، فأتفقوا على خطوات تمهيدية تسلم في تعبئة الجماهير، وتؤكد قيادة الميرزا الشيرازي للحركة الوطنية الاستقلالية، وذلك بتوزيع منشور بتوقيع الشيرازي يأمر بالوحدة وجمع الشمل، وجعل يوم الجمعة يوم الشعب تعطل فيه الأعمال وتنصب المنابر في الساحات العامة ليتبارى الخطباء فوقها بما يستلزم الاثارة والتحريض^(١). وبمناسبة زيادة المبعث في ١٦ نيسان ١٩٢٠ حضر مندوبون من المدن العراقية ومناطق أخرى مختلف كبغداد والموصل والمنتفك ومناطق الفرات الأوسط فضلاً عن النجف نفسها، لغرض عقد مؤتمر كبير في دار السيد علوان الياسري في النجف، طرحت في هذا الاجتماع فكرة القيام بالثورة المسلحة ضد الإنكليز^(٢).

كانت تلك أول مرة تطرح فيها مثل هذه الفكرة على جمع من رجال الدين ورؤساء العشائر فجرى نقاش حولها فأيدها عدد من الحاضرين وعارضها بعضهم الآخر، كما كان على رأس المعارضين الشيخ خيون العبيد، إذ كان رأيه أن الثورة يصعب القيام بها في الوقت الحاضر لأن العراقيين مختلفون وليس على رأي واحد^(٣). كان كلام الخيون قد أثر في الحاضرين فتم الإتفاق على تأجيل القيام بالثورة، وعلى العمل في التمهيد لها عن طريق التوعية الوطنية والدينية، حتى إذا أصبح

(١) حسين عبدالواحد بدر، موقف المؤسسة الدينية في النجف من شروع الدولة الوطنية في العراق ١٩١٨-١٩٤١، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد (كلية الآداب: ٢٠١٠)، ص ١١٥.

(٢) عبدالستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي ١٩٢١-١٩٤١، (د.م: ٢٠١٠)، ص ٦٧.

(٣) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (بيروت: ٢٠٠٥)، ج ٦، ص ١٢٥.

الناس مستعدين لما آن الأوان للقيام بها، حاول زعماء العشائر البارزون وقادة الحركة والوطنية في اقناع الشيرازي بمقدرة العشائر على محاربة الإنكليز، وكان يؤيدهم في ذلك ابنه محمد رضا، وقد انتهزوا فرصة زيارة منتصف شعبان في كربلاء لمفاتيحة الشيرازي بالأمر، فقال لهم أن الحمل ثقيل واخشى أن لا تكون للعشائر قابلية لمحاربة الجيوش المحتلة، فأكدوا له أن العشائر لها القدرة التامة على القيام بالثورة، فقال ((أخشى أن يختل النظام ويفقد الأمن وتكون البلاد فوضى، وأنتم تعلمون أن حفظ الأمن أهم من الثورة بل أوجب منها)). فأجابوه بأنهم قادرون على حفظ الأمن وأن الثورة لا بد منها وسوف يبذلون كل ما بوسعهم لحفظ النظام وتوفير راحة العموم، ولما وجد الشيرازي انهم قد ضايقوه من كل جانب لم يربدا من القول ((إذا كانت هذه نياتكم وهذه تعهداتكم فالله في عونكم))^(١).

عدت تلك الجملة ايذاناً بالثورة المسلحة، لكن عدم صراحتها دفعهم للاتفاق على تفعيل الطرق السلمية قبل إعلانها، وقد كانوا محقين فالفتوى التي تعالج شأناً يمس مستقبل شعب، يجب أن تكون صريحة ليس فيها لبس، وبالفعل أنتدبت جمعية حرس الاستقلال وبمباركة علماء بغداد المؤيدين لها في السادس والعشرين من آيار وفداً يضم خمسة عشر شخصية دينية ووجهاء من السنة والشيعة، لعرض مطالب أهل بغداد وبرزها تشكيل حكومة وطنية مستقلة، ولأجل حكم هذه الخطوة شرع النجفيون تنظيم مضبطة وقعتها سبعة وثمانون من كبار المرجعيات وفي مقدمتهم شيخ الشريعة والسيد الحسن الأصفهاني، ووجهاء شيوخ عشائر النجف، وأرسلت إلى الحاكم السياسي، ومما جاء فيه ((وقد حولناهم أن يجمدوا بالصوت العالي في طلب استقلال بلادنا العراقية على حدودها الطبيعية استقلالاً

(١) عبدالرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، (بيروت: ١٩٧٢)، ص ص ١٦٤-١٦٥.

تماماً بتاتاً خالياً من كل مداخلة اجنبية، استقلالاً كاملاً بتأسيس دولة عربية يرأسها ملك مسلم مقيد بمجلس وطني)). ويبدو واضحاً أن المؤسسة الدينية في النجف مساندة تماماً لمبدأ الدولة المستقلة وفي هذه الأثناء انتشر في انحاء بغداد ومدن الفرات الأوسط كافة، نداء حرره الميرزا الشيرازي يحث فيه العراقيين على التظاهر ومساندة المطالب المشروعة في استقلال العراق^(١). وفي السابع والعشرين من آيار عام ١٩٢٠ استدعى ارنولد ولسون قادة التظاهرات وهددهم بالتنكيل بالمتظاهرين إذا لم يكفوا عن ذلك، كما طالبهم الكف عن تنظيم الاجتماعات، إلا أن القادة أكدوا له أن أهالي بغداد لن يعتقوا المظاهرات والاجتماعات، إلا بعد تأسيس وطنية مستقلة، وبالفعل فقد استمرت التظاهرات الصاخبة في جميع مناطق بغداد، مما اضطر ويسلون إلى الاجتماع بأعضاء الوفد في الثاني من حزيران عام ١٩٢٠، وهددهم بالقضاء على الحركة بالقوة المسلحة، إلا أنه قطع على نفسه وعداً بتلبية المطالب التي تقدم بها الوفد^(٢).

أعرب اعضاء الوفد عن عدم إرتياحهم لحديث ولسون الذي كان غامضاً وعبروا بصراحة عن إستيائهم من المماطلة في دعوة المجلس التأسيسي، وأصدار القوانين التي تضمن حرية الصحافة والرأي والتنقل، وطالبوا بالإسراع في البت في هذه المواضيع، وقد أخفق الاجتماع، وتم تأجيله لمدة شهرين، ونتيجة لرفض السلطات البريطانية تلبية المطالب التي تقدم بها الوفد، فقد أجتاحت المظاهرات البهو الذي عقد فيه الاجتماع، وبعد انتهاء المفاوضات مباشرة وصف ولسون تلك

(١) حسين عبدالواحد بدر، موقف المؤسسة الدينية في النجف من مشروع الدولة الوطنية في العراق (١٩١٨-١٩٤١)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد كلية الآداب، ٢٠١٠، ص ١١٥.

(٢) أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، (القاهرة: د.ت)، ج ٢، ص ١٩.

المظاهرات، بأنها كانت في هيأتها أقرب إلى اعلان الحرب^(١). ولهذا اتخذت المواجهات مع السلطات البريطانية في كل من كربلاء والحلة طابعاً تصادميةا وبتوجيه من والده قام الشيخ محمد رضا الشيرازي بارسال رسائل بأسمه وأخرى مختومة بختم والده إلى مناطق الفرات الأوسط يجرضهم فيعا على الثورة، فقامت السلطات البريطانية في الثاني والعشرين من حزيران عام ١٩٢٠ باعتقاله هو ومساعديه ونفيهم إلى جزيرة هنجام، وادى هذا الأمر إلى دفع اعضاء حزب النجف وشيوخ العشائر والمؤيدين له إلى الاتفاق على عدم جدوى المطالبة السلمية مما يعني أن الثورة باتت وشيكة^(٢).

قيام الثورة

كانت بداية انطلاق الثورة، بعد اعتقال السلطات البريطانية للشيخ شعلان ابو الجون قامت عشيرة الطوالم في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠ لتحرير شيخها شعلان أبو الجون من سجنه في سراي الرميثة، وإقدامهم على مهاجمة البريطانيين في أنحاء الرميثة^(٣) ظلت هذه العشائر تقاتل البريطانيين لوحدها مدة اسبوعين، وكان مثار ألم شديد الشيرازي والوطنيين في كربلاء، فقرر الشيرازي أن يرسل وفداً منه إلى ولسون في بغداد لمفاوضاته في أمر ايقاف القتال حقناً للدماء ويعرض عليه شروطاً قبل إنضمام العشائر الأخرى إلى الثورة وكانت هذه الشروط هي: سحب القوات البريطانية من منطقة القتال، واعلان العفو وإعادة المنفيين، رفض

(١) ل.ن كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة عبدالواحد كرم، (بغداد: ١٩٧٥)، ص ١٦٥.

(٢) بدر، المصدر السابق، ص ١١٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٧.

ولسون مقابلة الشيرازي وقال ((إنني لا أصدق برسالة الشيرازي لأنه هو الذي بذر البذرة، وهذا يوم حصادها ولا نوافق على إطلاق سراح نجله المعتقل))^(١).
على إثر ذلك أفتى الشيرازي فتواه المشهورة التي أجاز بها الثورة المسلحة ونصها ((مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن ويجوز لهم التوصل بالقوة الدفاعية إذا أمتنع عن قبول مطالبهم))، وبهذا أصبح الناس على أثر صدور هذه الفتوى ولأول مرة أمام واجب ديني ووطني لا عذر فيه إذ نال طلب الاستقلال المباركة الدينية^(٢)، وأمام هذه التطورات، قامت عشائر الفتلة وآل شبل وآل ابراهيم والغزلات المقيمة في المشخاب نحاط علماء بما جرى في الرميثة والديوانية، حتى تشجعت فطردت حامية أبي صخير، كما أن العشائر المحيطة بقصبة الشامية بين الديوانية وأبي صخير من العوابد والحزاعل والحميدات أرغمت حاكم الشامية العسكري على الفرار إلى الكوفة، وكذلك هرب حاكم النجف العسكري الرائد نوربري، وعلى هذا تجمعت في الكوفة حاميات النجف والشامية وأبي صخير، فأعتصمت في البيوت والخانات والأسواق المطلة على النهر فضربت قبائل بني حسن حصاراً عليها دام نحو أربعة أشهر^(٣). لقد اضطرت القيادة البريطانية العليا مما جرى فقرت تخلص المحاصرين في الكوفة بأي ثمن وفي ٢٣ تموز عام ١٩٢٠ غادرت الحلة قوة كبيرة سميت (رتل مانشستر) وكان هدفها إسترداد الكفل، التي كانت بأيدي الثوار ثم الزحف نحو الكوفة، لكن العشائر

(١) حسن داخل عطية، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مدينة كربلاء ١٩٢١-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية (كلية التربية الأساسية: ٢٠١٣)، ص ٤٧-٤٨.

(٢) الجنابي، المصدر السابق، ص ٧٧.

(٣) محمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، (بغداد: ١٩٢٥)، ج ٣، ص ٩.

الثائرة تصدت لها بين الحلة والكفل وأشتبك الطرفان في معركة خسر الانكليز فيها عشرين قتيلاً وستين جريحاً و(٣١٨) مفقوداً مع كمية هائلة من السلاح والعتاد ومدفع عيار ١٨ رطل^(١). إذ كانت منطقة الفرات مهد الثورة، والممتدة من حدود دير الزور حتى البصرة، وكونها ذات موقع جغرافي مهم، فضلاً عن مكانتها الدينية والقومية، فإن هذا السهل الفسيح يضم مليوني نسمة، أنتشرت فيها الثورة فنجد عدة جبهات كجبهة الرميثة، وجبهة لواء المتفك. أن هزيمة الانكليز في معارك الفرات الأوسط، وإضطرارهم إلى الانسحاب من الديوانية إلى الحلة، وفي ١٦ آب عام ١٩٢٠ أعلنت كربلاء الجهاد وأخلت القوات البريطانية منها، كما تشكلت إدارة فعلية برئاسة محسن أبو طيخ واحتل وظيفة المتصرف، كما فرض هادي مكوטר، وأتباعه في أوائل آب سلطتهم في الخضر والغراف والشطرة^(٢)، أدت المؤسسة الدينية بقيادة السيد الشيرازي دوراً مهماً في قيادة الثورة، وبعد وفاته في السابع عشر من آب عام ١٩٢٠ تولى شيخ الشريعة الأصفهاني المرجعية العليا، وقد استمر على نهج الشيرازي، إذ ترأس (الهيئة العلمية الدينية العليا)، وكانت تشرف على شؤون الثورة العامة، وكذلك رفض العرض الذي قدمه له ولسون في السابع والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٢٠ للتفاوض بشأن إنهاء الثورة واستمر في تأييدها، حتى استسلام النجف في العشرين من تشرين الثاني عام ١٩٢٠. لا بد من الإشارة أن المؤسسة الدينية قامت بتوزيع الأموال الشرعية في نصرة الثورة فضلاً

(١) عبدالرزاق الحسني، ((كيف قضيت ثورة العشرين على الحاق العراق بالهند))، مجلة افاق عربية، العدد ٦، ١٩٨٩، ص ص ٣٠-٣١.

(٢) عمار يوسف عبدالله عويد العكيدي، السياسة البريطانية تجاه عشائر العراق ١٩١٤-١٩٤٥، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل (كلية التربية: ٢٠٠٢)، ص ٢٠٩.

عن حل المشاكل بين العشائر، مما يعكس أهميتها في استمرار جذوة الثورة، وعلى الرغم من المحاولات البريطانية الحثيثة لضربها من الداخل^(١). وأن اشترك ومساهمة العلماء والمجتهدين في الثورة واضحة، فكانت العشائر التي هاجمت الحلة مصحوبة من قبل الجزائري والكاشاني والشهرستاني، وإلى هذا أشار الحاكم السياسي للحلة في ٢٥ تموز عام ١٩٢٠ إلى أن العشائر في لواء الحلة بدأت تتخلص من سيطرة شيوخها، وكانت ذلك ناشئاً من تأثير العلماء. وفي الوقت نفسه، فإن إنتشار دعاة الثورة من العلماء والمجتهدين، قد شجع صغار رؤساء العشائر الناقمين على سياسة الانكليز تجاه عشائرهم لإرغام رؤسائهم على الاشتراك في الثورة ضد الانكليز، كما أن النفوذ والثراء الواسعتين يوفران دعماً قوياً لفتاوى المجتهدين^(٢).

نماذج من الشخصيات المرجعية في ثورة العشرين:

الشيخ الشيرازي ودوره القيادي في ثورة العشرين وحتى وفاته :

ان ثورة ١٩٢٠ بدأت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ عندما أَلقت السلطات البريطانية القبض على شيخ عشيرة الطوالم في الثلاثين من الشهر ذاته (شعلان أبو الجون) وقامت عشيرته بدورها الهجومي على السراي البريطاني بالقوة المسلحة وقتلت عدداً من الجنود البريطانيين، ثم انتشرت الثورة إلى بقية مناطق الفرات الأوسط ومن ثم إلى أنحاء واسعة في العراق، وقد ورد اسم (شعلان أبو الجون) في المؤتمر الذي عقد في مدينة كربلاء بتاريخ ٤ أيار ١٩٢٠ (١٥ شعبان ١٣٣٨هـ)^(٣).

(١) بدر، المصدر السابق، ص ١١٨.

(٢) العكيدي، المصدر السابق، ص ٢٢٢.

(٣) الحسني، الثورة، ص ٩٥.

لم يكن يوم الثلاثين من حزيران هو ساعة الصفر التي كان يريدّها الشيخ الشيرازي لإعلان الثورة بسبب عدم أخذ الاستعدادات الكافية لها وقد أثبتت الأحداث اللاحقة هذه الحقيقة، حيث جرت المعارك في منطقة السماوة لعدة أيام، كان ذلك يعني قدرة القوات البريطانية على قمع الثورة بسهولة فيما لو ظلت المعارك الطاحنة محصورة في تلك المنطقة فقط، لذلك قر الشيخ الشيرازي التوسط لإيقاف القتال لكي يؤمن للثورة المزيد من التعبئة العسكرية والشعبية وتوحيد العشائر التي كانت على خلاف فيما بينها، فأرسل الشيرازي مبعوثين إلى بغداد هما (هبة الدين الشهرستاني وأحمد الخراساني) لمقابلة (ويلسن)^(١)، الذي وافق على إجراء المفاوضات لكسب الوقت وتعزيز القدرات العسكرية البريطانية من جانبه أيضاً^(٢).

وضع مبعوثا الشيخ الشيرازي شرطين لإيقاف القتال هما:

١. سحب القوات البريطانية من مناطق القتال.
 ٢. إعلان العفو العام وإطلاق سراح المنفيين وعودته إلى ديارهم.
- كان قبول البريطانيين بهذه الشروط يعني انتصاراً سياسياً كبيراً للشيرازي وبقيّة الزعماء الوطنيين، تماماً كما حصل قبل عام من قيام الثورة عندما هدد الشيرازي بالذهاب إلى إيران على أثر اعتقال أعضاء من (الجمعية الوطنية الإسلامية) فاضطرت السلطات البريطانية آنذاك إلى إطلاق سراحهم. غير أن البريطانيين لم يقبلوا بهذه الشروط وانتهت المفاوضات بالفشل^(٣)، عند ذلك أصدر الشيخ الشيرازي فتواه الشهيرة التي نصت على أن (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويحق لهم ضمن مطالبهم رعاية السلم والأمن،

(١) عبدالرزاق الحسيني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، (لبنان: ١٩٣٥)، ج ١، ص ١٠٩.

(٢) كوتلوف، المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٣) عباس محمد كاظم، ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، (د.م: ١٩٨٤)، ص ٢٨٥-٢٨٦.

ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الأنكليز عن قبول مطالبهم^(١)، لم تكن هذه الفتوى مؤرخة، لكن الراجح أنها صدرت في المدة الواقعة ما بين (٧-١٤) تموز ١٩٢٠، لأن الفتوى صدرت بعد معارك الرميثة التي بدأت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠م، واستمرت لعدة أيام وقبل الاجتماع الذي عقد في منطقة الشامية بين زعماء العشائر والقادة البريطانيين في ١٥ تموز من السنة ذاتها، وعلى أي حال فإن هذه الفتوى وضعت حداً نهائياً للحل السلمي بين الشعب العراقي والسلطات البريطانية، وعلى أثر ذلك انتشرت الثورة في أغلب مناطق العراق الأخرى وعلى ثلاث مراحل.

مراحل انتشار الثورة:

المرحلة الأولى: امتدت الثورة من الرميثة إلى مناطق الشامية والحلة والكوفة على أثر فتوى الشيرازي وذلك بعد اثني عشر يوماً من ابتداء المعارك في الرميثة.

المرحلة الثانية: امتدت الثورة إلى مناطق الديوانية والناصرية بعد الانتصار الكبيرة في معركة (الرانجية) في ٢٤ تموز ١٩٢٠، كما أخرج الحكام السياسيين البريطانيين بالقوة من مدن كربلاء والنجف وما حولهما بعد وصول مبعثين للشيرازي إلى هذه المناطق لتحريض على الثورة ونشر فتواه.

المرحلة الثالثة: انتشرت الثورة في مناطق الفرات الأعلى (الرمادي) ومناطق عشائر الدليم، والمناطق الكردية.

ففي منطقة الشامية كان هناك نزاع عشائري بين عشائر الخزاعل وعشائر بني حسن، فتدخل الشيخ (عبدالواحد الحاج سكر) لفض النزاع بين الطرفين وتم عقد الصلح بينهما^(٢).

(١) الحسني، الثورة، ص ١٠٦.

(٢) عبدالله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ط ٢ (بغداد: ١٩٧٥)، ص ٣٠١.

وبعد صدور فتوى الشيرازي الأخيرة، حاول البريطانيون إقناع زعماء عشائر النجف والشامية بنبذ هذه فكرة الثورة المسلحة، ف عقدوا اجتماعاً مع هؤلاء الزعماء في منزل الشيخ (مرزوق العواد) في منطقة الشامية في الخامس عشر من تموز ١٩٢٠ م (٢٨ شوال ١٣٣٨ هـ) حضره حاكم النجف والشامية الميجر (نوربري)^(١)، فعرض عليه زعماء العشائر شروطاً لإيقاف القتال هي:

١. منح الاستقلال التام للبلاد وتشكيل حكومة وطنية مستقلة.
٢. إطلاق المبعدين، وعلى رأسهم نجل الشيخ الشيرازي (محمد رضا).
٣. رفع مراكز المراقبة والتفتيش والثكنات العسكرية البريطانية في منطقة الفرات الأوسط.

لكن البريطانيين رفضوا تلك الشروط وأضطر الكابت (مان)، أحد القادة العسكريين البارزين في منطقة الشامية إلى الانسحاب منها إلى الكوفة^(٢)، بعد تهديد أحد شيوخ بني حسن وهو (خادم الغازي) الذي قال: (إننا تعاهدنا وتحالفنا أمام آية الله الشيرازي... إن نبذل كل ما في وسعنا في سبيل قضية بلادنا... إن على الكابتن ما أن يخرج من الشامية من رضاه أو بالقوة...)، وبعث زعماء العشائر في منطقة الشامية رسالة إلى الشيخ الشيرازي تروي له تفاصيل ما حدث وإن الوضع الأمني هو بين الاستسلام لهم أو الحرب ضدهم، فكتب الشيرازي في جوابه لهم (إذا أصر الانجليز على غصبكم حقكم وقابلوا التماسكم بالحرب فيجب عليكم الدفاع بجميع قواكم ويحرم لهم الاستسلام). أضطر العديد من زعماء العشائر على أثر تلك الفتوى إلى إعلان الثورة ضد البريطانيين لأن ضغط الرأي العام كان أقوى

(١) كاظم، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٢) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، (بغداد: ١٩٢٤)، ص ١، ص ٢١٦-٢١٧.

من أن يقاوم، فزعيم العشيرة يفقد مكانته وسمعته إذا رفض العمل بفتوى المرجع الأعلى، ومن هنا نستطيع القول أنه لولا فتوى الشيخ الشيرازي لم يستطيع زعماء آل فتنه المعروفون بعدائهم للبريطانيين الثورة ضدهم، إذا كان بإمكان البريطانيين إثارة العشائر المناوئة لهم وأسرع خادم الغازي مع اتباعه وأستولوا على مخفر (أبو شورة) وتمكنوا من الاستيلاء على أسلحته، وتبعتهم العشائر الأخرى في المنطقة^(١). كانت أهم المعارك التي خاضها الثوار وانتصروا فيها على القوات البريطانية في ٢٥ تموز ١٩٢٠ هي معركة الرارنجية (الرستمية) التي جرت في شمال ناحية الكفل، وفيها تكبد البريطانيين خسائر فادحة بالأرواح والمعدات^(٢).

أما في مدينة كربلاء وهي من أهم مراكز الثورة، كونها مقر زعيم الثورة الشيخ الشيرازي فقد وقعت هذه المدينة تحت سيطرة الثوار بعد معركة الرارنجية، حيث ثار الأهالي ضد البريطانيين الذين تآزم موقفهم^(٣)، واضطروا إلى الأنسحاب من المدينة التي رفع علم الثوار فيها على دار بلديتها، وقد حاول حاكم المدينة (محمد البوشهري) أن يتحصن في السراي بحماية الشرطة ريثما تأتيه النجدة من بغداد^(٤)، غير إن رجال الشرطة انقلبوا عليه فأضطر (البوشهري) ومدير شرطته إلى الفرار إلى المسيب التي كانت مرابطة فيها قوات بريطانية، ومنها توجه إلى بغداد، وعندما سيطر الثوار على مدينة كربلاء اجتمع عدد من الزعماء في منزل الشيخ الشيرازي

(١) كاظم، المصدر السابق، ص ٢٩١.

(٢) البصير، المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٣) البرت منتشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي، (بغداد: ١٩٧٨)، ص ١٦٧.

(٤) الوردي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٣-٢٩٤.

وتداولوا قضية تنظيم إدارة المدينة وتم الاتفاق على تشكيل ثلاثة مجالس رئيسية لإدارة وتسيير أمور المدينة.

المجالس المشكلة لإدارة أمور كربلاء:

١- المجلس العلمي: ويمكن اعتباره المجلس السياسي والإعلامي للثورة، ومن مهماته هي بث الثورة بين طبقات الناس المختلفة في المدن ومناطق العشائر بلزوم الاشتراك في الثورة، وتوسيع نطاق العمل وتوجيه الإرشادات الدينية فيما يخص الثورة، كما يشرف على المجالس الأخرى. وانتخب السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني رئيساً لهذا المجلس^(١)، وأما بقية أعضائه فهم: أبو القاسم الكاشاني وأحمد الخراساني وحسين القزويني وعبدالحسن الشيرازي (نجل الشيخ الشيرازي)^(٢).

٢- المجلس المحلي: ويمكن اعتباره المجلس الوطني للإدارة العامة، ومن أبرز مهمات هذا المجلس هو ترشيح الموظفين وجباية الضرائب والرسوم وتوزيعها للصرف بحسب ما تقتضيه الأمور، والعناية بالصحة العامة وحسم الدعاوى وتأمين الطرق القريبة من كربلاء والقيام بواجب الإدارة، وكان الشيخ محمد حسن أبو المحاسن هو ممثل الشيرازي في هذا المجلس، أما بقية أعضائه فأبرزهم: عبدالوهاب الوهاب وأحمد الوهاب وهادي الحسون وعبد علي الحميري وإبراهيم الشهرستاني وغيرهم^(٣).

(١) فريق المزهرة آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ١٩٢٠ ونتائجها، (بغداد: ١٩٥٢)، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٢) الورد، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٤.

(٣) آل فرعون، المصدر السابق، ص ٢٤٧-٢٤٨.

٣- المجلس الحربي: وأبرز مهماته هي تنظيم الخطط العسكرية وقيادة الثوار وتنظيمهم وتعيين قادة الحملات في الهجوم والدفاع، أما أعضائه فأبرزهم: علوان الياسري وعبدالواحد الحاج سكر ومجبل آل فرعون وشعلان الجبر ورباح العطية وغيرهم^(١)، كما كان هناك مجلس خاص بجمع الاغاثات لتمويل المعوزين من الثوار، وأعضاءه: عيسى البزاز ومحمد رضا فتح الله وحيدر القصاب والحاج قندي^(٢)، وكانت هذه المجالس تعمل جميعها بإشراف الشيخ الشيرازي حتى وفاته، وقام المجلس الملي (الوطني) بتعيين مدير لشرطة الخيالة وهو (سمرمد آل هتيمي) وهو أحد رؤساء عشائر المسعود في كربلاء، وتم تعيين (عبدالرحمن العواد) مدير شرطة المشاة، فضلاً عن تعيين حراس وموظفين في البلدية وكتاب وجباة^(٣).

أقترنت النجف بما جرى في كربلاء بتشكيل إدارة محلية^(٤)، بمساعدة العلماء والشخصيات البارزة في المدينة ومنهم الشيخ عبدالكريم الجزائري، الشيخ جواد صاحب الجواهر، جعفر أبو التمن، عبدالمحسن شلاش، مهدي الخراساني (نجل الشيخ محمد كاظم الخراساني) وقررت اللجنة تشكيل مجلسين^(٥)، مجلس تشريعي

(١) مكتب منابع الثقافة الإسلامية، كربلاء المقدسة تفجر ثورة العشرين، الكتاب الخامس، (النجف الأشرف: ١٩٦٨)، ص ٦١.

(٢) آل فرعون، المصدر السابق، ص ٢٤٨.

(٣) محمد حسن آل طعمة، ((ثوار كربلاء يشكلون حكومة محلية في كربلاء))، جريدة المجتمع، العدد ٢٩-٢١، حزيران ١٩٧١.

(٤) الفياض، المصدر السابق، ص ٣١١-٣١٢.

(٥) عبدالرزاق عبد الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، ط ٢ (بغداد: ١٩٨٠)، ص ١٢١.

وعدد أعضائه ثمانية ينتخب عن كل محلة في النجف اثنان، ومجلس تنفيذي يكون عدد أعضائه أربعة هم رؤساء المحلات الأربعة في المدينة. وهي طرف المشراق وطرف العمارة وطرف الحويش وطرف البراق^(١).

كان للشيرازي دور قيادي كبيرة في الثورة حتى إنه أشرف على الخطط العسكرية وكان يقترح بعضها ففي إحدى المرات أوفد أحد مساعديه إلى الثوار في منطقة (الوند) وهي قرية صغيرة تقع على طريق كربلاء - بغداد) ليعرض عليهم رغبته بإرسال قوة لقطع المواصلات بين بغداد والحلة^(٢)، كما كانت الرسائل التي يبعثها الشيرازي إلى قادة الثوار العسكريين تتضمن الغازاً متفق عليها بين الطرفين مسبقاً خوفاً من وقوعها بأيدي البريطانيين أو عملائهم وبالتالي تصبح حركات الثوار معروفة، وأتضح ذلك من خلال الرسائل التي بعثها الشيرازي بواسطة أحد معتمديه وهو السيد هبة الدين الشهرستاني في ٩ آب^(٣) ١٩٢٠، كما تابع أخبار الثورة في المناطق الأخرى، فعندما تقهقر الثوار في الحلة أرسل السيد هبة الدين الشهرستاني للوقوف على حقيقة الأمر^(٤)، وفي الوقت ذاته أرسل علوان الياسري رسالة إلى الشيخ الشيرازي يشرح فيها الوضع العسكري للثوار في الحلة^(٥).

(١) ناهدة حسين علي ويسبي، تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير ١٨٣١-١٩٢٧، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد): ١٩٩٩، ص ٤٧.

(٢) آل فرعون، المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٣) مكتب منابع الثقافة الإسلامية، المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٤) الفياض، المصدر السابق، ص ٣٢٠.

(٥) آل فرعون، المصدر السابق، ص ٢٦٩-٢٧٠.

امتدت الثورة إلى مدينة الديوانية في ٣٠ تموز عندما ثارت عشيرة (الأقرع) ضد البريطانيين^(١)، وكان من أبرز زعماء هذه العشيرة الشيخ (سعد) والشيخ (خيف) واعتقل البريطانيون الأخير؛ لصلته الوثيقة بالعاملين في المجال السياسي الوطني في مدينتي كربلاء والنجف^(٢)، ثم قاموا بنفيه إلى البصرة ومن هناك تم تسفيره إلى جزيرة هنجام^(٣)، ثم ثارت مناطق (عفك) بزعامة الشيخ (صلال الموح)، وهكذا أصبحت كل مناطق الديوانية ممثلة بالعشائر الثائرة التي دفعت القوات البريطانية إلى الانسحاب من تلك المدينة^(٤). كما وصلت فتاوى الشيخ الشيرازي إلى المناطق الغربية من العراق بواسطة مبعوثه السيد (جدوع أبو زيد) الذي سافر إلى الفلوجة في ٢٣ تموز والتقى هناك برئيس عشائر الجنابيين (خضير الحاج عاصي) الذي كانت له اتصالات سابقة مع رجال الثورة في الفرات الأوسط، وأصطحب الشيخ خضير مبعوث الشيرازي إلى بقية عشائر المنطقة ومنها البونمر وزوبع والدليم، وكان أهم شخصية التقى بها أبو زيد هي الشيخ (ضاري المحمود) رئيس عشيرة زوبع الذي كان له اتصالات كثيرة مع زعماء الفرات الأوسط، ولاسيما عبدالواحد الحاج سكر، وعندما أطلع الشيخ ضاري على صورة فتوى الشيخ الشيرازي ورسالته زاد حماسه للثورة قائلاً: ((يشهد الله تعالى على إنني عربي مسلم وقد عاهدته وأنت من الشاهدين (يقصد أبي زيد) على أن عليّ أن أبذل الغالي والنفيس في سبيل إنقاذ بلدي من الإنكليز وليعلم العلماء والزعماء من أخواني أنني سأقوم بأدوار يسجلها التاريخ بعد أن يسمعونها فترضي الله والناس))^(٥).

(١) كاظم، المصدر السابق، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٢) الفياض، المصدر السابق، ص ٣٢٣.

(٣) الحسيني، الثورة، ص ٢٥٩.

(٤) البصير، المصدر السابق، ص ص ٢٢٤-٢٢٦.

(٥) آل فرعون، المصدر السابق، ص ص ٣٠٦-٣٠٧.

كما راسل زعماء الثورة في كربلاء وأنتقل بعدها إلى منطقة النعيمية ومنطقة خان العطيبي الواقعة بين كربلاء والمسيب لمقاومة البريطانيين^(١).

كما وصل مبعوث الشيرازي (أبو زيد) إلى مناطق جنوب بغداد مثل المحمودية واليوسفية في ٢٨ تموز، كذلك منطقة (عويريج) وكان لأبناء هذه المناطق اتصالات سابقة مع السيد (هبة الدين الشهرستاني) وهو أحد وكلاء الشيخ الشيرازي حيث أرسل الشهرستاني عدة رسائل لعشائر هذه المناطق يحثهم فيها على الوحدة والثورة ضد بريطانيا، وطردهم موظفيها وتخريب طرق مواصلاتها التي كانت تستخدمها لنقل الأسلحة والأعتدة خلال الثورة^(٢).

ومن الجدير بالذكر أن (المس بيل) اجتمعت بمجموعة من علماء السنة والشيعة من أهل بغداد وطلبت منهم تشكيل وفد منهم للتوجه إلى مدينتي النجف وكربلاء للتفاهم مع رجال الدين في هاتين المدينتين لإيقاف العمليات العسكرية للشوار، وهذا يدل على مدى الضغط الذي عاناه البريطانيون من جراء الثورة، وأجمالاً يمكن القول، كانت لفتوى الشيخ الشيرازي تأثيراً فاعلاً على أغلب المناطق القريبة من بغداد سواء كانت هذه المناطق شمال بغداد أو جنوبها، وقد قال البازركان بصدده ذلك: ((تأثرت العشائر التي تقطن أطراف بغداد بفتوى الإمام الشيرازي فأخت تشن الهجوم تلو الهجوم على ضواحي بغداد، الأمر الذي جعل الانكليز ينشؤون الحصون والمواقع للمحافظة على المدينة، وكنت أشاهد بنفسني قنابل التنوير يطلقها الانكليز ليلاً في أطراف المدينة للكشف عن أماكن الشوار أينما وجدوا))^(٣).

(١) الحسنی، الثورة، ص ١٧١.

(٢) آل فرعون، المصدر السابق، ص ٣٠٥-٣٠٩.

(٣) علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، (بغداد: ١٩٥٤)، ص ١٩٨.

كما أندلعت الثورة في مناطق ديالى التي سقطت بأيدي الثوار في ١٢ آب^(١)، وأمتد نطاق الثورة إلى مدينة الناصرية والمناطق القريبة منها في ١٥ آب وأضطر الحكام السياسيون البريطانيون إلى الهرب منها^(٢)، كما أندلعت الثورة في مناطق كردستان ولاسيما في (خانقين) والمناطق القريبة منها ومناطق أخرى عديدة^(٣).

كان للثوار اتصالات مع الخارج على المستوى الاقليمي ولاسيما مع العراقيين الموجودين في سوريا والذين كانوا إلى جانب أشقائهم السوريين وحكومة الملك فيصل بن الحسين في دمشق التي سقطت في ٢٥ تموز^(٤) ١٩٢٠.

وقد كتب العراقيون الموجودون في منطقة (دير الزور) السورية إلى قادة الثورة في الفرات الأوسط وبغداد، رسالتين طلبوا فيها المساعدة المالية منهم كانت الرسالة الأولى معنونة إلى (علي البازركان)، والثانية معنونة إلى (ميرزا كاشان)، كانوا يقصدون الشيخ الشيرازي. حيث وصلت هذه الرسالة إلى كربلاء مع مبعوث أسمه (سملان الجنابي) والذي جاء من دير الزور ووصل إلى كربلاء عن طريق البادية، ذكرت بعض المصادر عن هذه الرسالة أنها كانت مؤرخة في يوم ١٧ آب ١٩٢٠، ويبدو تاريخ وصورها غير دقيق لكونه صادف يوم وفاة الشيرازي إذ لا بد أن يكون تاريخ الرسالة قبل ذلك التاريخ بيوم أو بعدة أيام. وعلى أية حال فبعد وصول هذه الرسالة إلى الشيخ الشيرازي أحالها إلى بقية قادة الثورة واللذين اجتمعوا لمناقشة الأمر وأبدى عدد منهم موافقتهم على إرسال الأموال إلى دير

(١) كاظم، المصدر السابق، ص ص ٣١٤-٣١٦.

(٢) الحسنی، الثورة، ص ص ١٨٤-١٨٨.

(٣) كاظم، المصدر السابق، ص ص ٣١٧-٣١٨.

(٤) ساطع الحصري، يوم ميسلون صفحة من تاريخ العرب الحديث، (بيروت: ١٩٨٥)، ص ٤٥.

الزور ومنهم: جعفر أبو التمن، قاطع العوادي، جدوع أبو زيد، محمد رامز، عارف حكمت^(١).

لكن محسن أبو طبيخ رفض هذه الفكرة وأتهم الأهالي دير الزور بموالاتهم للعثمانيين، كذلك أتهموا بالعمل مع الثوار كموظفين وليسوا مقاتلين وبالتالي فإنهم أرادوا بتلك الأموال لأخذها كرواتب لهم، ولذلك قال محسن أبو طبيخ: ((...)) ولأجل هذا لا يعني أنني أقدم شيئاً من مالي لأناس لا أعترف بصدق وطنيتهم في العمل...))^(٢).

أما أهم الاتصالات مع الخارج على المستوى الدولي في تلك المرحلة العصبية من أيام الثورة عندما بعث الشيخ الشيرازي رسالة إلى جمعية (عصبة الأمم) في جنيف بتاريخ ١٢ آب ١٩٢٠م (٢٧ ذي القعدة ١٣٣٨هـ)، وذكر الشيرازي في تلك الرسالة بعود الحلفاء بمنح العراق الاستقلال في إدارة شؤونه وتدير مصالحه العامة بنفسه، غير إن المحتلين البريطانيين نكثوا بوعودهم وقابلوا الشعب العراقي بالقتل والتنكيل (عند ذلك قام العراقيون مدافعين عن أنفسهم وشرفهم، بعد أن يئسوا من أصغاء حكومة بريطانيا لهم حتى للتفاهم معهم بصورة سليمة). وأختتم الشيخ الشيرازي رسالته بالقول (وبصفتكم ناصري الضعيف جئنا بهذه النبذة اليسيرة، نعلمكم موقف حكومة بريطانيا بالعراق فنستجير بمن يمثل العدل، فأنقذوا أمة تأبى أن تعيش دون أن تأخذ حقها الصريح المعترف به ودمتهم باحترام)^(٣).

(١) الوردى، المصدر السابق، ج ٥، ص ص ٢٩٥-٢٩٧.

(٢) آل فرعون، المصدر السابق، ص ٢٨٥.

(٣) آل فرعون، المصدر السابق، ص ص ٣٤٨-٣٥٠.

في غمرة أحداث الثورة توفي الشيخ الشيرازي في السابع عشر من آب ١٩٢٠م (١٣ ذي الحجة ١٣٣٨هـ) ويقال إنه اغتيل بالسم على أيدي عملاء بريطانيين، وأصدر شيخ الشريعة الأصفهاني الذي تولى المرجعية بعد وفاة الشيخ الشيرازي بياناً في ذات اليوم، أي في ١٧ آب، موجهاً إلى الأمة الإسلامية بصورة عامة والشعب العراقي بصورة خاصة، ينعى فيه الشيخ الشيرازي جاء فيه: ((أما بعد فأنا أعزيكم وكافة الموحدين بفقد عميد المسلمين آية الله العظمى الميرزا قدس الله نفسه المقدسة، فقد قضى نحبه والتحق بربه بعد أن أدى حق وظيفته وقام بها حسب طاقته، فلا تكن رحلته فتوراً في عزائمكم وتوانياً في عملكم فالجد الجدة حماة الدين وأعضاء المسلمين النشاط النشاط...))^(١).

دور الشيخ الأصفهاني في أحداث ثورة العشرين:

في ١٧ آب ١٩٢٠م توفي الشيخ محمد تقي الشيرازي فتولى شيخ الشريعة الأصفهاني المرجعية وأصدر بياناً للشعب العراقي والأمة الإسلامية جاء فيه: ((أما بعد أعزيكم وكافة الموحدين بفقد عميد المسلمين آية الله العظمى الميرزا قدس.. ويضيف: فلا تكن رحلته فتوراً في عزائمكم وتوانياً في عملكم فالجد الجدة حماة الدين.. النشاط النشاط...))^(٢).

ويبدو إن وقوع الاختيار على شخصية كشيخ الشريعة الأصفهاني متأت من دوره الكبير والواضح في الثورة العراقية الكبرى خلال حياة الشيرازي، إذ كان

(١) كامل سلمن الجبوري، النجف الأشرف والثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، (بيروت: ٢٠٠٥)، ص ٢٨٥.

(٢) آل فرعون، المصدر السابق، ص ٣٥٢-٣٥٣.

الركن الثاني والمحرك لأحداث الثورة بمشاركته في صنع القرارات، إذ قام بتعزيز القيادة الدينية في معارضة المشاريع البريطانية ومقاومة الاحتلال وحل بعض المشاكل التي تواجهها حركة المقاومة الإسلامية وذلك قبل اتخاذ موقف حازم وحاسم للبدء بمواجهة مسلحة ضد الاحتلال حتى يتمكن من تحقيق وإنجاح جميع السبل القادرة على تحقيق الاستقلال الكامل للبلاد، وفي الصحن العلوي، ألقى شيخ الشريعة الأصفهاني خطاباً قال فيه: ((إن الشيرازي انتقل إلى رحمة الله، ولكن فتواه بقتال المشركين باقية فجاهدوا واجتهدوا في حفظ وطنكم العزيز وأخذ استقلالكم))^(١).

ثم قال أنه لعجزه عن الذهاب إلى ساحة القتال؛ وذلك لمرض ألم به في تلك المدة فقد أناب عنه السيد أبو الحسن الأصفهاني؛ ليوقم مقامه فيها عندها تسلم أبو الحسن الراية ثم غادر النجف قاصداً جبهة الوند وقد ألقى خطبة افتتحها بالكلمة المعروفة؛ لأبي بكر الصديق التي قالها عند وفاة النبي الأعظم ﷺ: ((أيها الناس من كان يعبد منكم محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت))^(٢).

وهذه التفاتة مهمة نحو الوحدة الإسلامية التي كان قد استغلظ عودها إبان الثورة، وبهذه المناسبة كتب شيخ الشريعة الأصفهاني إلى السيد نور السيد عزيز الياسري والسيد علوان الياسري يعزيهما ويشكرهما على تعزيتهما بوفاة الإمام الشيرازي نصه:

(١) محمد باقر أحمد البهادلي، الحياة الفكرية في النجف الأشرف، (قم: ٢٠٠٤)، ص ٥٨.

(٢) عبدالكريم آل نجف، من أعلام الفكر والقيادة والمرجعية، (النجف الأشرف: ٢٠٠٧)، ج ١، ص ١٨٧-٢٠٧.

((السلام على المجاهدين الكرام السيد نور وعلوان ومن لديهم من المسلمين إما بعد فانا نحمد الله الذي تفرد بالبقاء ونسأله إن يلهمنا وإياكم الصبر على فقد آية الله الميرزا قدس الله نفسه يرزقكم المصابرة على الدفاع الواجب على نفوس المسلمين))^(١).

انتبه السيد ارنولد ولسن Arnold Wilson الحاكم المدني العام وفاة الشيرازي وانتقال المرجعية إلى الشيخ الشريعة الأصفهاني فقام بمحاولة لعرض الصلح عليه تحت عنوان رسالة تعزية موجهة من ولسن إلى الشيخ.

((كتاب إي. تي. ولسن: دائرة الحاكم الملكي ببغداد. حجة الإسلام والمسلمين شيخ الشريعة الأصفهاني دام علاه، بعد إهداء السلام والتفقد عن صحة ذاتكم الشريفة نؤمل ان كتابنا الذي أظهرنا فيه احساساتنا الودية وتبريكاتنا الصميمية بتقلدكم هذا المقام...))^(٢).

أثارت الرسالة شيخ الشريعة الأصفهاني لما تضمنته من مغالطات، وأنها لم تخل من التهديد بكثرة السلاح والعتاد فضلاً عن الإشارة إلى الفارق التكنولوجي بين أسلحة الثوار والأسلحة التي استعملتها القوات البريطانية في حين افترض على ولسن إن يستعمل لهجة أقل حدة تشعر الطرف الآخر بالحرص على أمن البلاد وسلامتها أما بالنسبة إلى عرض الصلح فلا ندري هل كان جاداً أو غير جاد في ذلك^(٣)؛ فإذا كان جاداً في عرض الصلح فإنه كان يتوقع امتداد الثورة إلى مناطق

(١) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى ومقدماتها ونتائجها ١٩١٤-١٩٢٣، (بيروت: ٢٠٠٩)، ج٣، ص٢٦٨.

(٢) الجبوري، النجف، ص ص١٢٧-١٢٩.

(٣) الوردي، المصدر السابق، ج٥، ص٣٥٧.

أخرى ومن المحتمل اشتراك عناصر أخرى الأمر الذي سيكلف الجانب البريطاني خسائر كبيرة أما إذا كان غير جاد؛ فلأنه قد استهدف شق صفوف الثوار، وفعلاً نجح في ذلك فانقسم زعماء الثورة على قسمين: الأول: «يرفض التفاوض»، وقد مثل الاتجاه أكثرية أعضاء الهيئة العلمية وفي مقدمتهم شيخ الشريعة الأصفهاني وكثير من رؤساء العشائر الذين كانوا مبادرين إلى المواجهة المسلحة مع الاحتلال عبر هذا الاتجاه عن موقفه بإصدار بيان أكد فيه: «لا مفاوضات قبل الجلاء»؛ وإذ ما اعوزتهم الأسلحة الحديثة فسيستعينوا بالسلام الأسود لمقاتلة البريطانيين^(١).

أما الفريق الثاني «الذي يؤيد التفاوض مع البريطانيين»؛ لأن الموقف العسكري للثوار أصبح ضعيفاً، وقد تزعم الفريق الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري والشيخ عبدالرضا الشيخ راضي ومحسن شلاش^(٢)؛ لكن في النهاية تغلب رأي الفريق الأول، يبدو إن السبب يعود في ذلك إلى مساندة المرجعية؛ لهذا الفريق وعلى رأسها المرجع الأعلى شيخ الشريعة الاصفهاني الذي كان موقفه في إكمال المشوار المسلح حتى الموت أو الجلاء. والواضح إن سبب تغير موقف شيخ الشريعة الاصفهاني يعود لعدم ثقته بالبريطانيين؛ الذين نكثوا بعودهم، والموقف المتصلب الذي أبداه الحاكم العام في العراق أرنولد ولسن تجاه الثورة؛ لأنهم توعدوا بالتنكيل إضافة إلى قوة رؤساء العشائر ومساندتهم لهذا الفريق من الأمور التي أدت إلى رجحان كفة الجانب لما شكلته القوة من أثر فعال على سير الثورة إلى

(١) عبدالحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق الجذور الفكرية الواقعة التاريخي ١٩٠٠ - ١٩٢٤، (بيروت: ١٩٨٥)، ص ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) جعفر عبدالرزاق، الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي ١٩٠٥-١٩٢٠، (بغداد: ٢٠٠٥)، ص ص ١٥١-١٥٧.

جانب الثوار أما الباحث يميل إلى الرأي الثاني لأن التفوق التكنولوجي هو العامل الأساس في حسم الثورة إلى الجانب البريطاني، وبهذه المناسبة نشرت قيادة الثورة في النجف كتاباً برحيل الشيرازي وبه ردت أيضاً على كتاب الحاكم الملكي العام إلى شيخ الشريعة الاصفهاني:

((طالعنا في جريدة العراق بعدد (٧٧).. صورة كتاب إلى حجة الإسلام شيخ الشريعة بامضاء الحاكم الملكي العام في العراق يعرب فيه عن تقديم كتاب قبله ولم يصل حتى الآن الكتابان الأول والثاني ففيما جاء في الكتاب الثاني من عبارات الايمان في جهة قوله ((ان المقام الروحاني سيتوجب التعزية والتسلية لا التبريك والتهنئة في هذه الأيام نظراً إلى المصائب التي انتدبت العراق وسائر الممالك...))^(١).

هذا وردت جريدة الفرات النجفية بعدد خاص على كتاب الحاكم العام المرسل إلى شيخ الشريعة الاصفهاني بمناسبة وفاة الشيرازي نصه: ((وقفنا على صورة كتاب الحاكم العام إلى المقام الروحاني المنتشر في جريدة العراق وفي منشورات مستقلة وزعتها الطيارات فشكرنا تودده للمقام العالي...))^(٢).

وعلى الرغم من الاختلاف الذي حدث بين الفريقين لكنهم اتفقوا على تنظيم مضبطة يوجهونها إلى دول العالم يشرحون فيها حالهم، ويضعون اللوم في اندلاع الثورة على الضباط البريطانيين ويؤكدون أنهم لا يطلبون غير الاستقلال والحرية. ومنها المضبطة التي تم تنظيمها في ١٥ أيلول ١٩٢٠م وقع عليها ٧٣ منهم. كتب شيخ الشريعة الأصفهاني عليها العبارة الآتية:

(١) عبدالحسين الحلي، شيخ الشريعة ودوره في قيادة ثورة العشرين، تحقيق كامل سلمان الجبوري، (النجف الأشرف: ٢٠٠٥)، ص ص ٢٧٠-٢٧١.

(٢) الجبوري، وثائق، ج ٣، ص ٣١٤.

((إلى الحكومة الهولندية المفخمة بتوسط سفارتها في طهران. نحن الأمة العراقية كنا قبل الحرب العامة ننتظر الفرصة لأن ننال حريتنا باستقلالنا التام وحقنا الذاتي بطريق سلمي...))^(١).

ومن ثم اختارت الثورة طريق المقاومة مهما كانت النتائج فكتب شيخ الشريعة الاصفهاني في ٣٠ أيلول ١٩٢٠م رسالة جوابية إلى ولسن استنكر فيها نسبة الخسائر التي حلت بالعراق وذكره بالمواقف السلمية التي اتخذتها القيادة الإسلامية قبل القيام بالثورة وفيما يلي نصها:

((... أرسلتم بواخركم المشحونة بأسباب الدمار وآلات النار، وقدمتم العسكر وكتبتم الكتائب إخضاعاً لتلك الأمة المظلومة وسحقاً لحقوقهم المهضومة. ثم بعد هذا تقول غير متلكئ إن دولتكم اعتمدت على الأركان الثلاثة: العدل والرحمة والتسامح في الدين...))^(٢).

ثالثاً: الثورة في مرحلتها النهائية

قام الثوار بتحرير مدينة الرميثة والشامية والكفل وكربلاء والديوانية والمسيب والنجف وعلى أثرها استنفذوا القسم الأعظم من نشاطهم خلال شهري تموز وآب ١٩٢٠م^(٣)، أما بالنسبة للقيادة البريطانية فعززت قوتها بتدفق المساعدات والجيوش على العراق فقامت بتعزيز القوة بسرب من الطائرات^(٤) والتي قامت

(١) الجبوري، النجف، ص ٣٠٨.

(٢) الجبوري، وثائق، ج ٣، ص ٣١١.

(٣) الجبوري، النجف، ص ١٣٦.

(٤) محمد ابراهيم محمد، ((الغارات الجوية البريطانية على جنوبي العراق أيام ثورة العشرين))، مجلة التراث النجفي، النجف، العددان (٢٢-٢٣)، حزيران ٢٠٠٩، ص ٨٦.

بالقاء مناشير تدعو إلى انهاء القتال، وإلى التسليم، وعلى أثرها كتب رؤساء العشائر في الحلة إلى شيخ الشريعة الأصفهاني بهذا الأمر، وإنهم يفوضونهم في مراجعاتهم مع السلطة البريطانية نصه:

((.. لحضرة شيخ الشريعة دام ظله نعرض وكالتنا لحضرتكم عن المندوبين والمفاوضة المراجعات منشورات السر برسي كوكس مع حكومة المحتلة فحضرتكم وكيل عنا في مقاصدنا الإسلامية.. عشيرة بني منصور: حسين الفرمان، عشيرة ابو عبيد: علوان العبود، عشيرة الواوي: فرحان الدبي عشيرة عمرلك: دوهان الحسني وعشيرة الجماعات: حاج عبد الحسن الحصري... كما أرسل زعماء السماوة بكتاب إلى شيخ الشريعة الأصفهاني يطلبون فيه إمكانية السماح لهم بمفاوضة القيادة البريطانية، وإنهاء الثورة في السماوة فبعث شيخ الشريعة الأصفهاني بجوابه إليهم نصه: ((... فإذا رأيتم الصلاح في إن تراجعوا الحكومة عندكم فيما يحصل به التأمين العام وحفظ النفوس بصورة شريفة فأنتم مختارون في ذلك وفي غيره بما يحفظ نفوسكم وكرامتكم، وظني إن الإسراع في هذا الأمر بيوم قبل آخر هو أصلح))^(١).

اما في الناصرية دعا البريطانيون الأهالي إلى المفاوضة من أجل انهاء القتال الدائر بين الطرفين لكن الأهالي أوكلوا أمرهم إلى شيخ الشريعة الأصفهاني، وعلى اثرها بعث محمود الخليلي بكتاب إلى الشيخ بهذا الأمر نصه:

((... وكتبنا جواب المنشور إلى الحكومة بأننا تابعين وممثلين إلى حضرة رئيسنا الروحاني دام ظله حيث يأمرنا من صلح أو حرب فنحن تابعين لحضرتكم وارسلنا الصورة الجواب لكم لفا وارسلنا معتمدنا جناب شيخ عبدالمهدي مطر... الاحقر محمود))^(٢).

(١) الجبوري، وثائق، ج ٣، ص ٣٦٤-٣٧٤.

(٢) الخلي، المصدر السابق، ص ٢٥٥.

وكتب الشيخ عبداحسين مطر إلى الحاكم السياسي في المتفك جوابه على المنشور البريطاني يخبرهم فيه انه لا تفاوض معهم، وإنما مع شيخ الشريعة الأصفهاني نصه: ((لحضرة فخامة حاكم المتفك دام إنصافه... حيث إن الجمهور هنا بالغراف قليل الثقة فلا يحصل التفاهم التام والثقة التامة إلا بواسطة شيخ الشريعة الاصفهاني وهو في النجف الأشرف.. فراجعوه في المفاوضة فان رأينا وقرضنا من رأيه وقرضه الذي اليه الرأي العام فالترك عن الحرب لا يكون الا بأمر شيخ الشريعة فهو الذي يفاوضكم في شؤون الاستقلال...))، هذا وبعث زعماء جبهة المتفك إلى شيخ الشريعة الأصفهاني بكتاب يستفسرون منه عن اخبار الثورة في النجف؛ لأنه وصلتهم اخبار بان الثورة في النجف انتهت، نصه:

((... لكن يا مولانا بلغتنا اخبار سيئة من العدو شوشت خواطرنا وكدرت جفانا، حتى انهم شيعو بطرفنا ان الحاكم العام تراجع مع حضرتكم في اطفاء ثورة الإسلام وان الحكومة دخلت بلادكم المقدسة...))^(١).

دخلت القوات البريطانية على اثر القصف الجوي الذي استخدمته للقضاء على الثورة في منطقة الفرات الأوسط، فعهدت بهذه المهمة الى اللواء ال(٥٣) و(٥٥) فتحرك الالاي ال(٥٣) على طويريج في يوم الثلاثاء ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠م^(٢) على اثر احتلال الجيش البريطاني لطويريج استسلمت كربلاء، وأعقبها المسيب في ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٠م بدأ الجيش البريطاني بالزحف على مدينة الكوفة، وعلى أثرها رأى المجلس العلمي الأعلى في النجف بعد ان اصبحت المدينة هدفا للواء

(١) الجبوري، وثائق، ج٣، ص ص ٣٨٥-٣٨٨.

(٢) عبدالرزاق الحسيني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، (صيدا: ١٩٣٥)، ص ١، ص ١٥٨.

ال(٥٥)، بوجوب تسليم الأسى^(١) فجرى تسليمهم في الساعة العاشرة من صباح ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٠ م، وتم تسليم كل من السيد محمد رضا الصافي والحاج محسن شلاش والشيخ حسن نجل شيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ جواد صاحب الجواهر والسيد عزيز الله^(٢) ألقّت الحكومة بعدها القبض على الزعماء وسجنوا في الكوفة، ولم يفرج عنهم إلا بعد اعلان العفو العام^(٣)، وعلى اثر تسليم الأسرى انتهت الثورة في النجف، وفرضت على النجف كمية كبيرة من السلاح والعتاد كغرامة حربية حيث سلمت المدينة (١٢٧٦) بندقية حديثة الصنع و(١٢٤٩) بندقية صالحة للاستعمال مع ثمانية مدافع لويس ومدفعين من طراز (هوشكس (١٨) الف طلقة وفي ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠ م زحف الالاي ال(٥٥) على مدينة النجف تم خلاله تسليم المدينة^(٤).

السيد محمد الصدر ودوره في احداث العراق:

دوره في تأسيس حزب حرس الاستقلال:

عقد في شباط ١٩١٩، اجتماعاً في أحد جوامع بغداد لانتخاب ممثلين عن الشعب للسفر إلى سوريا أو أوروبا لاطلاع ممثلي الدول على الحالة السياسية في العراق. كان رجال الدعوة كلاً من علي البازركان ومحمود السنوي ورشيد الشبلاوي ومحمود

(١) ناجي وداعه، لمحات من تاريخ النجف، (النجف الأشرف: ١٩٧٣)، ج ١، ص ٤٨.

(٢) الوردى، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٤٨-١٥٠.

(٣) الجبوري، النجف، ص ١٣٨.

(٤) الحسيني، العراق، ص ١٥٨.

اليقوبي^(١). إلا أن بعضهم أفشى السر إلى أحد الجواسيس فما كاد أن يصلوا إلى الجامع حتى أعدت السلطة لهم مجموعة من الجند قبضت عليهم باستثناء علي البازركان وفتحهم إلى الهند^(٢) وكان لهذه البادرة الفاشلة أثر كبير في حالة اليأس التي عمت الشباب فوجدت جماعة منهم أنه قد حان الوقت لتأليف حزب سياسي يأخذ على عاتقه انقاذ البلاد من الاحتلال البريطاني بشرط أن يكون منبثق من داخل العراق. فتألف حزب (حرس الاستقلال) في بغداد في نهاية شباط عام ١٩١٩^(٣). بمبادرة فئة من المثقفين القوميين^(٤) أبرزهم السيد محمد الصدر ومحمد جعفر أبو التمن الذي كان يتمتع بمركز خاص في الحياة الاجتماعية وفي السوق التجارية. وعلى البازركان وجلال بابان ومحي الدين السهروردي وناجي شوكت وعدد آخر من المثقفين. وجرى انتخاب الهيئة الإدارية وجاءت كالآتي: السيد محمد الصدر وناجي شوكت وعلي البازركان وجلال بابان ومحي الدين السهروردي وعارف حكمت ومحمد جعفر أبو التمن^(٥). وكان الحزب يعقد جلساته برئاسة محمد الصدر في الكاظمية، ومن أهداف الحزب «استقلال العراق الكامل وإنشاء

(١) البصير، المصدر السابق، ص ١٣٦.

(٢) انور علي الحبوبي، دور المثقفين في ثورة العشرين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، (١٩٨٩)، ص ٦٠.

(٣) عادل تقي البلداوي، التكوين الاجتماعي للأحزاب والجمعيات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٥٨، (بغداد: ٢٠٠٣)، ص ١٥-١٨.

(٤) حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني والحركات الثورية في العهد العثماني من قيام الجمهورية الكتاب الأول، تعريب عفيف الرزاز، ط ٢، (بيروت: ١٩٩٥)، ص ١٨٥.

(٥) الحسني، الثورة، ص ٥١.

حكم ملكي دستوري على رأسه أحد أنجال الملك حسين، وتوحيد كافة العراقيين بغض النظر عن طوائفهم ومللهم.. والرغبة في الوحدة الوطنية وأن الحزب سوف يبذل قصارى جهده لإدخال العراق ضمن الوحدة العربية»^(١) وبعد ان تمركزت تنظيماته في بغداد أخذ يعمل بنشاط ليصبح مركزاً للحركة القومية والقوى المحركة في مواجهة الاحتلال. وسرعان ما تشكلت فروع له في الموصل ودلتاوه وكربلاء والنجف والمنتفك والكاظمية والحلة والشامية. غير ان نشاط الحزب تمركز في بغداد والفرات الأوسط^(٢). ويرجع ذلك بصورة عامة الى تمركز الطبقة المثقفة في بغداد.

دوره في ثورة العشرين:

نما الوعي السياسي والقومي بدرجة سريعة خلال العقد الثاني من القرن العشرين بفعل عوامل داخلية وخارجية. ولم يكن المثقفون العراقيون بعيدين عن أفكار المصلحين الإسلاميين والقوميين العرب في سوريا ومصر. وكان الدور المهم الذي قام به المتنورون من رجال الدين يؤكد على القومية العربية والإسلام والنزعة الدستورية ومعاداة الاستعمار اجتمعت لتكون حجر الزاوية في الحركة الوطنية العراقية، والإسهام الفعال للعلماء وفتواهم السياسية الذي خلق جواً جديداً تماماً في البلاد، وأن المناظرات المفتوحة والمناقشات الصريحة في الجوامع والمدارس في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها من المدن العراقية شمالاً وجنوباً خلقت وعياً عاماً بين مختلف فئات الشعب. يقول ارنولد ولسن (وكيل الحاكم المدني العام في بغداد): «ان طبقة رجال الدين كانت تتنافس مع الزعماء الوطنيين في مناشدة

(١) البصير، المصدر السابق، ص ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) العمري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٩٠.

الجماهير على أسس دينية ووطنية وحثها على استئصال الاحتلال العسكري»^(١) وكان لرجال الدين المنورين دوراً بارزاً في تحريك ثورة عام ١٩٢٠، لما لهم من نفوذ معنوي في نفوس أبناء البلاد وفي التنظيمات السياسية^(٢) ومنهم السيد محمد الصدر الذي كان له دور في تكتيل القوى وتنظيم الاجتماعات تحت ستار الدين أو الشعائر الدينية. فقد كان يأتي من الكاظمية متوجهاً الى دار يوسف السويدي ومعه عدد كبير من المواكبين وفي أيديهم الشموع وهم يصدحون بالكلمة (لا إله إلا الله) حتى يكتمل الجمع وتلقى الخطب وتتخذ القرارات. وحين تسأل السلطة عن مغزى الاجتماع يقال لها احتفال ديني ويجري حسب التقاليد المألوفة^(٣).

وتقام في شهر رمضان الاحتفالات الدينية ليلاً، لذا وجد رجال الدين والمثقفون فرصتهم للتحريض ضد الاحتلال البريطاني عن طريق تعبئة الجماهير وصولاً إلى الاستقلال التام^(٤).

فأقيمت في جامع الميدان في بغداد أول حفلة رمضانية في العشرين من نيسان عام ١٩٢٠، وطبعت لها بطاقات الدعوة للحضور من قبل الطبقة المثقفة المنتمية إلى حزب الاستقلال. وقد اجتمع في الجامع نحو عشرة الاف نسمة والقيت فيه الخطب وانشدت القصائد، وفي الثاني والعشرين من نيسان عام ١٩٢٠، اقيم في جامع الحيدر خانة احتفال كبير جاهر فيه الخطباء والشعراء بمعاداة الانكليز.

(١) أرنولد ولسن، الثورة العراقية، ترجمة جعفر الخياط، (بغداد: ١٩٧١)، ص ١٢٧.

(٢) الحبوبي، المصدر السابق، ص ص ١٣١-١٣٢.

(٣) مير بصري، اعلام السياسة في العراق الحديث، (دار الحكمة: ٢٠٠٤)، ج ١، ص ص ١٢٩-١٣٢.

(٤) الوردي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٧٥.

وكان لقصيدة الشاعر عيسى الريزلي الأعظمي وقع كبير إذ أثار حفيظة الاكليز فأوعزوا بالقبض عليه واعتقاله، وعندما بلغ حزب (حرس الاستقلال) نبأ القبض على الشاعر وجه الحزب النداء إلى الأهالي في جامع الحيدر خانة، فاستجاب الناس للنداء وأزدهموا في الجامع وانقطع الطريق على المارة وألقى أحد أعضاء حزب حرس الاستقلال خطبة حماسية دعا الناس فيها إلى الوقوف ضد الحكومة واطلاق سراح الشاعر بالقوة^(١).

قوبل اعلان بريطانيا انتدابها على العراق بالرفض والمطالبة بالاستقلال التام والتعاون التام بين الطوائف الإسلامية وانتفاضة العشائر في مختلف انحاء العراق^(٢)، وكان موقف العراقيين بشكل عام ضد الانتداب. ففي عام ١٩٢٠، قدم المندوبون الخمسة عشر المنتخبون في جامع الحيدر خانة طلباً الى وكيل الحاكم المدني العام ارنولد ولسن يطلبون مقابله، فأجابهم انه يرحب باستقبالهم في مقره الرسمي في الثاني من حزيران عام ١٩٢٠ ولكنه في الوقت نفسه اعد قائمة باسماء عشرين وجيهاً، ممن كان يظنهم يؤيدون وجهة نظره لكي يحضروا الاجتماع مع المندوبين، وحين علم المندوبون باختيار هؤلاء الوجهاء التقوا بهم قبل ان يجتمعوا جميعاً عند ارنولد ولسن، وحصل الاتفاق بينهم على ان يكونوا جبهة واحدة يطالبون الحكومة باستقلال البلاد استقلالاً تاماً^(٣)، وحددوا مطالبهم بالإسراع في تأليف مؤتمر يمثل الأمة العراقية ليقرر شكل ادارتها في الداخل ونوع علاقتها بالخارج، ومنح الحرية للمطبوعات ليتمكن الشعب الافصاح عن رغبته وافكاره،

(١) كاظم الدجيلي، أحداث ثورة العشرين، (بغداد: ١٩٧٣)، ص ص ٢١-٢٢.

(٢) ولسن، المصدر السابق، ص ص ٥٥-٦١.

(٣) مس بيل، العراق في رسائل مس بل، ترجمة جعفر خياط، (بغداد: ١٩٧٧)، ص ١٣٧.

ورفع الحواجز الموضوعية على البريد والبرق بين انحاء البلاد وبينه وبين البلاد المجاورة له ليتمكن الناس من الاطلاع على سير السياسة الراهنة في العالم^(١). وفي اليوم المقرر للاجتماع تمكن حزب (حرس الاستقلال) من تهيات الجماهير في بغداد والكاظمية فأقفلت المخازن والحوانيت، ووقف الجمهور صفوفاً امام وكيل الحاكم المدني العام هاتفين بالحرية. افتتح ارنولد ولسن الاجتماع وخاطب الحاضرين واهم ما يلاحظ على كلمته التهديد والوعيد، إذ عزا اسباب تأخير تأسيس الحكومة الوطنية لعدم استتباب الأمن^(٢). فكان رد المندوبين المطالبة بالإسراع بتأسيس الحكومة الوطنية واعلان الدستور. وقام السيد محمد الصدر فقال «ان الحركة في البلاد هي حركة سلمية لا يقصد منها اثاره القلاقل. وجل مطالبينا تأليف حكومة وطنية تؤلف على حسب تصريحات الحلفاء وفي مقدمتهم بريطانيا وفرنسا في تصريحيهما اللذين اذيعا في الثامن من تشرين الثاني ١٩١٨، وعملا بقرارات سان ريمو...» وقال أيضاً: «ان ما قلته وافق عليه الاعضاء وهو مكتوب» فقام يوسف السويدي وسلم ارنولد ولسن نص القرار^(٣).

إزاء المطالبة بالدستور وتأليف مؤتمر عام منتخب من اهالي العراق، اعلنت الحكومة البريطانية بياناً في السابع عشر من حزيران عام ١٩٢٠، جاء فيه موافقتها على تأليف المؤتمر المذكور، من قانون الانتخابات ينظم الأمور المستقبلية وبذلك فوضت حكومة بريطانيا وكيل الحاكم المدني العام ان يدعو الاشراف من كافة

(١) آل فرعون، المصدر السابق، ص ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) ولسن، المصدر السابق، ص ص ٦٢-٦٤.

(٣) الحسيني، الثورة، ص ص ٦٣-٦٦.

النواحي والأمكنة للاشتراك^(١). ومحاولة لتهدئة الحالة، جاء في البيان، ان السير برسي كوكس: سيعود في الخريف المقبل لينظم تشكيل مجلس شورى تحت رئاسة عربي وتأسيس حكومة وطنية". وقد شعر العراقيون ان بريطانيا تريد المناورة لا غير فرفضوا الانضمام إليه وبذلك عجلوا بقيام الثورة في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠، إذ وجه السيد محمد الصدر كتاباً إلى وكيل الحاكم المدني العام دعا فيه إلى تأليف المؤتمر العام بدون تأخير^(٢).

تعد ثورة العشرين أولى الثورات الوطنية الكبرى التي شهدتها العراق في تاريخه الحديث، إذ اصطدم الشعب العراقي في هذه الثورة وبقوة السلاح مع قوات الاحتلال البريطاني والحق بها هزائم منكرة، وأرغم الانكليز على الاعتراف بحقه في التحرير والاستقلال وتقرير المصير. لقد انطلق شرارة الكفاح المسلح في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠، حينما اعتقل رئيس قبيلة الظالم الشيخ شعلان ابو الجون في الرميثة، فهاجم رجال قبيلته سراي الحكومة وحرروه بعد ان قتلوا بعض البريطانيين. فكانت تلك الاطلاقات ايداناً باعلان الثورة التي احتد لهيها سريعاً لتشمل انحاء مختلفة من البلاد. اشترك السيد محمد الصدر في ثورة العشرين وكان له دور كبير في تنسيق جهود الثوار، ولما اشتد غضب السلطات البريطانية قررت القبض عليه ومهاجمة داره في الكاظمية، ولكنه استطاع الهرب والاختفاء، ثم ذهب مع يوسف السويدي إلى عشيرة المشاهدة قرب الكاظمية فأوهما الشيخ

(١) مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق، ترجمة فيصل نجم الدين اطرقجي، (بغداد: ١٩٤٦)، ص ٨.

(٢) محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي دراسة تاريخية سياسية، (بغداد: ١٩٧٦)، ص ٩٩.

حمد الظاهر مدة. ولما علمت السلطات بوجودهما هددت الشيخ وطالبته بتسليم الفارين، فذهب السيد محمد الصدر إلى ديالى والسويدي إلى كربلاء^(١).

وما أن استقر السيد محمد الصدر في ديالى حتى شرع بتنظيم خارطة الحركات الحربية في ضوء الامكانيات التي كانت متوفرة لديه واناط مهمة الدفاع والهجوم عن قطاعات جبهته الى رجال يعتمد على خبرتهم بفنون القتال على ان يرجعوا إليه في مسائل الدفاع والهجوم. ونتيجة لوجود قوات انكليزية في ايران قد ترسلها بريطانيا إلى العراق هاجم الثوار بقيادة السيد محمد الصدر السكة الحديدية التي هي الوسطة الوحيدة تقريباً لنقل تلك القوات في مهاجمتها عرقلة تلك الحركة. وبعد تخريب السكة الحديدية وتركها في وضع لا يصلح للاستعمال أرسل السيد محمد الصدر مجموعة من الرجال ليتعاونوا مع ثوار منطقة شهربان في السيطرة على مخفر البلدة بعد ان تحصن فيه معاون الحاكم السياسي الكابت (رايتلي) ورفض ان يستسلم، وتمكن الثوار من اقتحام المخفر وقتل الكابتن (رايتلي) وجماعة من أعوانه بعد قتال أستمث ثلاثة أيام^(٢) استخدم الانكليز في مقاومة الثوار جماعة من الاشوريين الذين أسسوا لهم معقلاً في بعقوبة، فصدرت الأوامر من القيادة إلى الثوار بمحاصرة المعقل. وقد أسفر إطلاق النار بين الثوار والأشوريين عن خسارة لا تقل عن ٤٠ قتيلاً في مدة ثلاثة أيام. وكانت الحكومة البريطانية ترى لهذا المعقل قيمة عسكرية ولذلك أرسلت إليه قطار مشحوناً بالأسلحة والمؤن فسارع الثوار بقيادة السيد محمد الصدر بنسف القطار على بعد أربعة أميال من بعقوبة. واستطاع

(١) بصري، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

(٢) عباس علي، زعيم الثورة العراقية، (بغداد: ١٩٥٠)، ص ٨٨-٩٨.

الكولونيل (هاون) ان ينقل محتويات القطار المنسوف الى معقله وبذلك حال بين الثوار وبين الماد المرسله، الأمر الذي أغرى الأثوريين للدفاع عن المعقل، حتى أصبحت خسائر الثوار من تلك المنطقة لا تقل عن خسائر القوات الانكليزية^(١).

ولم يغفل السيد محمد الصدر عن نشر الثورة في المناطق التي تقع شمالي ديالى وذلك طبقاً لخطته التي انتهجها في التخفيف عن مجرى الثورة في مناطق الفرات الأوسط لاسيما بعد وصول القوات الهندية إلى العراق. ولم تمض مدة على مساعيه هذه حتى امتدت الثورة إلى اربيل وكركوك وقامت هذه المناطق بتعبير عن مقاصدها في التحرر والاستقلال^(٢).

وبعد وصول القوات الهندية وتحسن وضع القوات البريطانية في جبهات القتال ونجاح حكام المدن السياسيين الانكليز في اعمال التحريض والاغراء، تحركت القوات البريطانية على بعقوبة وتمكنت من احتلالها، وصدر بلاغ يعلن نبأ استسلام ديالى. وعزمت الحكومة البريطانية على محاصرة السيد محمد الصدر وإلقاء القبض عليه، فجهزت حملات عديدة لمطاردة أتباعه.

وكانت دعوتها لقواتها في إيران بالزحف إلى العراق، ووصول الامدادات من بغداد وكركوك ما هي إلا وسائل أرادت منها محاصرة المنطقة بحيث تستطيع قواتها القيام بحركة التفاف توصلها إلى مقر السيد محمد الصدر. فتمكنت القوات البريطانية من احتلال دلتاوة واستعملت من الأساليب الوحشية اضعاف ما استعملته في بعقوبة. وفي أثناء هذه الأحداث حاول شيوخ القبائل اقناع السيد

(١) البصير، المصدر السابق، ص ٦٨.

(٢) ثامر مكي علي، ((السيد محمد الصدر دراسة في دوره السياسي والإداري في العراق ١٨٨٣- ١٩٢٢))، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، مج ١١، العدد ٢٠، (حزيران: ٢٠١٢)، ص ٣٤.

محمد الصدر بالهرب بعد ان اقتربت منه القوات البريطانية الوفيرة العدد، وكان اقناعه بهذه المسألة أمراً يخشون مفاحته فيه لعلمهم بقوة جنانه وعدم التفاته إلى القوة مهما تعاضمت قيمتها إلا أنهم تعاضدا على مكالمته في الموضوع والاصرار عليه بوجوب مبارحة مقره فعبر السيد محمد الصدر دجلة سباحة إلى ناحية بلد حيث تقيم جماعة حاتم الحداد شيخ بني تميم، ثم توجه إلى كربلاء ومنها انتقل إلى سوريا في تشرين الثاني عام ١٩٢٠^(١).

كتب الدكتور علي الوريد، قائلاً: «أن السيد محمد الصدر أبلى حسناً في ثورة ديالى عام ١٩٢٠، فلم يستقر في مكان واحد، بل كان يتنقل من مكان إلى آخر على بغل ضخمة الجثة حصل عليه من غنائم الانكليز. وكان يحسن الرمي ويشترك في المعارك ويظهر بسالة شديدة. ولم يقتصر جهاده على منطقة ديالى وحدها بل مضى إلى العشائر النازلة قريباً من سامراء فوحد كلمتها وحملها على مهاجمة الانكليز. وقد هاجمت القوات البريطانية دلتاوة وأستعادتها، ففر منها الصدر وعبر دجلة سباحة بالقرب من بلد والتجأ إلى الشيخ حاتم الهذال شيخ عشيرة بني تميم في تلك الناحية، ثم مضى إلى اليوسفية وتوجه منها إلى كربلاء»^(٢).

أصبح مركز ثقل القضية العراقية في دمشق بإنتقال السيد محمد الصدر إليها حيث أصبحت محط أنظار العراقيين وموئل آمالهم. وكانت الثورة السورية عام ١٩٢٠، قد انتهت بالاحتلال الفرنسي فقامت القوات الفرنسية بمطاردة الثوار واعتقالهم، لذلك سعي السيد محمد الصدر في إقناع السلطة الفرنسية بضرورة إطلاق سراح المعتقلين وتخفيف الضغط على المنفيين. واستطاع سماحته بنفوذه

(١) علي، المصدر السابق، ص ص ٩٥-٩٧.

(٢) الوردى، المصدر السابق، ص ٩٢.

الشخصي التأثير على الجنرال (غورو) الذي أطلق ملبياً دعوة السيد محمد الصدر سراح قادة الثورة السورية ورفع المنع عن المنفيين في حالة رغبة هؤلاء بالعودة إلى وطنهم^(١).

انتقل السيد محمد الصدر إلى القاهرة فالحجاز، وعاد إلى العراق بصحبة الأمير فيصل بعد إعلان العفو العام في حزيران عام ١٩٢١^(٢).

وكتب مس بل السكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد البريطاني، قائلة: «يعد السيد محمد الصدر الشخصية الأولى في الاضطرابات واعتقد انه رجل بارع، كما انه معكر صفو السلم ورئيس المتمردين. وبعد اجهاض ثورة العشرين ذهب إلى سوريا ومنها إلى القاهرة ثم إلى الحجاز، وعاد إلى العراق بصحبة الأمير فيصل بعد اعلان العفو العام في حزيران عام ١٩٢١»^(٣).

ولما اشتدت الظروف السياسية في بغداد عام ١٩٢٢، دعي إلى الخروج من العراق فقصد إيران ومكث فيها سنة وستة أشهر، بعدها عام إلى بغداد^(٤).

أجرى بعض قادة الحركة الوطنية في العراق، ومنهم عدداً من زعماء ثورة العشرين من بينهم السيد محمد الصدر ومهدي الخالصي. اتصالات مباشرة مع السلطة الجديدة ويذكر الدكتور كمال مظهر أحمد: «أن المذكرة التي بعثتها لجنة الدفاع الوطني في تشرين الأول عام ١٩٢٢، إلى وزير الخارجية السوفيتي لرفعها إلى مؤتمر لوزان احتجاجاً على عقد العراق معاهدة مع بريطانيا عام ١٩٢٢، كانت بتوقيع السيد محمد الصدر ومهدي الخالصي وآخرون»^(٥).

(١) علي، المصدر السابق، ص ص ١٢٤-١٢٦.

(٢) بصري، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٣) بس بل، بالعراق، المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٤) بصري، المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٠.

(٥) كمال مظهر أحمد، ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي، (بغداد: ١٩٧٧)، ص ٧٢.

موقف المرجعية الدينية من تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة.

إهتمت بريطانيا بالعراق اهتماماً كبيراً منذ بداية نشاطها في الخليج العربي ووضعت خطط مختلفة للسيطرة عليه قبيل قيام الحرب العالمية الأولى، وتحقق لها ذلك اثناء الحرب، إلا أن سياستها المتعسفة وحكمها المباشر له أدى إلى قيام انتفاضات عدة ضدهم كان من بينها انتفاضة النجف الأشرف عام ١٩١٨، وثورة العشرين التحررية^(١)، التي اجبرت بريطانيا على تغيير سياستها في العراق من الحكم غير المباشر. أدرك البريطانيون بعد انتهاء ثورة العشرين وجوب إيجاد تدابير جديدة تحكم العلاقة بينهم وبين العراق بغية استرضاء العراقيين الطامحين للأستقلال الناهض، فضلاً عن إعطاء شرعية لبريطانيا في حكمها ووجودها داخل العراق بدلاً من نظام الأنتداب والسيادة المباشرة التي كانت تثير العراقيين كثيراً، ودفعتهم عليها، الأمر الذي كلفهم خسائر مادية ومعنوية غير قليلة^(٢).

برهنة ثورة العشرين أن العراقيين حينما يواجهوا تحدياً أجنبياً فإنهم يتوحدون ضده بقوة فأدركت بريطانيا ضرورة تفتيت الوحدة الوطنية وفك عرى التفاف العراقيين حول مرجعيتهم الدينية في النجف الأشرف التي اثبتت ابان ثورة العشرين قدرتها على التأثير في الشارع العراقي وجعله يثور على السلطة البريطانية، رغم التفاوت في امكانات الطرفين، والقضاء على الروح الوطنية التي أخذت بعداً أكثر وضوحاً، فحاولت السلطات البريطانية استغلال نقاط الضعف والأنقسامات التي ظهرت بين سكان العراق عن طريق تقريب مجموعة من الذين

(١) الحسني، الثورة، ص ٦٥.

(٢) هالة فتاح وفرانك كاسو، خلاصة تاريخ العراق المعاصر، تعريب مصطفى نعمان أحمد، (بغداد:

كان لديهم الاستعداد للتعاون معها وتطبيق سياستها في العراق وابعاد الذين ثاروا ضدها^(١)، جاء تأسيس الحكومة العربية المؤقتة ليصب في هذا الاتجاه الذي أرادته بريطانيا وسعة لإقامته في العراق، فقد كان على بريطانيا إقامة حكم (وطني) شكلي في العراق ينسجم مع مصالحها، فسعى (برسي كوكس) ((P.Cox))، أول مندوب سام لترشيح شخصية تتوافر فيها مواصفات معينة ليصبح رئيساً للحكومة المؤقتة في العراق، فتم اختيار السيد عبد الرحمن النقيب، ليكون تلك الشخصية التي حظيت بالقبول من لدن البريطانيين لتبوأ هذا الموقع. لم يأت ترشيح السيد عبد الرحمن النقيب لمنصب رئاسة الحكومة العراقية المؤقتة اعتباطاً، فقد ترشحت معه أسماء عدة كان من بينها طالب النقيب، إلا أن سكرتيرة وزارة الخارجية البريطانية لشؤون الشرق الأدنى المس بيل ((M.Bill)) اقنعت برسي كوكس بالمكانة الدينية التي يتمتع بها السيد عبد الرحمن النقيب، فضلاً عن مكانته الاجتماعية وكبر سنه ورجاحة عقله، على العكس من طالب النقيب الذي عرف عن شراسة الطبع وقوة اطماعه الشخصية وطموحاته الواسعة التي لا تعرف حداً معنياً من التوقف، الأمر الذي كان يتعارض مع طبيعة السياسة البريطانية التي ترغب في اسناد الحكومة العراقية المؤقتة إلى شخصية صورية لا تكون أكثر من واجهة ((تبيض وجه السياسة البريطانية التي أصبح حكمها المباشر للعراق كالحأ على حد رأي أحد المؤرخين))^(٢).

لم تكن فكرة إقامة حكومة مؤقتة في العراق وليدة الظروف التي تزامنت مع تسنم برسي كوكس منصبه كمندوب سام في العراق، وإنما كان ذلك مطروحاً

(١) فيليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، تعريب جعفر خياط، (بيروت: ١٩٤٩)، ص ٢١٤.

(٢) موفق بني المرجه، السياسة البريطانية في العراق، (بيروت: د.ت)، ص ١٣.

قبل ذلك، إلا أن الذي اختلف فيه هو عدم تسنم هذه المسؤولية من قبل كوكس نفسه، وإنما تم تكليف أحد العراقيين بهذه المهمة، وبهذا الصدد يعلق برسي كوكس قائلاً: ((كانت هذه مناسبة شعرت بها بالحاجة إلى تعاون صديقي المحترم السيد عبد الرحمن النقيب الذي تعاون معي كثيراً عند أول احتلالنا لبغداد، لذلك قررت أن أكلفه بأن يرأس مجلس الدولة الذي كنت أفكر بتشكيله)). جاء اختيار برسي كوكس لعبد الرحمن النقيب في محله، فالسيد النقيب كان من أشد المواليين لبريطانيا، ولم يكن يخفي موقفه الموالي لهم والمؤيد لسياساتهم، إذ صرح في مناسبات عدة للمس بيل السكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد البريطاني ((أن الكثير من جاؤوا إليه طالبين مشورته فأجابهم أن الإنكليز فتحوا هذه البلاد وبذلوا ثروتهم من أجلها كما أراقوا دماءهم في تربتها... لذلك فلا بد لهم التمتع بما فازوا به.. أني أريد أن يدوم حكم الإنكليز في العراق.. وأنى اعترف بانتصاركم وانتم الحكام وأنا المحكوم...))^(١).

أدركت المرجعية الدينية في النجف الأشرف خطورة الخطوة التي أقدمت عليها بريطانيا بجلبها شخصية كبيرة السن وطاعنة فيه ومؤيدة بشكل كامل للسياسة البريطانية في العراق، لذلك واجهت عملية تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة معارضة شديدة من قبلها، وعدت المرجعية الدينية هذه الخطوة التفاتاً على دماء الشهداء الذين قاموا بثورة العشرين، واغفالاً للتضحيات التي ضحوها وقدموها من أجل تغيير السياسة البريطانية في العراق، واجبارها على انتهاج سياسة جديدة تراعي فيها هذا الشعب الذي يُختلف عن كل الشعوب التي حكمتها وبضمنها الهند^(٢).

(١) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، تعريب جعفر الخياط (بيروت: ١٩٧٢)، ج ١، ص ٦٠.

(٢) غسان الحسني، العراق في الاستراتيجية البريطانية حتى عام ١٩٥٨، (بيروت: ٢٠١٠)، ص ٩٣.

كانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف ترغب في تشكيل مؤتمر عام للعراقيين بدلاً من (حكومة مؤقتة) تأتمر بأمر بريطانيا وتخضع لرغباتها، فضلاً عن ذلك فإن المرجعية كانت تعتقد أن وزارة يرأسها عبد الرحمن النقيب الموالي بكل حواسه لبريطانيا ومجلس وزراء يعينهم برسي كوكس شخصياً ويكون لكل واحد منهم مستشار بريطاني يقوم بالاطلاع على كل ما يرفع للوزير، ويستشيرهُ الأخير في كل شاردة وواردة، فيصبح الوزير، والحال هذه، مجرد أداة بيد المستشار البريطاني ويعمل بأمره، في الوقت الذي أصبح فيه المستشار البريطاني يمثل دولة داخل دولة وبقي الوزير بلا سلطة أو وزارة و((لا يملك من أمره شيئاً))^(١).

لم يكن وضع مجلس الوزراء في الحكومة المؤقتة أفضل من وضع رئيسه عبد الرحمن النقيب، فإن هذا المجلس كان أداة طيعة بيد برسي كوكس يأتمر بأمره ولا يمكنه إقرار أي موضوع أو رفضه إلا بموافقة المندوب السامي البريطاني، ويكفي أن نذكر أن وزراء الحكومة المؤقتة كان من النفعيين الذين أيدوا بريطانيا في كل خطواتها لاحتلال العراق، فطالب النقيب الذي كان وزيراً للداخلية كان مؤيداً للانتداب البريطاني، حين كان عبد اللطيف المنديل وزير التجارة ((يخلص الود لآل سعود وخصوصاً للسلطان عبد العزيز آل سعود))، وكان من المرحبين جداً بمقدم البريطانيين إلى العراق^(٢).

وهكذا أدركت المرجعية الدينية في النجف الأشرف أن عبد الرحمن النقيب وحكومته المؤقتة لا تمثل العراقيين لأنه هذه الحكومة غير وطنية وان تعيين عبد

(١) عبدالحسين القطيفي، السلطة السياسية في العراق الملكي ١٩٢١-١٩٥٨، (بيروت: ٢٠١١)، ص ٨٣-٨٤.

(٢) سعدون خير الله، شخصيات العراق في العهد الملكي، (بيروت: د.ت)، ص ٧٣.

الرحمن النقيب رئيساً لها كان لمصلحة بريطانيا بالدرجة الأساس لأنه، حسبها قال للمس بيل، متحفظ على قبول أو تسنم أي منصب سياسي، وأن قبوله بهذه الحكومة المؤقتة جاء أثر اقناعه والضغط عليه من قبل المندوب السامي الذي خيره بين أن يصبح رئيساً لهذه الحكومة أو جعل الحكم بأيدي من قاموا بالثورة في الفرت الأوسط، من رجال الشيعة المعارضين لبريطانيا^(١).

لقد عزف المندوب السامي على الوتر الحساس وأثاره لدى السيد عبد الرحمن النقيب، فلم ير كوكس أفضل من أن يغزل نقيب الأشراف في بغداد وزعيم الطريقة القادرية ورئيس بلدية بغداد السابق في العهد العثماني بالمنصب وضرورة قبوله به في الخامس والعشرين من تشرين الأول ١٩٢٠ بدلاً من التوجه نحو طائفة أخرى وتسليم الحكم لها، فتشكلت هذه الحكومة وهي تضم بين أعضائها وزراء من طائفة واحدة فقط، فضلاً عن يهودي واحد هو ساسون حسقييل، وزير المالية، ولم يكن تضم أي شيعي فيها سوى ما اضطر رئيس الحكومة المؤقتة من قبوله على مضض بعد أن اعتذر عزة الكركوكلي عن قبل وزارة المعارف واستلم بدلها وزارة الأشغال والأسكان فوجد النقيب في ترشيح برسي كوكس للسيد محمد مهدي الطباطبائي لوزارة المعارف اجباراً له على وضعه في هذا المنصب في حين أنه لم يجد ضيراً في تعيين يهودي في منصب مهم مثل وزارة المالية رغم أن اليهود كانوا اقلية صغيرة لا يمكن أن تقاس بنسبة الشيعة الذين قاوموا الاحتلال البريطاني وكانت مناطقهم ساحات لثورة العشرين التي اجبرت بريطانيا على تغيير سياستها المباشرة في العراق^(٢).

(١) الورددي، المصدر السابق، ج٦، ص١١٣.

(٢) جعفر عبدالرزاق، الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي ١٩٠٥-١٩٢٠، (بغداد: ٢٠٠٥)، ص١٦٩-١٧٠.

وهكذا تجد أن بريطانيا ومندوبها السامي في العراق لم يترددان عن استخدام النغمة الطائفية في تأسيس الدولة العراقية الحديثة التي قامت منذ بدايتها على اساس طائفي، فارسوا بذلك سياسة ((فرق تسد المرتبطة بهم ارتباط وثيقا ووضعوها موضع التطبيق، وكان موقف برسي كوكس امتداد لموقف الكولونيل لجمن مع ضاري المحمود شيخ عشرة زوبع العربية الذي حاول استفزازه بالقول له ((أن الحكومة البريطانية حائرة في أمركم لا تدري هل تشكل حكومة شيعية أو سنية))، الأمر الذي دفع الشيخ ضاري للرد عليه قائلاً: ((أن العراق ليس فيه شيعية أو سنة، بل فيه علماء اعلام نرجع إليهم في أمور ديننا...))^(١).

بالمقابل رفضت المرجعية الدينية في النجف الأشرف الحكومة المؤقتة وعدت تأسيسها غير شرعي لأنها لم تأت عن طريق انتخابات حرة أو عن طريق مؤتمر عراقي عام، ورفضت أن تكون الشروط والقيود التي فرضت على هذه الوزارة أساساً للحكومة الدائمة المشروعة، وأدركت إن انشاء حكومة مؤقتة على قاعدة (ثنائية الحكم)، القائمة على حصر السلطة الفعلية بيد المندوب السامي البريطاني، والزام الوزراء بتنفيذ مشورة المستشارين البريطانيين وبما يتوافق وصلاحيات الدولة المنتدبة وتعليمات السلطات البريطانية من شأنه أن يخدم المصالح البريطانية ويجعل ارادة العراقيين مرهونة بيد البريطانيين فقط^(٢).

(١) عدنان عليان، جذور التشيع في الخليج والجزيرة العربية، الشيعة والدولة العراقية الحديثة، ط ٥ (بيروت: ٢٠٠٥)، ص ٣٥٠.

(٢) سعيد، الثورة، ج ٢، ص ١٩.

جاء ترتيب الدعوات للأسماء المرشحة للوزارات العراقية في الحكومة المؤقتة وتوزيع المهام عليهم بصورة توحى كأنها صادرة من السيد عبد الرحمن النقيب وذلك لاسباغ «واجهه وطنية عليها وليست بريطانية». فتألفت الحكومة المؤقتة من:

- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| ١ . السيد عبد الرحمن النقيب | رئيساً. |
| ٢ . السيد طالب النقيب | وزيراً للداخلية. |
| ٣ . ساسون حسقييل | وزيراً للمالية. |
| ٤ . جعفر العسكري | وزيراً للدفاع. |
| ٥ . مصطفى الألوسي | وزيراً للعدلية. |
| ٦ . عزت باشا الكركوكلي | وزيراً للأشغال العامة. |
| ٧ . السيد محمد مهدي الطباطبائي | وزيراً للمعارف والصحة. |
| ٨ . عبد اللطيف المنديل | وزيراً للتجارة. |
| ٩ . محمد علي فاضل | وزيراً للأوقاف ^(١) . |

وضمنت التشكيلة الوزارية، فضلاً عن هذه الأسماء، اثني عشر وزيراً بلا وزارة^(٢)، معظمهم من كبار الاقطاعيين والتجارة، ولم يراع في تشكيلة الوزارة سواء الذين لديهم حقائب وزارية أو بدونها الوضع الديني أو التمثيل الطائفي والعشائري لأن برسي كوكس اختارهم بتأنٍ لتحقيق هدفين أساسيين: أولهما شق الوحدة الوطنية التي تحققت بفضل ثورة العشرين التحررية وتوحد السنة والشيعة، وإشعار الآخرين أنهم بهذه التشكيلة التي لم تضم سوى شيعياً واحداً عوقبوا من قبل بريطانيا، وتم منح السلطة إلى غيرهم لكي لا يكرروا تجربتهم في عام ١٩٢٠ ثانية، أما الهدف الثاني الذي سعى إليه برسي كوكس فهو افراغ أي معارضة محتملة

(١) غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، (لندن: ١٩٨٨)، ص ص ٤٦٤-٤٦٥.

(٢) عبدالرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، (بغداد: ١٩٨٨)، ج ١، ص ١٩-٢٢.

من أن تؤثر فيها المؤسسة الدينية في النجف الأشرف بشكل اساس، وافراغ فتاواها من اطارها ومحتواها الحقيقي الوطني وإشعار الناس أن معارضة المرجعية في النجف الأشرف للحكومة المؤقتة التي كانت ضعيفة ولا تتوفر بهما أبسط مقومات الحكومة الشرعية، إنما هو دفاع عن حقوق الشيعة السياسية وليس دفاعاً عن العراق وحقوقه الوطنية التي غمطت عبر تشكيل حكومة ناقصة وغير قادرة على أداء أي دور لها بسبب هيمنة المندوب السامي والمستشارين الذي عينهم على وزرائها، ووجود شخصية كبيرة السن وغير قادرة على تنفيذ ما يطلب منها لأنه حسبما قال للبريطانيين نصاً ((أنا تابع للمتتصر وهو أمر يدل على ضعفه الشديد حسب الوصف الدقيق لأحد المؤرخين العراقيين))^(١).

وبعد أن استنفذ برسي كوكس أهدافه من تشكيل الحكومة المؤقتة حاول أن يغازل المرجعية الدينية فيها عندما أعلن عن تغيير وزاري أدخل بموجبه في الثاني والعشرين من شباط ١٩٢١ شيعياً من كربلاء المقدسة هو السيد محمد مهدي بحر العلوم ليصبح وزيراً للمعارف في الحكومة النقيبية^(٢)، إلا أن هذا الإجراء لم يرض المرجعية الدينية في النجف الأشرف لأنها كانت اقدر على معرفة مجلس وزراء مؤقت مؤلف من أكثر من عشرين شخصية عراقية من مذهب معين، لم يأت منح محمد علي بحر العلوم وزارة المعارف رغبة في إدخال الشيعة في حكم أو اشراكهم في القرار السياسي للعراق، وإنما جاء لأن بحر العلوم كان على صلة وثيقة بالحكام السياسيين والضباط البريطانيين في كربلاء المقدسة، فضلاً عن ذلك، فإن عائلته

(١) بطاطو، المصدر السابق، ص ٢٠٣.

(٢) عبدالرزاق الحسيني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط ٧، (بيروت: ٢٠٠٨)، ص ١٩٣.

الإيرانية الأصل التي تحولتن إلى التبعية العثمانية كانت مستأثرة بتوزيع أموال الوقف من خارج العراق^(١).

بالمقابل حاولت المس بيل تصوير الوضع وهذا التغيير بشكل مبالغ فيه فقالت بهذا الصدد ((لا يزال الشيعة على الموقف العدائي وشكواهم الرئيسة، أن الوزارة لا تضم شيعي واحد من الوزراء أصحاب الحقائق، واعتقدوا أن تغييراً وزارياً سيحصل لكي يدخل واحد منهم فيها))^(٢)، وتم هذا التغيير ليصبح وزيراً شيعياً واحد مقابل عشرين وزيراً غير شيعياً^(٣).

يسلط لنا (السر رونالد ستورس) ((Sir Rona;d Storrs)) وهو أحد البريطانيين لذين التحقوا بالجيش البريطاني بعد احتلال بغداد مباشرة عام ١٩١٧ الضوء على معاناة أبناء العراق الذين قاموا بثورة العشرين وشعور قسم غير قليل منهم بالظلم للمعادلة التي رسمها برسي كوكس وإقامته للدولة القومية الطائفية في العراق، وخلقته بؤرة توتر دائمة في هذا الوطن، وقيامه بتجزئة مقصودة للوحدة الوطنية فيه^(٤)، أثناء مقابلة له مع السيد محمد كاظم اليزيدي، زعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف ورفض الأخير قبوله رشوة من بريطانيا بلغت ألف ديناراً، وطلبه بدلاً من ذلك الاهتمام بالمرقد المقدسة في العراق، وفي مقدمتها النجف الأشرف وكربلاء المقدسة وسامراء والكاظمية والعمل على صيانتها والحفاظ على أثارها

(١) طارق مجيد تقي العقبلي، بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، التيار القومي والطائفة السياسية، (بغداد: ٢٠١٠)، ص ٤٢.

(٢) بثينة الناصري، خلق الملوك، (بغداد: ١٩٧٣)، ص ٦٧.

(٣) سعد عبدالحسين الشرقي، العراق في ظل المعادلة البريطانية، (بيروت: ٢٠١١)، ص ٦٥.

(٤) العقبلي، بريطانيا، ص ٤٤.

لأن العثمانيين لم يقوموا بدورهم كما يجب تجاه المدن المقدسة ونقل ستورس عن المرجع الديني الأعلى في النجف الأشرف ما قاله له أيضاً: ((لقد أضع العثمانيون عطفنا وثقتنا لأنهم دمروا كل ما نملك وداسوا مصالحنا بأقدامهم. أما أنتم فإن أردتم المحافظة على ولائنا فعليكم أن لا تغيظونا باتباع تلك السياسية))، فلخصت كلمات اليزدي حقيقة ما كان يعتمل في نفوس أبناء العراق الوطنيين الذين اختاروا الوقوف في خندق الحركة الوطنية مفضلين اياها على منصب أو مكسب دنيوي يمنحه المحتل البريطاني لهم. عدت بعض المصادر التاريخية أن تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة من قبل برسي كوكس وإصراره على تكوينها الطائفي كان الهدف منها هو إبقاء العراق ضمن الإطار الطائفي الإقليمي وجعل الطائفة السياسية سمة ملازمة للحكم في هذا البلد طوال السيطرة البريطانية عليه، لأن البريطانيين وجدوا أن من مصلحتهم التعامل مع نخبة معينة، ويقومون بدعمها أفضل من أن يتعاملوا مع أغلبية لا ترى فيهم سوى محتلين يجب مقاومتهم، وضرورة أن تأخذ السلطات البريطانية رأي الشعب العراقي في شكل الحكومة التي شكلها عن طريق الانتخابات ومنح الحريات العامة للعراقيين، والجوانب التي راعاها برسي كوكس عند تشكيله للحكومة المؤقتة في العراق^(١)، وعارضتها المرجعية الدينية الرشيدة باستمرار.

ومن جانبها فقد حاولت الحكومة العراقية المؤقتة اتخاذ بعض الإجراءات الشكلية من أجل اضفاء صفة الوطنية عليها وإبعاد شبهة هيمنة البريطانيين على حركتها، فتم إعادة المنفيين من الثوار العراقيين من جزيرة هنجام في الخليج العربي إلى العراق لقاء تعهدات مكتوبة بعدم القيام بأي نشاط سياسي ضد بريطانيا والطاعة

(١) عبدالله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق الحديث (د.م: ١٩٧٦)، ص ١٩٩-٢٠٠.

والانقياد لأوامر الحكومة المؤقتة، وإنشاء بعض الدواوين للدوائر التي تقرر أن يعمل فيها الموظفون العراقيون تحت إشراف السلطات البريطانية، لكن ذلك لم يثن المرجعية الدينية في النجف الأشرف وعلى رأسها شيخ الشريعة الأصفهاني في مهاجمة الحكومة العراقية المؤقتة بوصفها صنيعة لبريطانيا وسائرة في ركابها، وأن تشكيلها جاء التفاتاً على تضحيات العراقيين ومحاولة تكتيكية من السلطات البريطانية لعدم تشكيل المؤتمر العام^(١).

ظل المؤتمر العام الذي كانت المرجعية الدينية هاجس من هواجسها وهو اجس الوطنيين الآخرين في العراق، وكانوا يهدفون من وراء طرحه أن يكون بديلاً عن الحكومة المؤقتة التي شكلها السيد عبد الرحمن النقيب وإرساء دعائم حكم ديمقراطي مقيد بدستور مكتوب، ليمثل هذا الطرح انتقاله نوعية في طبيعة استيعاب متطلبات المرحلة التاريخية ومواجهة أساليب بريطانيا المتلوية لضرب الحركة الوطنية في العراق^(٢)، المسألة التي أشارت إليها إحدى الصحف العراقية صراحة بقولها أن انتخاب مؤتمر وطني ينظم دستوراً يتضمن نظام الحكم وتشكيل حكومة بموجب الدستور تعد من أولى مستلزمات ((إرساء دعائم الاستقرار في البلاد)). أيدت المرجعية الدينية في كربلاء المقدسة والكاظمية ما ذهب إليه المرجعية الدينية في النجف وفي مقدمتها شيخ الشريعة الأصفهاني من ضرورة قيام المؤتمر العام وأهمية تأليف حكومة منتخبة من الشعب العراقي لا من المندوب السامي البريطاني، فقد كانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف تدرك أن ظاهرة الحكومة

(١) الشرقي، المصدر السابق، ص ٦٦.

(٢) علاء حسين الرهيمي، المعارض البرلمانية في العراق في عهد الملك فيصل الأول دراسة تحليلية، (بغداد: ٢٠٠٨)، ص ٥٧.

المؤقتة هو عراقي إلا أن باطنها ومحركها الأساسي هو بريطاني، لذلك فهي محكومة بالفشل ومقيدة في كل تحركاتها بموافقة المندوب السامي الذي كان مهيمناً عليها هيمنة تامة، فأضحت هذه الحكومة مجرد واجهة شكلية فحسب، لم يعد خافياً على الوطنيين العراقيين ((اين تستقر السلطة أما مجلس الوزراء فهو محض واجهة فقط. كانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف، وبسبب هشاشة الحكومة العراقية المؤقتة، تتوقع في أي لحظة أن تسقط هذه الحكومة أما بسبب وفاة رئيسها الطاعن في السن (لأن عبدالرحمن المقدسي كان في الخامس والسبعين من العمر)، أو بسبب عدم قدرة الوزراء على تحمل الانتقادات التي كانت توجه لهم، فضلاً عن عدم انسجام هذه التشكيلة الوزارية فيما بينها ووجود اثني عشر شيخاً ووجيهاً بلا وزارة ولا عمل لهم سوى قبض الرواتب والحصول على وجاهة شكلية لا يحتاجونها^(١)، لذلك لم يكن البريطانيون بعيدين عن نبض الشارع العراقي، فقد ورد في أحد التقارير البريطانية ((أن الناس يتنبأون بسقوط مشروع الحكم الجديد، وأن المقاهي امتلأت بالأحاديث عن مكر البريطانيين وخططهم للسير بالعراق نحو إقامة حكومة وطنية كاذبة ظاهرة عراقية، وباطنها بريطانية، وقد سرى هذا الاتجاه على أصحاب الفكر والرأي في العراق بأكمله))، ويستطرد التقرير ليؤكد أن أكثر من يؤثر على العراقيين الذين يعادونا هم «أصحاب العمام من رجال الدين الشيعة». بالمقابل لم ينفخ الحكومة العراقية المؤقتة ما اتخذته من إجراءات شكلية إضافية من أجل اشعار العراقيين أنها حكومة عراقية خاصة لهم من قبيل نقل مقر مجلس الوزراء إلى ابنية الحكومة العثمانية السابقة، واستحداث علم جديد يحل محل العلم البريطاني، وكان ذلك بتوجيه من برسي كوكس لكي يشعر العراقيون أن حكومتهم تسعى لخدمتهم ويلغي

(١) عبد الرضا محمد حسين، وزراء العراق في العهد الملكي، (بيروت: د.ت)، ص ٥٣-٥٤.

المبرر القاتل بعدم اقتناع العراقيون (كلياً بجديّة نوايا حكومة جلالته)^(١).

إن هذه الإجراءات الشكلية التي قامت بها الحكومة العراقية المؤقتة لم تكن ذات تأثير يذكر على أوساط المرجعية الدينية والسياسية العراقية لأن هؤلاء قد خبروا النوايا البريطانية وأدركوا، مثل غيرهم من الناس، بحكم تقدم وعيهم السياسي والفكري واصطدامهم بالبريطانيين في ثورة العشرين طبيعة الأساليب البريطانية وسلوكهم الخبيث مع العراقيين وشراء ذمم بع النفسيات الضعيفة ممن والاهم، لذلك نجد أن العراقيين المنفيين الذين عادوا من جزيرة (هنجام) ووقعوا على تعهدات خطية بعدم معارضة الحكومة المؤقتة والتخلي عن الأساليب السابقة، فإنهم هياً وافرصة لغيرهم لكي يطالبوا بإعادة الحياة الحزبية في العراق، الأمر الذي طالبت به صراحة إحدى الصحف العراقية، حيث جاء ضمن مطالبها ضرورة ((إطلاق حرية المطبوعات وتشكيل اندية سياسية رسمية)). لقد أدركت المرجعية الدينية في النجف الأشرف، أن تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة هو اخطر خطوة اتخذتها بريطانيا للالتفاف على ثورة العشرين التحررية، ومحاوله منها فك عرى التحالف الوثيقة بين فئات الشعب العراقي التي صلبت الثورة عودها، وكان تشكيل هذه الحكومة يصب في المصلحة البريطانية بالدرجة الأساس، فركزت من خلالها الطبيعة النخبوية الطائفية للحكم في العراق من أجل استمرار الهيمنة البريطانية على الأشخاص الذين تم الاعتماد عليهم، فظلت الوزارات العراقية حكراً على مجموعة معينة، ووسمت السمة الطائفية منذ تشكيل هذه الحكومة العراق بميممها^(٢).

(١) العطية، المصدر السابق، ص ٤٦٥.

(٢) حسن شبر، العمل الحزبي في العراق ١٩٠٨-١٩٥٨، (بيروت: ١٩٨٩)، ص ١١٣.

موقف المرجعية الدينية من ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق

لم يكن بإمكان السلطات البريطانية أن يبقى العراق بدون ملك أو عاهل عربي يحكمه لإكمال واجهة الحكومة العراقية لمؤقتة من جهة، ولكي يعقد مع بريطانيا معاهدة تحل محل الانتداب من جهة أخرى، فتعددت الآراء حول من يحكم العراق وما هي الموصفات التي يجب أن تتوفر فيه، وضمن الأسماء والمقترحات التي طرحت هو أن يستلم المندوب السامي البريطاني برسي كوكس هذه المسؤولية، ويصبح ملكاً على العراق، إلا أن هذا المقترح لم يحظ بالموافقة لأن ذلك قد يثير العراقيين ويدفعهم مرة أخرى للثورة على السلطات البريطانية لأنه إعادة الحكم البريطاني المباشر، فطرح اسم أحد أنجال الملك حسين لتسبم هذه المسؤولية، لأن ذلك سيكون مقبولاً من قبل العراقيين، وسيذكر ويحتفظ بفضله بريطانيا عليه، فيعقد معها معاهدة تحل محل الانتداب^(١).

بالمقابل كانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف مع ترشيح الأمير فيصل أو أحد أنجال الشريف حسين بن علي لعرش العراق وإنشاء حكومة عربية دستورية، فأرسل أبناء النجف الأشراف والشخصيات الوطنية في الفرات الأوسط إلى الشريف حسين بقرارات ناشدته إرسال ابنه فيصل إلى العراق لاعتلاء عرشه لأنه يمتلك بعد نظر سياسي ومشاعر قومية وخبرة سياسية وقدرة على إدارة بلد مثل العراق متنوع القوميات وخضع لفترة طويلة للاحتلال العثماني، لم يقم العثمانيون بأي دور إيجابي لإصلاح الأوضاع في مختلف المجالات والجوانب، فضلاً عن ذلك فإن منهاج الجمعيات والحركات السياسية في العراق^(٢)، وتأكيدات علماء الدين

(١) العطية، المصدر السابق، ص ٤٦٦.

(٢) هيثم حسين ابراهيم، موقف مدينة النجف في الأحزاب السياسية في العراق ١٩٤٥-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، (بغداد:

والسياسة في المدن المقدسة على أهمية الحصول على الاستقلال، فقد كان الوطنيون العراقيون يعتمدون أن أفضل من يحقق لهم هذا الاستقلال هو الأمير فيصل بن شريف حسين، كما انتساب الأمير فيصل إلى الأسرة الهاشمية وكونه من سلالة الرسول الأعظم محمد ﷺ يجعل أبناء المدن المقدسة مثل غيرهم من العراقيين يتعاطفون معه ويحترمون نسبه الشريف. بالمقابل كان لبعض الساسة البريطانيين آرائهم المتوافقة مع الرأي القائل بضرورة إسناد حكم العراق للأمير فيصل، فقد عدّ نائب الحاكم البريطاني العام (ارنولد ويلسون) ((A.Wilson)) أن فيصل هو الوحيد من بين الملوك العرب الذي لديه فكرة عن الصعوبات العلمية في إدارة حكومة متمدنة على أسس عربية، وهو يدرك أن المعونة الخارجية (البريطانية) جوهرية لدوام حكومة عربية. ويدر خطر الاعتماد على جيش عربي، فإذا عرضنا عليه إمارة العراق فإننا سنعيد اعتبارنا في أعين العالم العربي، وليس هذا فقط، وإنما سنزِيل إلى حد كبير التهمة التي يمكن أن توجه إلينا عن سوء نيتنا تجاه فيصل وتجاه شعب هذه البلاد معاً...، أما برسي كوكس فقد أشار إلى أن ((ترشيح أحد أبناء الحسين شريف مكة المكرمة وملك الحجاز قد ينال رضى اغلبية الشعب العراقي إن لم يكن أجمعه))^(١).

كان الساسة البريطانيون يدركون أن ترشيح شخصية أخوى من خارج البيت الهاشمي، تحديداً من أنجال الشريف الحسين بن علي لن يكون مقبولاً من العراقيين، لا سيما من قبل المرجعية الدينية في النجف الأشرف التي كان برسي كوكس يخشاها كثيراً حتى أنه قال في أحد تقاريره عنها ((أن كربلاء لم تسبب لنا مشكلة خطيرة،

(١) أحمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية في العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢، (بغداد: ١٩٨٠)،

أما النجف التي كانت فريسة في أيدي شيوخ البلد المحليين، فقد بقيت شوكت في جنبنا مدة من الزمن))^(١).

لم يكن الأمير فيصل بعيداً عن أبناء العراق أو غريباً عن بعض الشخصيات الوطنية العراقية فقد أوفدت مدينة النجف الأشرف إلى الحجاز فيث أو آخر تموز ١٩١٩ الشيخ محمد رضا الشبيبي، لينقل للشريف حين بن علي أوضاع العراق العامة، ومطالبة أبناء المدن المقدسة ومعهم عموم العراقيين بضرورة ارسال أحد انجاله لحكم العراق^(٢).

أدركت بريطانيا أن المرشحين الآخرين لعرض العراق لا يمكن أن يكونوا بمستوى الأمير فيصل لأنهم سوف لن يحظوا بالقبول والموافقة لا سيما من لدن المرجعية في النجف الأشرف التي كان لها الدور الأساس في دفع العراقيين للثورة على السلطات البريطانية ابن ثورة العشرين، والتزام هذه المدينة المقدسة، وفي جميع المراحل التاريخية التي امتدت منذ أواخر العهد العثماني وبداية الانتداب البريطاني بالخط المعارض للسيطرة والهيمنة الأجنبية على العراق، ورفضاً سياسة المندوب السامي برسي كوكس في ترسيخ التفرقة الطائفية بين العراقيين ومحاولة دعم اشخاص معينين من طائفة واحدة على حساب الآخرين وخنق التطلعات الوطنية لأبناء المدن المقدسة بوجه خاص، وعموم الحركة الوطنية في العراق بوجع عام^(٣).

(١) جعفر خياط، ((النجف في المراجع الغربية))، بحث ضمن موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي، (النجف الأشرف: ١٩٦٦)، ج ١، ص ٢٦.

(٢) آل فرعون، المصدر السابق، ص ٥١٨.

(٣) مقدم عبد الحسن باقر الفياض، تاريخ النجف السياسي ١٩٤١-١٩٥٨، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة (كلية الآداب: ٢٠٠٠)، ص ١٢-١٣.

إن الذين ترشحت اسمائهم مع الأمير فيصل مثل السيد عبد الرحمن النقيب رئيس الحكومة المؤقتة لم يحظ بقبول المرجعية الدينية والأوساط والنخب السياسية لا بسبب توجهاته الدينية الطائفية وموالاته للبريطانيين^(١). ومعارضة جنوب العراق له فحسب، بل لأنه محسوب على توجه معين وشيخوخته ومرضه وعدم قدرته على تحقيق ما يصبوا إليه العراقيين من الحد الأدنى من حقوقهم واستحصالها من بريطانيا، كما طالب النقيب لم يكن أفضل منه لأنه كان يتميز بالبطش والقسوة والاستغلال وعدم استقرار سياسياً، لذلك لم يكن جديراً بمنصب ملوكية العراق^(٢)، أما بقية المرشحين مثل عبد الهادي العمري من الموصل وبرهان الدين نجل آخر السلاطين العثمانيين وآغا خاب الغريب عن العراقيين قومياً والشيخ خزعل شيخ المحمرة وابن سعود فهم لم يحظوا بموافقة العراقيين عموماً، والمرجعية الدينية في النجف الأشرف خصوصاً لاعتبارات عدة كانت موجودة في الأمير فيصل وغير متوفرة لديهم^(٣).

وهكذا جاء اختيار البريطانيين للأمير فيصل بن الحسين بوصفه أفضل مرشح لعرش العراق لاعتبارات عدة يقف في مقدمتها عدم انتماءه لأي من الولايات العراقية الثلاث وقبائلها العربية، مما سيجعله في موقف الغريب عن البلاد، وسيضطره ذلك الاعتماد على بريطانيا في تقديم الدعم اللازم له لإدارة الحكم في العراق ولضمان بقاء في المنصب، فضلاً عن ذلك فإن الموظفين المدنيين البريطانيين

(١) عقيل الناصري، الجيش والسلطة في العراق الملكي ١٩٢١-١٩٥٨، (دمشق: ٢٠٠٠)، ص ٥٥-

(٢) عبد الرحمن البراز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، (بغداد: ١٩٦٧)، ص ٩٧.

(٣) سلام محمد علي، المعارضة العراقية في الميزان ١٩٢١-١٩٥٨، (بيروت: ٢٠٠٩)، ص ٧٧.

سيظلون استشاريين ومدربين لم هم تحت رعايتهم من الوزراء والموظفين العراقيين، فأدى تبنيه واختياره من قبل بريطانيا إلى ابعاد أي فرصة لأي مرشح آخر من العراقيين، ولكن من المهم، والأساس لبريطانيا أن لا تثير ضده أي معارضة شعبية تحبط مشروعها في العراق الذي لم تستطيع الحكومة المؤقتة من أن تنفذه أو أن تحقق جزءاً كبيراً منه لضعفها ولعدم حصولها على القبول والرضا من لدن قطاعات واسعة من العراقيين وفي مقدمتها قبول المرجعية الدينية في النجف الأشرف والحركة الوطنية العراقية، لذلك كانت بريطانيا مستعدة لقبول معارضة شكلية له لإضفاء طابع ((ديمقراطي على تسمينه الحكم وابعاد ((شبهة كونه ((رجل بريطانيا في العراق))^(١).

ومن جانبه فقد وحاول كوكس إجراء عملية ضغط ذكية عندما اصدر بيانات عدة اشارات محتواها إلى أن امر اختيار النظام السياسي في العراق يعود إلى العراقيين انفسهم، لكن عليهم انتخاب مندوبين عنهم لكي يعقد ((مؤتمر عام يتم من خلاله اختيار شكل النظام الذي يريدونه ونوع الحاكم الذي يختارونه، فانعقد مؤتمر القاهرة في الثاني من آذار عام ١٩٢١ برئاسة وزير المستعمرات آنذاك (ونستون تشرشل (W. Churchill) وعدد من المستشارين البريطانيين، فوقع رأي المؤتمرين على ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق من قبل دهاقنة السياسة البريطانية في الشرق الأوسط تعبيراً عن الرغبة التي تولدت لدى هؤلاء في مراعاة الرغبات الوطنية للمرجعية الدينية في النجف الأشرف، وعدم استعداد بريطانيا للدخول في مواجهة ثورة جديدة في العراق وترك الأمر لسكانه نتيجة الخسائر التي تكبدتها بريطانيا

(١) عامر حسن فياض، جذور الفكر الديمقراطي في العراق الحديث ١٩١٤-١٩٣٩، (بغداد:

في واستحقاقات ديون بريطانيا الكبيرة للولايات المتحدة الأمريكية. لقد كانت التطلعات الراقبة بمجيء الأمير فيصل بن الحسين إلى العراق وترشحه ملكاً من قبل الزعماء الوطنيين في العراق وفي مقدمتهم المرجعية الدينية في النجف الأشرف متوافقة، دون قصد، مع الرغبة البريطانية في هذا الاختيار، لا بل أن المضابط الرسمية التي ثبتها الزعماء العراقيون على ترشيح الأمير فيصل كانت تشير إلى رغبة العراقيين في تولي أحد انجال الشريف حسين بن علي عرش العراق، فكان ذلك، فضلاً عن رسائلهم، التي ارسلوها إلى الحجاز قد نهت البريطانيين إلى أهمية ترشح الأمير فيصل الأول لعرش العراق، لا سيما أنه أبدى قبوله بالانتداب وبالمساعدة البريطانية له لأن شعب العراق غير مؤهل بعد للمسؤولية الحكومية، فحسبها أكد فيصل لأحد المسؤولين البريطانيين أنه ((يطلب مساعدة بريطانية لكي يتبوأ عرش بلد إذا ما ترك لرحمة السكان المحليين فستؤول جميع الأمور هناك إلى كارثة...))^(١).

لقد رأت النخب الفكرية والسياسية والدينية في النجف الأشرف في شخص الأمير فيصل الأول - باستثناء القلة منهم - رجلاً رفيع النسب، سامي الخلق، مؤهلاً لأن يكون موضع ثقة وآمال العراقيين، إلا أن علاقاته مع بريطانيين وارتباطه بهم، ودعوته لمساعدتهم لحكم شعب صعب المراس، وحكمه صعب المراس لأنه متعدد القوميات والطوائف، حسبها يصف الأمير فيصل نفسه هذا الشعب، كانت نقطة فاصلة في توجهات المرجعية الدينية التي كانت على طوال الخط معارضة لمن يؤيد السياسة البريطانية ويعول عليها لأن التعويل على العامل الذاتي المتمثل بتضحيات العراقيين ورغبتهم في التحرر من السيطرة البريطانية البغيضة هو الأساس لديهم.

(١) محمد هاشم خويطر، ((موقف المرجعية الدينية في النجف من الأحداث السياسية في العراق ١٩١٨-١٩٢٢))، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية، العدد ١٢، ٢٠١٦، ص ٣٠٦.

قائمة المصادر:

١. أحمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية في العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢، (بغداد: ١٩٨٠).
٢. أرنولد ولسن، الثورة العراقية، ترجمة جعفر الخياط، (بغداد: ١٩٧١).
٣. أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، (القاهرة: د.ت)، ج ٢.
٤. انور علي الحبوبي، دور المثقفين في ثورة العشرين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، (١٩٨٩).
٥. بشينة الناصري، خلق الملوك، (بغداد: ١٩٧٣).
٦. البرت منتشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي، (بغداد: ١٩٧٨).
٧. ثامر مكي علي، ((السيد محمد الصدر دراسة في دوره السياسي والإداري في العراق (١٨٨٣-١٩٢٢))، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، مج ١١، العدد ٢٠، (حزيران: ٢٠١٢).
٨. جعفر خياط، ((النجف في المراجع الغربية))، بحث ضمن موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي، (النجف الأشرف: ١٩٦٦)، ج ١.
٩. جعفر عبدالرزاق، الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي ١٩٠٥-١٩٢٠، (بغداد: ٢٠٠٥).
١٠. حسن داخل عطية، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مدينة كربلاء ١٩٢١-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية (كلية التربية الأساسية: ٢٠١٣).
١١. حسن شبر، العمل الحزبي في العراق ١٩٠٨-١٩٥٨، (بيروت: ١٩٨٩).

١٢. حسين عبدالواحد بدر، موقف المؤسسة الدينية في النجف من مشروع الدولة الوطنية في العراق (١٩١٨-١٩٤١)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد كلية الآداب، ٢٠١٠.
١٣. حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني والحركات الثورية في العهد العثماني من قيام الجمهورية الكتاب الأول، تعريب عفيف الرزاز، ط٢، (بيروت: ١٩٩٥).
١٤. ساطع الحصري، يوم ميسلون صفحة من تاريخ العرب الحديث، (بيروت: ١٩٨٥).
١٥. سعد عبدالحسين الشرقي، العراق في ظل المعادلة البريطانية، (بيروت: ٢٠١١).
١٦. سعدون خير الله، شخصيات العراق في العهد الملكي، (بيروت: د.ت).
١٧. سلام محمد علي، المعارضة العراقية في الميزان ١٩٢١-١٩٥٨، (بيروت: ٢٠٠٩).
١٨. طارق مجيد تقي العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، التيار القومي والطائفة السياسية، (بغداد: ٢٠١٠).
١٩. عادل تقي البلداوي، التكوين الاجتماعي للأحزاب والجمعيات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٥٨، (بغداد: ٢٠٠٣).
٢٠. عامر حسن فياض، جذور الفكر الديمقراطي في العراق الحديث ١٩١٤-١٩٣٩، (بغداد: ٢٠٠٢).
٢١. عباس علي، زعيم الثورة العراقية، (بغداد: ١٩٥٠).
٢٢. عباس محمد كاظم، ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، (د.م: ١٩٨٤).
٢٣. عبد الرضا محمد حسين، وزراء العراق في العهد الملكي، (بيروت: د.ت).
٢٤. عبدالحسين الحلبي، شيخ الشريعة ودوره في قيادة ثورة العشرين، تحقيق كامل سلمان الجبوري، (النجف الأشرف: ٢٠٠٥).

٢٥. عبدالحسين القطيفي، السلطة السياسية في العراق الملكي ١٩٢١-١٩٥٨، (بيروت: ٢٠١١).
٢٦. عبدالحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق الجذور الفكرية الواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤، (بيروت: ١٩٨٥).
٢٧. عبدالرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، (بغداد: ١٩٦٧).
٢٨. عبدالرزاق الحسيني، ((كيف قضيت ثورة العشرين على الحاق العراق بالهند))، مجلة افاق عربية، العدد ٦، ١٩٨٩.
٢٩. عبدالرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، (بيروت: ١٩٧٢).
٣٠. عبدالرزاق الحسيني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، (صيدا: ١٩٣٥).
٣١. عبدالرزاق الحسيني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط ٧، (بيروت: ٢٠٠٨).
٣٢. عبدالرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، (بغداد: ١٩٨٨)، ج ١.
٣٣. عبدالرزاق عبد الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، ط ٢ (بغداد: ١٩٨٠).
٣٤. عبدالستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي ١٩٢١-١٩٤١، (د.م: ٢٠١٠).
٣٥. عبدالكريم آل نجف، من أعلام الفكر والقيادة والمرجعية، (النجف الأشرف: ٢٠٠٧)، ج ١.
٣٦. عبدالله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ط ٢ (بغداد: ١٩٧٥).
٣٧. عبدالله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق الحديث (د.م: ١٩٧٦).
٣٨. عدنان عليان، جذور التشيع في الخليج والجزيرة العربية، الشيعة والدولة العراقية الحديثة، ط ٥ (بيروت: ٢٠٠٥).
٣٩. عقيل الناصري، الجيش والسلطة في العراق الملكي ١٩٢١-١٩٥٨، (دمشق: ٢٠٠٠).

٤٠. علاء حسين الرهيمي، المعارض البرلمانية في العراق في عهد الملك فيصل الأول دراسة تحليلية، (بغداد: ٢٠٠٨).
٤١. علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، (بغداد: ١٩٥٤).
٤٢. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (بيروت: ٢٠٠٥)، ج ٦.
٤٣. عمار يوسف عبدالله عويد العكيدي، السياسة البريطانية تجاه عشائر العراق ١٩١٤-١٩٤٥، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل (كلية التربية: ٢٠٠٢).
٤٤. غسان الحسيني، العراق في الاستراتيجية البريطانية حتى عام ١٩٥٨، (بيروت: ٢٠١٠).
٤٥. غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، (لندن: ١٩٨٨).
٤٦. فريق المزهري آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ١٩٢٠ ونتائجها، (بغداد: ١٩٥٢)، ج ٢.
٤٧. فيليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، تعريب جعفر خياط، (بيروت: ١٩٤٩).
٤٨. كاظم الدجيلي، أحداث ثورة العشرين، (بغداد: ١٩٧٣).
٤٩. كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى ومقدماتها ونتائجها ١٩١٤-١٩٢٣، (بيروت: ٢٠٠٩)، ج ٣.
٥٠. كامل سلمان الجبوري، النجف الأشرف والثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، (بيروت: ٢٠٠٥).
٥١. كمال مظهر أحمد، ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي، (بغداد: ١٩٧٧).
٥٢. ل.ن. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة عبدالواحد كرم، (بغداد: ١٩٧٥).
٥٣. مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق، ترجمة فيصل نجم الدين اطرقجي، (بغداد: ١٩٤٦).

٥٤. محمد ابراهيم محمد، ((الغارات الجوية البريطانية على جنوبي العراق أيام ثورة العشرين))، مجلة التراث النجفي، النجف، العددان (٢٢-٢٣)، حزيران ٢٠٠٩.
٥٥. محمد باقر أحمد البهادلي، الحياة الفكرية في النجف الأشرف، (قم: ٢٠٠٤).
٥٦. محمد حسن آل طعمة، ((ثوار كربلاء يشكلون حكومة محلية في كربلاء))، جريدة المجتمع، العدد ٢٩-٢١، حزيران ١٩٧١.
٥٧. محمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، (بغداد: ١٩٢٥)، ج ٣.
٥٨. محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي دراسة تاريخية سياسية، (بغداد: ١٩٧٦).
٥٩. محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، (بغداد: ١٩٢٤).
٦٠. محمد هاشم خويطر، ((موقف المرجعية الدينية في النجف من الأحداث السياسية في العراق ١٩١٨-١٩٢٢))، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية، العدد ١٢، ٢٠١٦.
٦١. مس بيل، العراق في رسائل مس بل، ترجمة جعفر خياط، (بغداد: ١٩٧٧).
٦٢. المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، تعريب جعفر الخياط (بيروت: ١٩٧٢)، ج ١.
٦٣. مقدم عبد الحسن باقر الفياض، تاريخ النجف السياسي ١٩٤١-١٩٥٨، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة (كلية الآداب: ٢٠٠٠).
٦٤. مكتب منابع الثقافة الإسلامية، كربلاء المقدسة تفجر ثورة العشرين، الكتاب الخامس، (النجف الأشرف: ١٩٦٨).
٦٥. موفق بني المرجه، السياسة البريطانية في العراق، (بيروت: د.ت).
٦٦. مير بصري، اعلام السياسة في العراق الحديث، (دار الحكمة: ٢٠٠٤)، ج ١.

٦٧. ناجي وداعه، لمحات من تاريخ النجف، (النجف الأشرف: ١٩٧٣)، ج ١.
٦٨. ناهدة حسين علي ويسبي، تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير ١٨٣١-١٩٢٧، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد): ١٩٩٩.
٦٩. هالة فتاح وفرانك كاسو، خلاصة تاريخ العراق المعاصر، تعريب مصطفى نعمان أحمد، (بغداد: ٢٠١١).
٧٠. هيثم حسين ابراهيم، موقف مدينة النجف في الأحزاب السياسية في العراق ١٩٤٥-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، (بغداد: ٢٠١١).

دور المرجعية الدينية في حفظ وحدة العراق (دراسة في فتاوي العلماء اليزدي والشيرازي والسيستاني)

د. ثامر مكي علي

كلية الآداب/الجامعة المستنصرية

الملخص

على مدى تاريخ العراق الحديث والمعاصر شكلت المرجعية الدينية نبراساً حيوياً للمجتمع العراقي في كل المواقف البطولية المشهودة لها، وكانت صمام الأمان لوحدته العراق في اراضيه وسيادته، وتسجل لنا حركة الجهاد التي انطلقت ضد المحتل البريطاني عام ١٩١٥ مدى حجم الشعور بالمسؤولية الذي ادركته تلك المؤسسة تجاه الخطر الداهم الذي كان يحيق بالبلاد، والذي وضعها على اعتاب مرحلة حاسمة من الكفاح المسلح والواجب المقدس في مواجهة قوى الكفر، ذلك الواجب الذي دعت اليه المرجعيات الدينية في النجف الاشرف، عندما استشعرت ان الاسلام في خطر، وكان اغلب المجتمع العراقي على اهبة الاستعداد لتلبية نداءاتها المتكررة، وقد تجل ذلك بالظروف الممهدة لثورة العشرين، التي قادتها عشائر الفرات الاوسط، بمباركة اية الله محمد تقي الشيرازي (قدس سره الشريف) الذي كان يقيم وقتذاك في كربلاء المقدسة، ما اضطر البريطانيين على تشكيل الحكم الوطني في العراق.

سيسجل التاريخ ايضاً، لكل من السيد اليزدي والميرزا محمد تقي الشيرازي (قدس الله سرهما) والسيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه الوارف)، ومن

أزرها من العلماء، ارتقاءهم فوق مستوى الانتهات الطائفية، ليرزا كقائدين لجميع العراقيين وبمختلف طوائفهم. واذا كان الموت قد قطع الدور الذي تبوؤه الشيرازي، ظل السيد السيستاني يتحرك كقائد لكل العراقيين في تصديه لترسيخ اهداف المصالحة الوطنية. اضافة لتحركه بالمطالبة ببناء قوات مسلحة وطنية تتولى الدفاع عن امن البلاد وحدوده، بعد ما عرف باحتلال داعش الموصل في حزيران ٢٠١٤.

على إثر الفتوى التي اصدرها السيد كاظم اليزدي عام ١٩١٥ والشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس الله سرهما) في حزيران ١٩٢٠ أضطر الكثير من زعماء العشائر الى إعلان الثورة ضد البريطانيين لأن ضغط الرأي العام كان أقوى من أن يقاوم، فزعيم العشيرة يفقد مكانته وسمعته إذا رفض العمل بفتوى المرجع الأعلى، يمكن القول انه لولا فتوى الشيخ الشيرازي (قدس سره) لم يستطع بعض زعماء العشائر المعروفون بعدائهم للبريطانيين الثورة ضدهم، إذ كان بإمكان البريطانيين إثارة العشائر المناوئة لهم.

تلك الدروس والعبر التاريخية بقيت في ذاكرة العراقيين لقرن من الزمان حتى آلت الاوضاع الى ما آلت اليه اليوم من ظهور قوى ظلامية جديدة، وهو ما اصطلح على تسميتها ب(داعش)، التي استباححت الحرمات وانتهكت الاعراض، وارتكبت اشنع انواع القتل بحق الابرياء من ابناء الوطن الواحد، وهنا كان صوت المرجعية الصرخة المدوية التي بعثرت فلول الشر واعداء الامة والانسانية، حين اطلقت فتوى الجهاد الكفائي التي وضعت الجميع امام مسؤولياته الوطنية الكبرى في التصدي لتلك المجموعات الارهابية.

تعد فتوى الجهاد الكفائي التي اطلقها السيد السيستاني (دام ظله الوارف) في الثالث عشر حزيران ٢٠١٤ بعد سيطرة عصابات داعش الإرهابية وتمدها في مناطق أخرى، بوصفها فتوى الجهاد الأولى بعد فتوى الشيخ الشيرازي (قدس سره) عام ١٩٢٠.

نتيجة لذلك لبي مئات الالاف من العراقيين نداء المرجعية الدينية الرشيدة في النجف الاشرف، وحملوا السلاح للانضمام الى جانب القوات الأمنية. كما كان للفتوى دور كبير في توحيد صفوف العراقيين، فكانت الأساس لإيقاف تداعيات الإرهاب، ومنذ ذلك الحين، نجح الحشد الشعبي في تحرير مناطق عدة كانت تحت سيطرة داعش في جنوب بغداد وديالى وصلاح الدين.

وهنا تحديداً، ينبغي الوقوف عند حقائق تتعلق بالعلاقة بين المرجعية الدينية التي تصدرها السيد اليزدي ومن بعده الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس الله سرهما) في عام ١٩٢٠ والسيد السيستاني (دام ظله الوارف) والحشود الشعبية التي تشكلت بفضلها لمحاربة الوجود الأجنبي على الأراضي العراقية، والبعدان الوطني والمؤسسي في فتاواهم الجهادية.

كلمات مفتاحية: المرجعية الدينية، العراق، اليزدي، الشيرازي، السيستاني.

The role of religious authority in preserving the unity of Iraq (a study in the fatwas of scholars Yazdi, Shirazi and Sistani)

Dr. Thamer Makki Ali

College of Arts/Al-Mustansiriya University

Summary

Throughout the history of modern and contemporary Iraq, the religious reference has constituted a vital beacon of the Iraqi society in all the heroic stances witnessed by it, and it was the safety valve for the unity of Iraq in its lands and sovereignty. The attacker that was besetting the country, which put it on the threshold of a decisive stage of armed struggle and the sacred duty to confront the forces of infidelity, that duty called for by the religious authorities in Najaf, when they sensed that Islam was in danger, and most of the Iraqi society was ready to respond to its repeated calls. This was evident in the conditions that paved the way for the Twentieth Revolution, which was led by the tribes of the Middle Euphrates, with the blessing of Ayatollah Muhammad Taqi al-Shirazi (may his honorable secret be sanctified), who was residing at that time in the holy Karbala, which forced the British to form a national government in Iraq.

History will also record, for Mr. Yazdi and Mirza Muhammad Taqi al-Shirazi (may God sanctify their secret) and Sayyid Ali al-Hussaini al-Sistani (his shadow be long), and those who helped them from among the scholars, their rise above the level of sectarian affiliations, to emerge as leaders of all Iraqis and of their various sects. And if death had interrupted the role that Shirazi assumed, Mr. Al-Sistani continued to act as a leader for all Iraqis in his response to the consolidation of the goals of national reconciliation. In

addition to his movement to demand the building of national armed forces to defend the country's security and its borders, after what was known as ISIS' occupation of Mosul in June 2014.

Following the fatwa issued by Sayyid Kazem al-Yazdi in 1915 and Sheikh Muhammad Taqi al-Shirazi (may God sanctify their secret) in June 1920, many tribal leaders were forced to declare a revolution against the British because the pressure of public opinion was too strong to resist. With the fatwa of the supreme reference, it can be said that had it not been for the fatwa of Sheikh Shirazi (may his secret be sanctified), some clan leaders known for their hostility to the British could not revolt against them, as the British could provoke the clans opposed to them.

Those historical lessons and lessons remained in the memory of the Iraqis for a century, until the situation turned into what it has become today in terms of the emergence of new dark forces. Al-Wahid, and here was the voice of the reference, the resounding cry that scattered the remnants of evil and the enemies of the nation and humanity, when it issued the fatwa of sufficient jihad that put everyone before his great national responsibilities in confronting those terrorist groups.

The fatwa of sufficient jihad issued by Al-Sistani (may his shadow last) on the thirteenth of June 2014 after the control of the terrorist gangs of ISIS and its expansion in other regions, is considered as the first fatwa of jihad after the fatwa of Sheikh Shirazi (may his secret be sanctified) in 1920.

As a result, hundreds of thousands of Iraqis answered the call of the rational religious authority in Najaf, and took up arms to join the security forces. The fatwa also played a major role in unifying the ranks of the Iraqis, and was the basis for stopping the repercussions of terrorism. Since then, the Popular

Mobilization has succeeded in liberating several areas that were under ISIS control in southern Baghdad, Diyala and Salah al-Din.

Here, in particular, it is necessary to consider facts related to the relationship between the religious authority issued by Mr. Yazdi and after him, Sheikh Muhammad Taqi Shirazi (may God sanctify their secret) in 1920 and Mr. Siṣṭani (his shadow lasted) and the popular crowds that were formed thanks to them to fight the foreign presence on Iraqi lands, and the two National and institutional fatwas jihad.

Keywords: Religious reference, Iraq, Yazdi, Shirazi, Siṣṭani.

المقدمة:

الدور الوطني للمرجعية الدينية في العراق، موضوع يُكتنز في ثناياه تاريخ الشعب العراقي وطبيعة مجتمعه، فضلاً عن السياسة العراقية التي ارتبطت بإرادة الشعب، هذا الشعب الذي يدين بالولاء والاتباع لمرجعته الرشيدة كقيادة روحية وتوجيهية في عباداته ومعاملاته ومواقفه الوطنية.

كما ان موقف علماء الدين الشيعة في التصدي للمشاريع الاستعمارية يكشف عن دقة الفعل السياسي عندهم، وبُعد النظرة التي يحيطون بها الواقع السياسي العام، كما ان الاحداث بينت حجم التفاعل الجماهيري مع علماء الشيعة في مواقفهم المتصدية للأخطار الخارجية، وبذلك امتلك علماء الدين الشيعة عناصر الفعل السياسي المؤثر، وفرضوا موقفهم التاريخي على مسار الاحداث.

والبحث المقدم عبارة عن مجموعة من المواقف الوطنية التي ابداهها علماء الدين المسلمين تجاه بعض المشاكل التي واجهت العراق كالاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤، وخلال مدة الاحتلال حتى قيام الحكم الوطني عام ١٩٢١، فضلاً عن فتوى الجهاد^(١) الكفائي^(٢) للسيد السيستاني (دام ظله) ضد داعش في عام ٢٠١٤.

(١) عن معنى الجهاد لغوياً ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مطبعة بولاق، ١٩٨٠، ص ٢٣٧. واصطلاحاً ينظر: محمد نعيم ياسين، الجهاد.. ميادينه وأساليبه، عمّان، دار النفائس، ١٩٩٣م، ص ٩-١١٢؛ شبكة المعلومات الدولية (الانترنت). على الموقع

(٢) هناك نوعان من الجهاد الدفاعي هما: (الجهاد الكفائي) أي يجب تصدي عدد من المسلمين بما يكفي لصد العدوان، وإذا لم يكف يجب تطوع عدد آخر حتى يتم صد العدوان. والثاني هو (الجهاد العيني) وهو فرض عين على الجميع بلا استثناء، وأن يتركوا أعمالهم ومصالحهم ويلتحقوا بالقوات الأمنية. وهذا النوع لم يجر إعلان له لحد الآن. للمزيد نظر: ابا القاسم الخوئي، منهاج الصالحين (كتاب العبادات)، النجف الاشرف، ١٩٩٠، ج ١، ص ٣٦٠.

تنطلق الدراسة من اشكالية مهمة تتعلق بحدود المقاربة بين فتوى السيد محمد كاظم اليزدي وفتوى الشيخ الشيرازي (قدس الله سرهما) عام ١٩٢٠ وفتوى الجهاد الكفائي للسيد السيستاني (دام ظله) عام ٢٠١٤ في ضوء مسار الأحداث ومجرياتها في البلد، أخذين بالنظر المتغير الزماني.

قبل الخوض في هذه النقطة المحورية، لابد من توضيح حقيقة طالما ظلت غائبة عن الساحة السياسية في العراق، وهي أن فتاوى مراجع الدين الشيعة بالجهاد ومقاومة المحتل، لم تكن بدوافع طائفية بحتة، إنما كانت تنطلق من مبادئ الدين الحنيف والحرص على كيان الاسلام، وكرامة المسلمين وحقوقهم. ومن ثم فان فتوى الجهاد عام ١٩١٤ لدى أول احتلال بريطاني لمدينة البصرة، والفتوى الثانية عام ١٩٢٠ كانت بالحقيقة تخاطب كل العراقيين من سنة وشيعة، وجاءت الاستجابة من كلا الطرفين، كما تؤكد المصادر التاريخية. ومرة اخرى فشل البريطانيون في اللعب بالورقة الطائفية، بوجود قيادة علمائية حكيمة، متمثلة بالشيخ محمد تقي الشيرازي، كما فشلوا من قبل في عهد المرجع الكبير والمجدد الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي^(١) الذي قاد ثورة (التبغ) عام ١٨٩١ في ايران من مقر اقامته في مدينة سامراء.

فضلاً عن أن المرجعية الدينية تتأني كثيراً وقد تتردد طويلاً قبل إصدار فتوى بالجهاد لأن وراءها سيكون قتل أنفس وسفك دماء وتدمير ممتلكات، وكلها من ضروريات الحياة التي لا يمكن التفريط بها في أي مجتمع رصين. ولكن التحديات والظروف قد تضطرها إلى إعلان الجهاد كحل أخير لمواجهة العدو المتربص بأرض المسلمين ومقدساتهم.

(١) عن حياته ودوره السياسي ينظر: صلاح مهدي الفضلي، المرجعية الدينية ودورها الوطني في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ١٩٠٠-٢٠٠٢، بغداد، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، ٢٠١٠، ص ٩٧-١١٠.

اولاً / مدخل تاريخي للتطور السياسي للمرجعية الدينية منذ اواخر القرن التاسع عشر؛

بدأ الغرب في اواخر القرن السادس عشر الميلادي يتطلع نحو العالم الاسلامي، مجددا العهد بأطماعه القديمة فيه، ومشاعره الصليبية تجاهه، منطلقاً بشكل خفي نحو مرحلة جديدة من الصراع السجالي بين الاسلام والصليبية. كانت البداية اقتصادية، لكنها سرعان ما تحولت في بعض المناطق في الى سيطرة عسكرية، شارك فيها الاسبان والبرتغاليون والانكليز والفرنسيون، فيما كان الروس يعلنون الحرب بين مدة واخرى على الدولة العثمانية.

ومن دون المزيد من الاستعراض، فقد دخل المسلمون القرن التاسع عشر والغرب له قوة وهيمنة عسكرية في بعض المناطق الاسلامية ونفوذ ثقافي واقتصادي وسياسي في المناطق الاخرى، مستعيناً في ذلك بالعامل التقني، وبتآكل الوضع العام للمسلمين وما يسببه من ضعف معنوي، وفي تلك الظروف كانت المرجعية الاسلامية قد بلغت مستوى جيداً من النضج والتبلور على الصعيد العلمي والتنظيمي، فمن جهة كانت الحركة الاخبارية تعيش ايامها الاخيرة بعد الانتكاسات الكبيرة التي منيت بها على ايدي رموز الاتجاه الاصولي^(١)، وهو الذي ساعد على انهاء حركة الفكر الديني وتطويره بشكل ملحوظ، ومن جهة ثانية شهدت الحوزة العلمية توسعاً في الحجم ونمواً في النوع، فإضافة الى تزايد عدد الفقهاء والمجتهدين والطلاب، لمعت في النجف الاشرف آنذاك اسماء سيظل

(١) جواد رضارزوقي، المدرسة الاصولية والمدرسة الاخبارية ونهاية الصراع على يد الوحيد البهبهاني في نهاية القرن الثاني عشر الهجري، واسط، مجلة جامعة واسط، العدد ٣٢، ٢٠١٨، ص ٢١٩-

لها دويها فترة طويلة، كالسيد مهدي بحر العلوم الكبير، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، والشيخ مرتضى الانصاري^(١). ولعل من ابرز مؤشرات النمو والتطور، فكرة تنظيم عمل المرجعية التي ظهرت اواخر القرن الثامن عشر الميلادي على يد السيد مهدي بحر العلوم الكبير، الذي ارشد الناس الى تقليد تلميذه الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كما برز في عام ١٨٢٢ تطور مهم له دلالاته، الا وهو اقامة الصلح بين الدولتين العثمانية ممثلة بواليها على بغداد داود باشا والدولة القاجارية ممثلة بمحمد علي بن فتح علي شاه القاجاري، على يد الشيخ موسى كاشف الغطاء، ولقب على اثر ذلك بمصلح الدولتين، فضلاً عن لقب سلطان العلماء الذي اطلقته الحوزة العلمية عليه، لما كان له من هبة ورياسة روحية وما حظي به من انقياد العلماء لزعامته، وبذلك تكون المرجعية قد اطلت عالم السياسة، وسجلت اول ادوارها فيه بالنسبة الى تاريخها المعاصر^(٢).

ترك العامل السياسي اثراً مهماً في تحفيز المرجعية نحو السياسة، لذلك يمكن القول ان العام ١٨٢٢ يمثل بداية الحياة السياسية للمرجعية الاسلامية، وبداية مرحلة الدفاع عن الهوية الاسلامية ازاء التحديات الغربية، وهذا هو الشعور الذي سيسود وعي المرجعية وينظم حركتها السياسية حتى الربع الأول من القرن العشرين.

(١) عبد الكريم ال نجف، من اعلام الفكر والقيادة المرجعية، النجف الاشرف، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، ٢٠٠٧، ج ١، ص ٢٠-٢٥.

(٢) متعب خلف جابر الريشواوي، الشيخ موسى كاشف الغطاء حياته ودوره الفكري والسياسي في تاريخ العراق الحديث، واسط، مجلة اوروك، العدد ٤، ٢٠١٥، ص ٢٧٩-٣٠٦.

ثانياً / مرحلة الدفاع عن الهوية الاسلامية :

(١) فترة مقاومة النفوذ الاجنبي :

ادى آيات الله في اواخر القرن التاسع عشر دوراً سياسياً كبيراً في مرحلة اكبر، اذ اتخذ آيات الله اجراءات لمقاومة الزحف الاستعماري الغربي على اراضي المسلمين وفساد الزعماء السياسيين المسلمين، ويشترك المرجعان الكبيران الشيخ موسى كاشف الغطاء ومحمد حسن الشيرازي، فقد اوجد الأول بصلحه اساساً لفكرة الوحدة الاسلامية بعد عهود من التناحر والتمزق وغياب الشعور بالوحدة، مهدداً بذلك لفكرة الجامعة الاسلامية التي رفع رايها السيد جمال الدين الافغاني.

وتبلورت روحية المقاومة للنفوذ الاجنبي بشكل حاسم في ثورة التباك عام ١٨٩١ حينما اعطى ناصر الدين شاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦ م)^(١) امتيازاً لشركة بريطانية باحتكار زراعة وتسويق التبغ عام ١٨٩٠ لمدة خمسين عاماً، فأفتى آية الله المجدد السيد محمد حسن الشيرازي في الثالث من كانون الأول ١٨٩١ بحرمة استعمال التبغ^(٢)، استطاعت هذه الفتوى أن تقلب النظام وأن تخلق جبهة معارضة كبيرة شملت معظم أرجاء إيران. ونتيجة لذلك وللالتزام المطلق بهذه الفتوى من قبل الشعب الإيراني الغي الامتياز في السادس والعشرين من كانون الثاني ١٨٩٢^(٣).

(١) عن حياته ودوره السياسي ينظر: علي خضير عباس المشايخي، إيران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨ - ١٨٩٦ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، أيلول ١٩٨٧.

(٢) حسن الجاف، الوجيز في تاريخ إيران، بغداد، بيت الحكمة، ج ٣، ٢٠٠٥، ص ٢٧٠.

(٣) للمزيد عن ثورة التبغ والتباك ودور السيد الشيرازي فيها ينظر: خضير مظلوم البديري، إيران في ظل انتفاضة التبغ والتباك ١٨٩٠ - ١٨٩٢، دراسة في السياسة الداخلية، النجف الاشرف، دار الضياء، ٢٠٠٩، ص ١٢٣ - ١٦٠.

ادت هذه الفتوى الى الى توحيد التجار والطبقة الدينية في محاولة للحد من قوة الشاه وحماية المصالح الوطنية من الهيمنة الاجنبية، وقد تحطى الدعم الشعبي الساحق لمقاطعة التبغ خطوط الفصل الطبقي والمستوى التعليمي^(١).

(٢) فترة الاصلاح السياسي:

التفتت المرجعية الدينية بعد ثورة التباك الى ان الاستبداد الداخلي ليس اقل خطرا على الامة من التحديات الخارجية، وانه يؤكد، حيث تحول النظام القاجاري المستبد الى العوبة بيد بريطانيا تارة والروس تارة اخرى، وبروز العراق كاحد المناطق الرئيسة التي تشهد تغلغلا استعماريًا مبكرًا، زادت من اهميته الاستراتيجية، واخذت بريطانيا تنظر اليه باهتمام بالغ كونه يشكل مجالًا حيويًا لنشاطها التجاري ومرتكزًا رئيسيًا في ستراتييجيتها المستقبلية، ترسخت على اثره المصالح البريطانية في حقبة التاريخ الحديث في العراق^(٢)، واصبحت بريطانيا القوة الاكثر تحكماً في تحديد مسارات التطورات السياسية على الساحة العراقية، وانعكس ذلك بشكل واضح على دورها في المؤتمرات والاتفاقيات التي عقدت بعد الحرب العالمية الاولى من جهة، وعلى المؤسسة الدينية وطبيعة علاقتها بالبريطانيين من جهة اخرى.

لذلك تبلورت لدى المرجعية الدينية فكرة الاصلاح السياسي، بإزالة الاستبداد

(١) كارولين مرجي صايغ، المرجعية الدينية الموقف الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣، ترجمة نصر محمد علي، بيروت، مركز الرافدين للحوار، ٢٠٢٠، ص ٢٩.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن المصالح البريطانية في العراق ينظر: مجيد خدوري، اسباب الاحتلال البريطاني للعراق، الموصل، مطبعة الشعب، ١٩٣٣.

واقامة نظام يستند الى اسس دستورية، ولم تفكر بتطوير حركتها الى المناداة بنظام اسلامي انسجماً مع المرحلة وشعارها الاساسي المتمثل بالدفاع عن هوية المسلمين^(١).

لقد القت المرجعية في هذه الحقبة بكل ثقلها الجماهيري والسياسي في معركة الاصلاح السياسي، فشارك فيها بعد علماء طهران المراجع الكبار في العراق امثال الشيخ عبدالله المازندراني، والشيخ كاظم الخراساني والسيد كاظم اليزدي^(٢). لذلك شكلت القوة السياسية لرجال الدين تحدياً خطيراً للسلطات في كل من ايران والعراق، فقد ادوا دوراً كبيراً في الثورة الدستورية في ايران عام ١٩٠٥، وتغير دور اية الله اذ لم يعد مجرد فقيه يعمل على تسوية الخلافات الشرعية وابداء الراي

(١) عبد الكريم ال نجف، المصدر السابق، ص ٢٥.

(٢) ولد السيد محمد كاظم اليزدي، عام ١٨٣١ م، في يزد، وينتهي نسب عائلته إلى السيد إبراهيم الغمر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب «ع»، درس مبادئ اللغة العربية وآدابها ودرس مرحلة السطوح العليا في يزد، سافر إلى مشهد المقدسة لمواصلة دراسته ثم إلى أصفهان لينال فيها درجة الاجتهاد، ثم هاجر إلى النجف الاشرف عام ١٢٨١ هـ بعدها إلى سامراء، ليقوم بتشكيل حوزة دراسية أخذت تنمو سريعاً، درس عنده كثير ممن استلموا زمام المرجعية الدينية، عرف بالزهد في حياته والبساطة، له مواقف ضد الاستعمار، اصدر فتوى الجهاد المعروفة ضد الاستعمار الإيطالي لدولة ليبيا، وضد الاستعمار البريطاني لاحتلاله جنوب إيران، وكذلك ضد الاحتلال الروسي لشمال إيران، وكان من أول علماء الدين المجاهدين في العراق ضد الاحتلال البريطاني، وله مواقف مشهودة في قيادة حركة المقاومة ضد الاستعمار البريطاني في مدينة النجف الأشرف، ومن مؤلفاته؛ حاشية على المكاسب، العروة الوثقى، توفي عام ١٩١٩، ولما انتشر نبأ وفاته تعطلت الأسواق وهب الجميع لتشييعه، وقد شيع تشييعاً لم يسبق له مثيل، وتم دفنه في الصحن الشريف للإمام أمير المؤمنين «ع» في النجف الاشرف، وأقيمت مجالس الفاتحة على روحه الطاهرة. وللمزيد ينظر: كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي سيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه، قم، ٢٠٠٦.

في قضايا السلوك الشخصي، اذ بات المرجع ايضا بمثابة المرشد في الحياة السياسية والاجتماعية^(١).

ثالثاً / فترة الجهاد ضد الاحتلال الاجنبي:

اصبحت الهوية الاسلامية بعد فترة الاصلاح في خطر اشد من السابق اذ اصبحت تواجه خطر الاحتلال والسيطرة الاجنبية المباشرة، وهذا ما حصل بالاعتداء الروسي على اذربيجان، والاعتداء الايطالي على ليبيا ١٩١١، والاحتلال الروسي البريطاني لإيران عام ١٩١١^(٢)، ثم البدء باحتلال بريطانيا العراق عام ١٩١٤، وهنا وقفت المرجعية الدينية موقفاً مشرفاً في ابعاده القتالية والجهادية والمعنوية، فقد اصدر السيد كاظم اليزدي في السابع والعشرين من تشرين الثاني ١٩١١ فتواه بالجهاد مؤكداً ضرورة الدفاع عن ليبيا وايران وتحرير الاولى من الاحتلال الايطالي والثانية من الاحتلال الروسي والبريطاني^(٣).

الى جانب اهتمام علماء الدين بالأوضاع الداخلية لليبيا وايران، فانهم ظلوا على اهبة الاستعداد للتوجه اليهما، بل ان الشيخ محمد كاظم الخراساني عزم على

(١) كارولين مرجي صايغ، المصدر السابق، ص ٢٩.

(٢) للمزيد ينظر: علاء الدين محمد تقي الحكيم، السيد محمد كاظم اليزدي والثورة الدستورية في بلاد فارس ١٩٠٦-١٩٠٩ دراسة تحليلية، النجف، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد ١، ٢٠٠٦، ص ٤٢٦-٤٤٦؛ علي طاهر تركي، اية الله العظمى محمد كاظم اليزدي (سيرته، مواقفه السياسية ازاء ابرز احداث عصره، كربلاء، مجلة جامعة كربلاء، العدد ٤، ٢٠٠٧، ص ٢٤٢-٢٥٢.

(٣) للمزيد ينظر: حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، بيروت، دار المنتدى، ١٩٩٠، ج ٢، ص ١١٢-١١٤؛ علاء حسين الرهيمي، حقائق عن الموقف في النجف من الثورة الدستورية الايرانية ١٩٠٥-١٩١١، النجف الاشرف، مجلة السدير، العدد الأول، ٢٠٠٣، ص ٣٢٢-٣٢٦.

قيادة الجيش المتوجه لجبهات القتال هناك، غير ان المنية وافته في الثالث من كانون الأول^(١) ١٩١١.

وبهذا الموقف تجاوزت المرجعية الدينية الحدود الاقليمية والفئوية وكان المرجع مشروع تضحية دائم، بل عطاء لا ينضب في خدمة ابناء وطنه عربياً واسلامياً. لذلك ادرك البريطانيون هذه الروحية والمواقف قبل احتلالهم العراق، وادركوا ايضا انهم سيواجهون مشاكل عدة اذا اقدموا على هذه الخطوة واهم هذه المشاكل، هو موقف المؤسسة الدينية من احتلال العراق، حيث كانت تدرك ان المؤسسة الدينية الشيعية لا يمكن لها ان تتقبل الاحتلال البريطاني، وذلك من خلال المواقف التي تبنتها ازاء الاحتلال الاستعماري للاقاليم الاسلامية، وتصديها لاي محاولة استعمارية تستهدف كيان المسلمين السياسي^(٢)، وهذا ما عبر عنه السفير البريطاني في اسطنبول ماليت (Mallett) من البرقية التي بعثها في الخامس والعشرين من ايلول عام ١٩١٤ الى وزير الخارجية البريطاني ادورد كروي (Edward Grey) التي جاء فيها « ان على نائب القنصل البريطاني (في المدن الشيعية المقدسة) ان يؤثر عليهم (على المجتهدين) بشكل كيس جلبهم الى جانبنا»^(٣).

وبالفعل خاضت المرجعية معركة تحرير العراق من الاحتلال البريطاني^(٤)،

(١) عبد الرحيم محمد علي، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٧٢ ص ١٨٦؛ عبد الكريم ال نجف، المصدر السابق، ص ٤٧-٧٩.

(٢) سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، بيروت، ١٩٩٥، ص ٢٥.

(٣) مقتبس في: غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، ترجمة: عط عبد الوهاب، لندن، دار اللام، ١٩٨٨، ص ١١٦.

(٤) لم تعنى فرضية البحث بالمصالح البريطانية في العراق ودوافع وأسباب الاحتلال البريطاني له، ولا

وواصلتها حتى النفس الاخير، ففي البدء اعلنت الجهاد ضد البريطانيين، ثم اعلنت المقاومة لمشروع الاستفتاء حول مصير العراق، ثم اطلقت شرارة ثورة العشرين. ولعت في هذه الفترة اسماء السيد كاظم اليزدي والشيخ الخراساني، ومهدي الحيدري ومهدي الخالصي والشيخ محمد تقي الشيرازي^(١)، وبعد ثورة العشرين واصلت المرجعية نشاطها المقاوم لجميع صنوف الاستبداد والارهاب.

ثمة حقيقة تاريخية لا يمكن تجاوزها بأية حال من الاحوال، تبين موقف المؤسسة الدينية في العراق من الاحتلال البريطاني، اذ اختار بعض علمائها التخلي عن الدولة التي يمثلونها على الرغم من ارتباطهم بها مذهبياً ومادياً. على الرغم من محدودية صدى فتوى الجهاد على مستوى بعض الشخصيات المحلية التي تأثرت بأمر السلطان العثماني، اذ اصدر الشيخ محمد اديب الجراح الذي كان يعمل قاضياً

بالعمليات البريطانية العسكرية لاحتلال العراق (١٩١٤-١٩١٨) والمقاومة الشعبية لها، وانما جاء تركيزها بشكل اهم على موقف رجال الدين منها، اذ كتب الكثير من الكتاب والباحثين من العراقيين ومن غيرهم، لذلك سنحيل القارئ لبعض المصادر على سبيل المثال لا الحصر ينظر: مجيد خدوري، اسباب الاحتلال البريطاني للعراق؛ شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، بغداد، مطبعة دار التضامن، ١٩٦٧، ص ٢١-١٨٢.

(١) هو الشيخ محمد تقي بن الميرزا محب علي بن الميرزا محمد علي المشهور بالشيرازي الحائري زعيم الثورة العراقية، ولد في شيراز وهاجر إلى العراق شاباً وأقام في كربلاء وهاجر إلى سامراء، وتلمذ على يد الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي، ولما توفي السيد الشيرازي عام ١٨٩٧. اتجهت إليه أنظار الناس للزعامة الدينية، وهاجر إلى كربلاء وأقام فيها عالماً ومرجعاً، تلمذ على يد الشيخ الأردكاني والسيد علي تقي الطباطبائي في كربلاء، من مؤلفاته حاشية على المكاسب في الفقه، ورسالة في أحكام الخلل، ورسالة في صلاة الجمعة، وشرح منظومة السيد صدر الدين العاملي في الرضاع، وله شعر كثير، توفي في آب ١٩٢٠م وتم تشييعه ودفنه في صحن الحسيني الشريف. وللمزيد ينظر: كامل سلمان الجبوري، محمد تقي الشيرازي "سيرته ومواقفه ووثائقه السياسية"، قم، ٢٠٠٦.

في محكمة الاستئناف بالموصل «رسالة الجهاد على فتوى خليفتنا الاعظم السلطان الغازي محمد رشاد»^(١)، وعقد عام ١٩١٥ عدد من الشخصيات السياسية اجتماعاً في دار عبد الرحمن النقيب وقرر المجتمعون تأييد بريطانيا سياسياً وعسكرياً^(٢).
 جاء موقف المؤسسة الدينية الشيعية مغايراً لذلك الموقف تماماً، فقد كانت الاستجابة سريعة ومكثفة من غالبيتها لدعوة الجهاد، وافتي علماءها بوجوب الدفاع عن بلاد الاسلام^(٣).

استجابت الحوزة العلمية في النجف الاشرف لدعوة الجهاد، وأفتى علماءؤها بوجوب الدفاع عن دار الإسلام، وكان في مقدمتهم السيد محمد سعيد الحبوبى، وشيخ الشريعة الاصفهاني^(٤)، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيد مصطفى

(١) نقلاً عن: صلاح عبد الرزاق، المرجعية والاحتلال الاجنبي دراسة في فتاوى السيد كاظم اليزدي ضد الغزو البريطاني ١٩١٤، بيروت، منتدى المعارف، ٢٠١٠، ص ١٤٣.

(٢) وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠ (الجدور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق)، ط ٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥، ص ١١١-١١٠.

(٣) للاطلاع على فتاوى الجهاد ينظر: اخلاص لفته حريز الكعبي، موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩١٤ - ١٩٢٤، رسالة ماجستير، كلية التربية/ الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥، ص ٥٥-١٢٨.

(٤) الشيخ فتح الله بن محمد جواد المعروف بـ (شيخ الشريعة الاصفهاني)، فقيه إمامي، عالماً مجتهداً محققاً، ولد في ٢٥ كانون الثاني ١٨٥٠ في أسرة دينية عرفت بالتقوى والصلاح، أيد الحركة الدستورية عام ١٩٠٦، وساهم في إعلان الفتيا بإعلان الحكم الشرعي فيها، وكان من قواد المجاهدين من حركة الجهاد عام ١٩١٤، ومن زعماء ثورة العشرين، التي إليه قيادة الثورة بعد = وفاة الميرزا محمد تقي الشيرازي، توفي في تشرين الثاني ١٩٢٠. لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الحسين الحلي، شيخ الشريعة قيادته في الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ووثائقه السياسية، تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري، ط ١، (بيروت-٢٠٠٥).

الكاشاني، والشيخ جعفر الشيخ راضي، والسيد علي الداماد، والسيد عبد الرزاق الحلو، كما تم إقناع المرجع الديني الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي (١٨٣١-١٩١٩) بوجوب الإسهام في الجهاد^(١)، فوافق على إرسال نجله سيد محمد رضا لينوب عنه في استنهاض العشائر والاشتراك في الجهاد^(٢).

إن موقف السيد اليزدي له أهمية خاصة، فقد كانت علاقته بالحكومة العثمانية متوترة، لكونها من دعاة (المشروطة) التي كان مناهضاً لها، وقد سبق لدعاة ((المشروطة أن هددوه بالنفي لأنه من أعداء الحركة الدستورية، وعلى الرغم من كل ذلك تناسى السيد اليزدي الماضي، وتعامل مع الحاضر على وفق متطلباته واحتياجاته. وحقق بذلك وحدة الصف الإسلامي في الحوزة العلمية التي كانت مفقودة، خلال أحداث المشروطة^(٣).

وأصدر المرجع الديني السيد كاظم اليزدي في السادس عشر كانون الثاني ١٩١٥ فتواه الشهيرة حيث ارتقى المنبر في مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وخطب في الناس والزمهم بوجوب الدفاع عن الوطن، وعلى الغني العاجز أن يقوم بتجهيز الفقير القوي من ماله^(٤)، وكان لكلامه صدى رددته الأطراف. بل انه أرسل أبنه

(١) كامل سليمان الجبوري، النجف الاشرف وحركة الجهاد عام ١٣٣٢-١٣٣٣هـ / ١٩١٤م حقائق ومذكرات من تاريخ العراق السياسي لم تنشر من قبل، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٦٠-٦٣.

(٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٤، بغداد، ١٩٧٠، ص ١٢٨.

(٣) سليم الحسني، المصدر السابق، ص ٢٥.

(٤) حسن شبر، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٩؛ هادي حسين الكرعواوي، محمد فرحان عبد، الفكر السياسي عند السيد محمد كاظم اليزدي، النجف، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد ٣٤، ٢٠١٥، ص ٨٥-١١٦.

الأكبر محمد لينوب عنه في استنهاض أبناء العشائر للجهاد، وتشير المس بيل الى ابن كاظم اليزدي وصل الى العمارة في كانون الثاني عام ١٩١٥ ليدعو عشائرها الى الجهاد وقد وصلت دعواه للجهاد الى عرب الأحواز^(١).

ففتوى السيد اليزدي بالجهاد الدفاعي لمواجهة القوات البريطانية حيث استخدم اليزدي عبارات (وجوب الدفاع) و(يجب عليكم الدفاع) وذلك للتمييز بين (الجهاد الهجومي أو الابتدائي) وهو الجهاد التي انطلقت من خلاله الفتوحات الإسلامية ودعوة المشركين للإسلام، وله شروطه وظروفه، وبين (الجهاد الدفاعي) وهو ضرورة التصدي لمواجهة العدو والاحتلال البريطاني^(٢)، وقد مرت عليها قرن من الزمن.

وفيما يلي نص بعض الرسائل التي بعثها السيد اليزدي الى احد شيوخ العشائر: (ليس خفيًا أن أوروبا - ولا سيما الإنجليز وروسيا وفرنسا - تتعدى منذ قديم الأيام على البلاد الإسلامية، كما غصبت أكثر الممالك الإسلامية، وليس لها من هذه التعديّات غير محو الدين والعياذ بالله، وما لم يبلغوا هذه المقاصد، فإنهم يهجمون على ممالك الدولة العليّة العثمانية (أعزّ الله بنصرها الإسلام)، ويغدو قريبا مدّ يدهم إلى الحرمين الشريفين، ومشاهد الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، ومهاجمة أوطان المسلمين ونفوسهم وأعراضهم وأموالهم، والتسلّط عليها، وعليه، فالواجب على العشائر القاطنة على الثغور، وعلى عموم المسلمين القادرين على حفظ الحدود والدفاع عن بيضة الإسلام مقدار طاقتهم فعلاً ذلك إذا لم يقم من به الكفاية. والله

(١) كامل سلمان الجبوري، محمد تقي الشيرازي...، ص ١٣٠.

(٢) سليم الحسني، المصدر السابق، ص ٨٢.

الناصر والمعين والمؤيد للمسلمين) (١).

الرسالة التي بعثها السيد اليزدي إلى عشائر الشطرة يحثهم على الجهاد نصها:
(السلام على كافة إخواننا في الشطرة ومن حولها ورحمة الله وبركاته.

غير خفي عليكم إنا أبرقنا غير مرة لكم ولغيركم وكتبنا حتى كل القلم وشافهنا حتى اضطرب اللسان حثاً على الدفاع وإلزاماً بحفظ الثغر المهاجم، وأقول الآن عودوا على بدء يجب عليكم الدفاع وحفظ بيضة الإسلام، فبأي عذر بعد اليوم تعتذرون، واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون) (٢).

وفي رسالة شخصية بعثها السيد محمد كاظم اليزدي إلى الشيخ خيون العبيد أيضاً، كتب فيها يقول: «وبعد، فقد بلغك كما بلغنا هجوم الكفار على بلاد المسلمين وأحاطهم بالبصرة. (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره). وحيث كان الأمر كذلك فاني ألزمك، وأوجب عليك أن تتوجه أنت مع جميع المسلمين الذين هم طوع أمرك إلى البصرة لسد ثغرها ودفع الكفرة الحاقدين بها، فان ذلك واجب عليك من الله تعالى وعلى كل من بلغه كلامي ممن تكلم من شد الرحال إلى البصرة بهاله ونفسه وخيله وسلاحه ورجاله، وليس لمسلم متمكن من ذلك عذره والحكومة وسائر المسلمين من هذا اليوم سواء في وجوب الدفاع وحفظ بيضة الإسلام، وفقكم الله وسائر المسلمين لذلك وبلوغ الأجر فيما هنالك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» (٣).

(١) المصدر نفسه، ص ٨٥.

(٢) نقلاً عن: سليم الحسني، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٣) كامل سلمان الجبوري، النجف الاشرف وحركة الجهاد، ص ٩٠.

كما بعث السيد اليزدي رسائل أخرى بهذا الخصوص إلى رؤساء عشائر الناصرية، وظل يتابع موقف الشيخ خيون العبيد من اجل إشراكه في الحرب دفاعاً عن بلاد الإسلام^(١). وقد برر خيون قعوده عن الجهاد بأنه قد استولى على مجموعة من الأسلحة من العثمانيين. وهو لا يريد المشاركة في الحرب لان العثمانيين سوف ينتقمون منه في حالة وقوع هذه الأسلحة في أيديهم، فكتب إليه السيد اليزدي جواباً يطمئنه فيه عدم التعرض لسخط العثمانيين في حالة حدوث ذلك^(٢). وإلى جانب ذلك أرسل السيد محمد سعيد الحبوبي إلى خيون يطلب حضوره إلى الناصرية، وهناك استحصل له من الحكومة عفواً عنه وعن أتباعه، وبذلك أعلن انضمامه إلى حركة الجهاد^(٣).

كما أرسل المرجع الديني الأعلى للحوزة العلمية السيد محمد كاظم اليزدي في الثامن عشر كانون الثاني ١٩١٥ البرقية التالية إلى الشيخ خزعل نصها:

«لا يخفى أن من أهم الواجبات المحافظة على بيضة الإسلام والدفاع بالنفس والنفيس عن ثغور المسلمين ضد مهاجمة الكفار. وأنت في ثغر مهم من تلك الثغور، فالواجب حفظ ذلك الثغر عن هجوم الكفار بكل ما تتمكن. كما يجب ذلك على سائر العشائر القاطنين في تلك الجهات، واللازم عليك تبليغ ذلك إليهم. كما انه يحرم على كل مسلم معاونة الكفار ومعاضدتهم على محاربة المسلمين، والأمل بهمتك وغيرتك أن تبذل تمام جهدك في دفع الكافرين. والله مؤيدك بالنصر على

(١) المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٢) سليم الحسني، المصدر السابق، ص ٩٣.

(٣) علي الوردي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٤٧.

أعدائه إن شاء الله»^(١).

استطاعت حركة الجهاد أن تعبأ وبسرعة ملحوظة عدداً من المجاهدين بلغ (١٨) ألف عربي من الفرات، وثلاثة آلاف رجل من الاحواز، فضلاً عن عشرات الآلاف من الذين سجلوا أسمائهم في النجف وكربلاء والكاظمين وبغداد كجنود احتياط وذلك لقلّة السلاح. كما كان عدد المجاهدين رقماً قياسيًّا بالنسبة لعدد أفراد الجيش العثماني النظامي، وعلى الرغم من نجاح الأداء العسكري في ميادين المعارك والمواقف البطولية التي سجلتها القوات، إلا إن الخلل كان في طريقة الإدارة العسكرية العثمانية وعدم قدرتها على توظيف طاقات المجاهدين وإخلاصهم في الدفاع عن بلاد الإسلام.^(٢)

رابعاً / فتاوى الشيخ الشيرازي (قدس سره) :

ولعل من المآثر المهمة في سيرة الشيخ محمد تقي الشيرازي هو إيمانه بالوحدة الإسلامية والتسامح الديني مع بقية الأديان الأخرى، فقد عمل على التوفيق بين طائفتي السنة والشيعة، وأوصى بالمحافظة على سائر الملل والنحل وحسن معاملتهم^(٣).

وصف علي البازركان دور الشيخ الشيرازي في توحيد كلمة المسلمين «زينا للشيعة الصلاة في مساجد السنة كما زينا للسنة الصلاة في مساجد الشيعة وقد

(١) نقلاً عن: سليم الحسني، المصدر السابق، ص ٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(٣) مير بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، لندن، دار الحكمة، ١٩٩٩، ص ٣٦٤.

بارك تلك الفكرة وشجعها الميرزا محمد تقي الشيرازي...»^(١). ووصف آخر دور الشيخ الشيرازي في هذا المجال، أنه «عمل بكل جهد ووسيلة لإزالة النعرات الطائفية والفوارق الإقليمية والعصبيات القبلية ونسيان الأحقاد العشائرية وبفضل هذه المساعي توحدت الصفوف...»^(٢). أما محمد مهدي البصير فعلق على الدور الكبير الذي قام به الشيخ الشيرازي في رص الصفوف بين أبناء الشعب العراقي بالقول: «... عرف المفكرون السنيون ما للرجل (ويقصد الشيرازي) في المنزلة العظمى فصاروا يتقربون منه ليستعينوا بنفوذه الديني الواسع على تحقيق مقاصدهم السياسية فكان رحمه الله يؤيد الصلات الودية المتبادلة بين الشيعيين والسنين بكل قواه...»^(٣).

ووصفه مؤرخ عراقي معروف بأنه «زعيم روحي كبير، صادق العزيمة، نافذ الكلمة، واسع النفوذ...»^(٤)، أما عبد الله الفياض فقال عنه «كان من رجال الدين الأفاضل الذين واكبوا سير الحركات التحررية في عصورهم ووجهوا مؤيديهم لخدمة مصلحة الوطن العليا»^(٥).

وأصدر المرجع الديني آية الله العظمى محمد تقي الشيرازي فتوى الجهاد ضد البريطانيين هذا نصها: «أيها المسلمون الآن أوشكت مهاجمات أعداء الدين على

-
- (١) علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، مطبعة أسعد، ١٩٥٤، ص ٥.
 (٢) عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٦٦، ص ١٣٢.
 (٣) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، بغداد، مطبعة الفلاح، ١٩٢٤، ج ١، ص ١٩٠.
 (٤) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ط ٢، صيدا، مطبعة العرفان، ١٩٦٥، ص ٩٦.
 (٥) عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ط ٢، بغداد، مطبعة دار السلام، ١٩٧٥،

حرم الله وحرّم رسوله ومشاهد الطاهرين صلوات اللهم عليهم أجمعين، أن تهتك حرمة الدين، وبلاد المسلمين، والشعائر والمشاعر ونفوس المؤمنين في خطر ولذلك فعلى جميع العشائر والعائلات الساكنين في الحدود والثغور، وعلى عموم المسلمين لازم وواجب بما أوتوا من قوة، ومهما تمكنوا أن يحفظوا الثغور وحدود البلاد الإسلامية ويتعمدوه الدفاع عن حوزة الإسلام والله الناصر المعين. فالله الله في ذلك يا معشر المسلمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١).

وأرسل محمد تقي الشيرازي بعد فتواه رسائل الى شيوخ العشائر والعلماء والأمرء يحثهم فيها على حشد الناس لقتال البريطانيين والدفاع عن البلاد فأرسل رسالة الى الشيخ باقر ال حيدر ممثل المرجعية في سوق الشيوخ كما أرسل رسالة مهمة الى الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت ومما جاء فيها: « يجب على جميع الفرق الإسلامية وجوباً عينياً أن يكونوا يداً واحدة للدفاع عن بيضة الإسلام»^(٢). ولن يتوقف دور الشيرازي في اصدار الفتوى الجهادية بل ارسل ابنه محمد رضا لالتحاق بالسيد مهدي الحيدري في الشعبية عام ١٩١٥^(٣).

كان لفتوى الشيخ الشيرازي (قدس الله سره) تأثير واسع وقوي حيث تحشد أبناء العشائر وسكان المدن ورجال الحوزة العلمية والعلماء والخطباء، وتمكن العراقيون من مواجهة السلاح البريطاني المتطور حينها والطائرات والمدافع والسفن الحربية حتى أنهم أحرّوا احتلال العراق ثلاث سنوات حتى دخول الجنرال مود بغداد في

(١) نقلاً عن: كامل سلمان الجبوري، محمد تقي الشيرازي.....، ص ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(٣) عبد الرحيم محمد علي، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٧٢ ص ١٨٦؛ عبد الكريم ال نجف، المصدر السابق، ص ٢٧.

أذار ١٩١٧، وحدثت معارك عدة مثل معركة الشعيبة في ١٢ / ٤ / ١٩١٥ ومعركة الكوت في ٢٩ / ٤ / ١٩١٥^(١).

بعد احتلال العراق من قبل بريطانيا حاولت تأسيس حكم بريطاني مباشر لكنها اضطرت إلى إجراء استفتاء شكلي حول شكل الدولة الجديدة وشكل النظام ومن هو الرئيس. حاول الكولونيل أرنولد ولسن نائب الحاكم المدني العام في العراق بتزييف إرادة العراقيين وأصدر تعليماته إلى ضبط الارتباط في المدن العراقية وأبلغهم بعدم قبول غير الأجوبة المرضية والملائمة للإنكليز. رفض أغلب الشعب العراقي الهيمنة البريطانية، وتصدى الفقهاء والعلماء ورؤساء القبائل والعشائر والسياسيون. -وتعزيزاً لهذا الموقف الشعبي والوطني أصدر المرجع الأعلى الشيخ محمد تقي الشيرازي في الثالث والعشرين من نيسان ١٩١٩ فتوى بصدد الاستفتاء تؤكد عدم اختيار غير المسلم حيث تضمنت: «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين»^(٢).

كان للفتوى تأثير فعال حيث التف جميع العراقيين حول موقف المرجعية الراض للحكم البريطاني المباشر. وقد أيدها سبعة عشر عالماً دينياً في كربلاء إذ وقعوا على نص الفتوى وكان من أبرزهم السيد محمد صادق الطباطبائي، السيد محمد علي الحسيني، والسيد محمد رضا القزويني، وغيرهم^(٣)، كما أرسلت نسخ

(١) اخلاص لفظة حريز الكعبي، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٢) عبد الرزاق آل وهاب، كربلاء في التاريخ، بغداد، مطبعة الشعب، ١٩٣٥، ج ٣، ص ٤٤؛ عبد الرزاق الحسيني، تاريخ العراق السياسي الحديث، صيدا، مطبعة العرفان، ١٩٤٨، ج ٢، ص ٩٨؛ وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣٠٨.

(٣) عبد الرزاق آل وهاب، المصدر السابق، ص ٤٥ - ٤٧؛ جاسم محمد ابراهيم اليساري، موقف

عديدة من هذه الفتوى الى عشائر الفرات والجنوب وغيرها^(١)، مما أدى الى تأزم الموقف ضد البريطانيين الذين ازدادوا صرامة.

لم يكن ولسن مرتاحا لنشاطات الشيخ الشيرازي وولده المرزا محمد رضا في تحريك الجماهير ضد الادارة البريطانية، فقرر ان يبادر الى اتخاذ اجراء ظنه كافيا لبث الخوف فيهم، ففي الثاني من اب ١٩١٩ القي القبض على ستة من انصار الشيرازي من اهالي كربلاء، وتم نقلهم الى بغداد بهدف نفيهم الى الهند، فقام الشيرازي بارسال رسالة الى ولسن يحث فيها على تسفيرهم، ويطلب منه اخلاء سبيلهم «لانهم لم يفعلوا شيئاً سوى القيام بالمطالبة السلمية بحقوق البلاد المشروعة»، لم يستجب ولسن واجاب الشيرازي برسالة طويلة اتهم فيها المعتقلين بانهم يقومون ياثارة الناس ضد الحكومة البريطانية من خلال نشرهم اخبارا غير مرضية، لذلك قرر نفيهم داخل العراق ونفى احدهم وهو هندي الاصل الى الهند.

عندما وصل الخبر الى الشيرازي تالم كثيرا واعلن بانه سيغادر العراق الى ايران كي يفتي من هناك بالجهاد ضد الانكليز، ولما انتشر خبر عزمه على الهجرة اخذت الرسائل ترد عليه من النجف والكاظمية بيدي اصحابها عزمهم على الهجرة معه، شعر ولسن بتاثير الشيرازي الواسع فقرر اطلاق سراحهم.

لم يكن بوسع الشيرازي الاطمئنان الى اساليب ولسن ولم يكن باستطاعته انتظار المفاجات فقرر ان يبعث ابنه محمد رضا ليمثله في اجتماع للمعارضة عقد في السادس عشر من نيسان ١٩١٩ بمناسبة زيارة المبعث النبوي في ٢٧ رجب وقد حضر

الشيخ محمد تقى الشيرازي الحائري من استفتاء ١٩١٨-١٩١٩ في العراق، كربلاء، مجلة جامعة اهل البيت، العدد ١١، ٢٠١١، ص ١٤٦-١٦٠.

(١) عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، ص ٣٥.

الاجتماع الذي عقد في دار السيد علوان الياسري عدد من العلماء ورؤساء العشائر، وقرروا تاسيس جمعية مركزها كربلاء ولها فروع في كل العراق ويراسها الشيخ محمد تقي الشيرازي، كذلك طرحت فكرة القيام بثورة مسلحة على البريطانيين، الا ان الشيخ الشيرازي كان يرى ضرورة التدرج في المواجهة وبالالكثفاء بما تحتاجه المرحلة دون تصعيد لا مبرر له قد يؤدي الى سفك دماء المسلمين.

أعلنت مقررات سان ريمو (إيطاليا) في ٢٥ / ٤ / ١٩٢٠ التي تضمنت إعلان الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين. كان القرار صدمة قوية للأوساط الشعبية والدينية. بالوقت الذي توفي المرجع الديني السيد كاظم اليزدي في الثلاثين من نيسان ١٩١٩ فانتقلت الزعامة الدينية الى الشيخ محمد تقي الشيرازي (١٨٤٠ - ١٩٢٠) الذي كان يحظى باحترام وتأييد جميع العراقيين. وفي الاول من ايار ١٩٢٠ خرجت تظاهرات واعتصامات ضد اعلان بريطانيا انتدابها على العراق، وعقدت اجتماعات تطالب بالحقوق المشروعة واستقلال العراق. وتدرجياً تحولت الأجواء من التظاهرات السلمية إلى الميل نحو التصدي والمواجهة بسبب رفض الإدارة البريطانية تلبية مطالب العراقيين. وزاد من تدهور المشهد السياسي حادثة اعتقال محمد رضا ابن المرجع الشيرازي في الثالث والعشرين من حزيران ١٩٢٠ ونفيه إلى جزيرة هنجام في الخليج^(١).

لم يكن دور الشيخ الشيرازي في ثورة ١٩٢٠ مجرد دور المشارك أو الواعظ أو المحرض، أو حتى القائد في مدينة أو منطقة عراقية بعينها، إنما كان له دور قيادي بارز ومهم على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية بل وحتى العسكرية أحياناً

(١) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣٧٦-٣٧٧.

في تلك الثورة، فقد عده معظم المؤرخين والباحثين بأنه (الزعيم الروحي) لهذه الثورة، وعلق أحد الشخصيات السياسية البارزة في العهد الملكي عن الدور الكبير للشيرازي في الثورة بالقول: « لا يمكن أن نسقط من حسابنا موقف رجال الدين، وفي مقدمتهم المرجع الأعلى الميرزا محمد تقي الشيرازي في مناهضة الاحتلال البريطاني، وفتواه بوجوب مقاومته ومحاربتة، وكان لذلك أبلغ الأثر على قبائل العراق...»^(١).

كما اعترف البريطانيون أنفسهم بالتأثير القوي للشيخ الشيرازي على سياساتهم وعرقلتها داخل العراق وخارجه، وبهذا الصدد قالت المس بيل «وفي أوائل آذار عام ١٩٢٠ قيل أن الميرزا محمد تقي الشيرازي أصدر فتوى يحرم فيها توظيف المسلمين في الإدارة البريطانية، وكتب الحاكم السياسي في الديوانية يقول إن جثة أحد أفراد الشبانة^(٢) لم يسمح بدفنها حسب الأصول الإسلامية الشيعية المتبعة وأن الاستقالات من خدمة الحكومة تزداد يوماً بعد يوم...»^(٣)، أما المؤرخ الأمريكي (آيرلاند) فعلق على دور الشيرازي في الثورة بالقول « ويستبان بأن خطط الثورة قد وضعت بصورة أكيدة في كربلاء...»^(٤) وكربلاء هي المدينة التي كان الشيرازي يقيم فيها.

(١) محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الأحداث ١٩١٨-١٩٥٨، بيروت، منشورات دار الطليعة، ١٩٦٥، ص ٢١.

(٢) الشبانة: اسم يطلق على الأفراد الذين يعملون في جهاز الشرطة المحلية.

(٣) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة وتعليق جعفر خياط، ط ٢، بيروت، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص ٤٤١.

(٤) فيليب ويلارد آيرلاند، العراق-دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر خياط، بيروت، دار الكشاف، ١٩٤٩، ص ٢٠٤.

اجتمع في كربلاء في ليلة النصف من شعبان سنة ١٣٣٨هـ، وجوه ورؤساء العشائر الفراتية في مجلسه، وأظهروا ولاءهم لدينهم ووطنهم واستفتوه في إعلان الثورة ضد الإنكليز، وقال لهم ما نصه (إن الحمل لثقيل وأخشى أن لا تكون للعشائر قابلية المحاربة مع الجيوش المحتلة) فطمأنه زعماء العشائر بأن فيهم الكفاءة الكاملة ثم عاد إليهم قائلاً: (أخشى إن يخلت النظام ويفقد الأمن وان الأمن أهم من الثورة وأوجب منها) فأجابوه بأن لهم القابلية على حفظ الأمن، وان الثورة لا بد منها فشكرهم وقال: (إذا كانت هذه نواياكم وهذه تعهداتكم فله عونكم)،^(١).

كان الزعماء السياسيون ورؤساء العشائر يطالبون المرجع الشيرازي باتخاذ موقف أقوى فاستجاب للظروف المتوترة واستمرار عناد بريطانيا في الاستجابة لمطالب العراقيين فأصدر فتواه الخالدة وهي: «بسم الله الرحمن الرحيم.. مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين. ويجب على العراقيين بضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن. ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم».^(٢) يلاحظ أن الشيرازي استخدم عبارة (القوة الدفاعية) أي الجهاد الدفاعي والكفائي.

أحدثت الفتوى هيجاناً عاماً في العراق، وباتت توقيت إعلان الثورة مجرد أيام، فعقد علماء الدين والشخصيات السياسية ورؤساء العشائر اجتماعات للتداول واتخاذ الخطوات وتوزيع المهام، حتى أعلنت في ٣٠/٦/١٩٢٠. استمرت

(١) علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني (١٩١٨-١٩٢٠)، رسالة ماجستير، كلية التربية - جامعة بابل، ص ٩٧.

(٢) لواء الاستقلال (جريدة)، فتوى الجهاد التي أذاعها الحائري (من سجل الثورة) العدد ١٠١٧، السنة الرابعة، بغداد، ٢ تموز ١٩٥٠؛ محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص ١٩٣؛ عبد الرزاق الحسيني، المصدر السابق، ص ١٠٦؛ عبد الله الفياض، المصدر السابق، ص ٢٧٤؛ كاظم المظفر، ثورة العراق التحريرية عام ١٩٢٠، النجف، مطبعة الآداب، ١٩٦٩، ج ٢، ص ١٥٣.

المواجهات المسلحة لمدة خمسة أشهر، تضمنت عمليات عسكرية، ومواجهات مسلحة وقصف مدن بالطائرات وإحراق قرى ومزارع، وسقط قتلى وجرحى وأسرى بشكل أربك الإدارة البريطانية حيث تكبدت القوات البريطانية ٤٢٦ قتيلًا و١٢٢٨ جريحاً و٦١٥ أسيراً ومفقوداً. وأصبحت الثورة في أوجها بوفاة المرجع الشيرازي في السابع عشر من اب (١) ١٩٢٠.

تولى المرجعية بعد وفاة الشيخ الشيرازي وقيادة الثورة الشيخ فتح الله الأصفهاني المعروف بشيخ الشريعة. لم تحقق الثورة كل أهدافها لكنها أسهمت في تغيير موقف الحكومة البريطانية وأجبرتها على التخلي عن فكرة الحكم المباشر، وإذعانها بالاعتراف بتأسيس حكومة وطنية وتحقيق الاستقلال للعراق.

إن من أهم العوامل التي ساعدت الحوزة العلمية على النجاح في حشد الأعداد الكبيرة من المجاميع العشائرية طبيعة الخطاب الديني الذي استند إلى ركون المظالم والخلافات جانباً لكون الدفاع عن البلد هو دفاع عن الإسلام ضد (الكافر المحتل)، وبذلك يتوجب الوقوف مع الحكومة المسلمة. ويشير إلى ذلك احد الكتاب قائلاً: «اثبت الواقع أن الخصومات التي كانت بين العراقيين أنفسهم في أمور عنصرية أو بين العراقيين والإدارة العثمانية لم تكن اكبر من خصومات جانبية عديمة القيمة والأثر عندما اشتد الخطر، ودعا الداعي للجهاد» (٢).

كان لاستجابة علماء الحوزة العلمية في دعم حركة الجهاد، لاسيما بعدما ذهبوا

(١) علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ص ١١١.

(٢) احمد الناجي، من أوراق الاحتلال البريطاني للعراق ١٠-٨ حركة الجهاد ج ١، ص ٣.

بحث منشور على شبكة الانترنت:

مع طلابهم، وممثلهم يقومون بإعلاء الهمم الوطنية في سبيل مناهضة الاحتلال البريطاني للعراق، بل قادوا صفوف المجاهدين في مسيرتهم إلى جنوب العراق لمقاتلة قوات الاحتلال، فضلاً عن تحشيد رؤساء العشائر والمواطنين من خلال الخطب وإرسال الدعوات، وحتى الزيارات عندما يمرون بالقرب من تلك العشائر في المسيرات الطويلة، ولعل ما ساند دعوتهم وأضاف لها زخماً كبيراً هي تلك العلاقة الدينية التي تربطهم بالعشائر والناس بشكل عام، وبالذات مع مقلديهم، فهي من دون شك وطبيعي أن تحمهم بالطاعة والاستجابة.

يتضح مما تقدم أن اندلاع الحرب العالمية الأولى مثل مرحلة جديدة من النشاط السياسي للحوزة العلمية في النجف الاشراف ضد المشاريع الاستعمارية، ولقد كانت هذه المرحلة تحولاً حضارياً في ظل الواقع الإسلامي، إذ أفرزت نتائج خطيرة على مختلف الجوانب في حياة المسلمين، على الرغم من المضايقة وسياسة التمييز التي تعرضت لها الشيعة في العراق، إلا إنها كانت السبابة إلى الفعل السياسي المؤثر الذي يدعم الدولة ضد التحديات، إنها تناست مآسي الماضي، وتعاملت مع متطلبات الحاضر، لأنها تجد اليوم خطراً يستهدف الإسلام والمسلمين وهذا ما عد مفاجأة مذهلة للحكومة العثمانية عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى.

خامساً / فتوى السيد السيستاني (دام ظلّه) بالجهاد الكفائي:

كان العراق في مرحلة مابعد ٢٠٠٣ ميدانا جديدا بالنسبة للمرجعيات الدينية والآخرين ايضا، اذ تمت الاطاحة بنظام صدام حسين الاستبدادي، كما حاولت سلطات الاحتلال التقرب من المرجعية واقحامها في الاوضاع السياسية، الا ان المرجعية لم تبد اهتمام لهذه المحاولات وابتقت نفسها بعيدة عن الاحتلال ودوائره، وتمسكت المرجعية الدينية في النجف ممثلة بسماحة اية الله العظمى السيد علي السيستاني بموقف واضح للجميع بالامتناع عن استقبال المسؤولين في سلطة الاحتلال والتواصل معهم واللقاء بهم كموقف مبدئي، ويعبر هذا الموقف عن عدم الاقرار بشرعية الاحتلال، وان تعامل المرجعية مع الحوادث بصورة عامة قائمة على اساس تامين المصالح العامة للشعب قدر الامكان، وقد اثبتت الحوادث ان المرجعية ساهرة وبكل دقة على مراقبة ماتقوم به سلطات الاحتلال من ممارسات مادية او قانونية.

كما كان للمرجعية الدينية في العراق دور عظيم في مجال الاصلاح السياسي بالرغم من تحفظها التدخل الواسع في هذا المجال وتفرغها للجانب الديني والتربوي والاجتماعي، ودورها هو ان ترشد في الشأن العام، الا انه عندما اجتاحت داعش بعض المدن العراقية واسقطتها نرى ان المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه)، اصدر ومن خلال صلاة الجمعة التي ألقاها معتمده في كربلاء الشيخ عبد المهدي الكربلائي في الصحن الحسيني الشريف بتاريخ ١٣ / ٦ / ٢٠١٤ فتوى الجهاد الكفائي، لمواجهة التمدد التكفيري لعصابات داعش، التي تمكنت من السيطرة على مدينة الموصل، مركز محافظة نينوى شمالي العراق، في العاشر من حزيران

عام ٢٠١٤.^(١)

والتي دعا فيها المواطنين: (الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم، للتطوع والانخراط في القوات الأمنية، وإن الأوضاع التي يمر فيها العراق ومواطنوه خطيرة جداً، ولا بد أن يكون لدينا وعي بعمق المسؤولية الملقاة على عاتقنا، أنها مسؤولية شرعية ووطنية كبيرة)، وبذلك صار واجباً وطنياً وتكليفاً شرعياً على كل من يستطيع حمل السلاح ومقاتلة الأعداء، المساهمة في درء الخطر عن الوطن والمقدسات، وإن الفتوى المباركة أوضحت طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق التي تقتضي:

الدفاع عن هذا الوطن، وأهله ومقدساته ومواطنيه.

هذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي (بمعنى أن من يتصدى له وكان فيه الكفاية بحيث يتحقق الغرض، وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقيين).

ومن هنا على المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين، دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم، عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية^(٢).

(١) نص خطبة الشيخ عبد المهدي الكربلائي موجود في شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع.

<https://www.youtube.com/watch?v=4NjAtVeMnIE>؛

عبد المهدي الكربلائي، خطبة يوم الجمعة الموافق ١٣ / ٦ / ٢٠١٤، في الصحن الحسيني الشريف. على الموقع الإلكتروني:

<http://imamhussain.org/fri/>

(٢) شفق نيوز، «عام على فتوى الجهاد الكفائي استجابة عقائدية سريعة حالت دون سقوط بغداد»، مقال منشور على الموقع الإلكتروني:

<http://www.ara.shafaaq.com/14031>.

وشدد الكربلائي على ضرورة ان يدرك المواطنون حجم المسؤولية الشرعية والوطنية، مشيراً الى إن هناك ست نقاط يجب الانتباه إليها:

١. التحدي الكبير الذي يواجه العراق، إذ ان الإرهابيين لا يستهدفون الموصل فحسب بل كل مدن العراق معرضة الى إعمالهم البربرية.

٢. تحمل المسؤولية يقع على الجميع في التصدي لتلك العصابات، وان لا يدب الخوف والإحباط لدى أبناء الشعب العراقي الذين عرفوا بالبسالة والثبات وقوة العزيمة في كل الظروف.

٣. على القيادات السياسية توحيد الصف، وترك الصراعات الجانبية بين كتلهم، وان يكونوا يقظين لحجم الخطر المحدق بالبلاد.

٤. ان دفاع الأجهزة الأمنية هو دفاع مقدس، وان المرجعية الدينية تؤكد دعمها وإسنادها للقوات المسلحة.

٥. ان مخاطر داعش على البلاد تقتضي الدفاع عن الشعب، وهو واجب على كل مواطن يجد في نفسه القدرة على التصدي وحمل السلاح ليحقق شروط الكفاية بالدفاع عن العراق.

٦. تكريم الضباط والجنود الذين ابلوا بلاءً حسناً في الصمود بوجه العدو، لينالوا الشكر والثناء، وليكونوا حافزاً وقدوة لغيرهم^(١).

وعلى الرغم ان فتوى «الجهاد الكفائي» لم تكن مألوفة لدى العراقيين على طوال عقود من الزمن، لكنها لاقت استجابة سريعة من مختلف المحافظات العراقية، استجابة لما وصفه ديوان الوقف الشيعي بـ«العلاج الناجع» الذي اربك حسابات

(١) المشرق(صحيفة)، بغداد، العدد ٢٩٤٩ / ٢٠١٤/٦/١٤؛ العدالة(صحيفة)، بغداد

«داعش»، وانطلق الآلاف من ابناء العراق في بغداد وبقية المحافظات للتطوع، معربين عن رغبتهم في الجهاد، وعلى الفور بادر جهاز الأمن الوطني بفتح مراكز متعددة في البلاد لاستقبال حشود المتطوعين^(١).

الاستقراء الموضوعي للأسباب التي تقف وراء اندفاع الملايين من أبناء الشعب العراقي للتطوع في صفوف الحشد الشعبي^(٢) والتحاق عشرات الالاف منهم في الجبهات القتالية بشكل طوعي وادارتهم للمعارك باستبسال وشجاعة وتقديم أروع صور الايثار والتضحية مقرونة بانتصارات كبيرة قلبت موازين القوى لصالح الشعب والدولة، نجدها ردة فعل واعية وحقيقية لما عانوه من تعذيب وتنكيل وذبح وتفجير والقتل الممنهج والسياسية الداعشية المتمثلة بتكفير كل من يخالفها، لذلك ينبغي على الحكومة العراقية ان تأخذ بنظر الاعتبار هذا التهديد والعمل على استقطاب أبناء الشعب العراقي وأبناء الحشد الشعبي لبناء مؤسسة عسكرية وامنية رصينة من هذا الصنف المتمتع بعقيدة قتالية فاعلة الى اقصى درجات العمل العسكري المثالي.

إن بيان السيد السيستاني(دام ظله) الذي أعلن في ١٣/٦/٢٠١٤ تضمن أموراً عدة فقهية وسياسية وأمنية لا بد من قراءتها بعمق وتأن للتعرف على خلفية وأجواء الفتوى وهي:

١- الإشارة إلى الوضع الأمني الخطير الذي يمر به العراق من خلال احتلال داعش الإرهابية لمحافظة الموصل وصلاح الدين أو أجزاء منهما، وإن داعش

(١) الصباح الجديد(صحيفة)، بغداد، العدد ٢٨٧٣ / ١٤ / ٦ / ٢٠١٤.

(٢) عن تشكيلات الشد الشعبي للمزيد ينظر: ياسر عبد المحسن واخرون، الحشد الشعبي. الرهان الاخير، بغداد، مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، ٢٠١٥، ص ١٥٦-١٦٠.

لن تكتفي بهما بل أن هدفهم الاستراتيجي هو السيطرة على كل العراق وهذا ما اعلنوا عنه بان هدفهم المقبل هو بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف. وهذه المدن تحظى بقدسية عظيمة لما تتضمنه من عتبات مقدسة. ويوضح السيستاني هذا الأمر كمقدمة ليطلب من العراقيين بأن "مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع، ولا يختص بطائفة دون أخرى أو مكون دون آخر". وهنا يشير إلى مسؤولية جميع العراقيين، شيعة وسنة، مسلمين وغير مسلمين، ومن كل القوميات.

٢- تأكيد السيد السيستاني على وحدة العراق وتحمل المسؤولية الوطنية والشرعية في هذه الظروف الصعبة. وأن العراقيين أكبر من هذه التحديات والمخاطر لما عرف عنهم الشجاعة والإقدام. ثم حدد مساحته "المسؤولية في الوقت الحاضر هي حفظ بلدنا العراق ومقدساته من هذه المخاطر، وتوفير المزيد من العطاء والتضحيات في سبيل الحفاظ على وحدة بلدنا وكرامته، وصيانة مقدساته".

٣- تأكيد السيد السيستاني على أهمية التحلي بالصبر والشجاعة والثبات في مثل هذه الظروف. ويحذر مساحته من أن يدب اليأس والإحباط في نفس أي عراقي، بل لا بد أن يكون حافزاً لنا من العطاء في سبيل حفظ ديننا ومقدساتنا. وأورد مساحته آيات قرآنية عدة تؤكد الصبر والمرابطة، وعدم التنازع، وتحمل الصعاب والبأساء والضراء^(١). فالفتوى حفظت المقدسات والتراث الشيعي.

٤- يخاطب مساحته القيادات السياسية ويضعهم أمام مسؤولياتهم التاريخية والوطنية والشرعية الكبيرة. ويطلب من السياسيين العراقيين أن يتركوا الاختلاف والتناحر خلال هذه الفترة العصيبة، وتوحيد مواقفهم باتجاه مواجهة العدو

(١) صلاح عبد الرزاق، فتوى الجهاد للسيد السيستاني.. خلفيتها وظروفها، موقع جريدة البيئة الجديدة الإلكتروني، بتاريخ ٢٢/٦/٢٠١٤ م.

المشترك، وأن يدعموا القوات المسلحة لأن توحد السياسيين اليوم هو بمثابة "قوة إضافية لأبناء الجيش العراقي في الصمود والثبات".^(١)

٥- يخاطب السيد السيستاني العسكريين العراقيين ويضفي على عملهم وأدائهم وتنفيذهم لواجباتهم صفة القدسية وهي أعلى مرتبة في العمل الشرعي بقوله "إن دفاع أبنائنا في القوات المسلحة والأجهزة الأمنية هو دفاع مقدس". ثم يخاطبهم بقوله "يا أبنائنا في القوات المسلحة: إنكم أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية. اجعلوا قصدكم ودافعكم هو الدفاع عن حرمت العراق ووحدته، وحفظ الأمن للمواطنين، وصيانة المقدسات من الهتك، ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح". ثم يؤكد سماحته موقفه المساند كلياً للقوات الأمنية، وأن من يقتل في سبيل الدفاع عن العراق فهو شهيد بإذن الله فيقول "وفي الوقت الذي تؤكد المرجعية الدينية العليا دعمها وإسنادها لكم، تحثكم على التحلي بالمروءة والبسالة والثبات والصبر. وأن من يضحى منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم، فإنه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى".

٦- ولكي لا يصطبغ المشهد السياسي والعسكري بحالة الانهزام والهرب والخيانة لدى بعض العسكريين، نرى سماحته يسلط الضوء على الجانب المشرق للأداء العسكري والأمني ويزرع الأمل والثقة حين يقدم شكره "للكثير من الضباط والجنود الذين أبلوا بلاداً حسناً في الدفاع والصمود وتقديم التضحيات، فالمطلوب من الجهات المعنية تكريم هؤلاء تكريماً خاصاً، لينالوا استحقاتهم

(١) خطبة الجمعة لممثل المرجعية الدينية العليا في كربلاء المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (١٤ / شعبان / ١٤٣٥هـ) الموافق (١٣ / ٦ / ٢٠١٤م) من خلال الرابط الإلكتروني:

والثناء والشكر (من قياداتهم) وليكون حافزاً لهم على أداء الواجب الوطني الملقى على عاتقهم”^(١).

٧- كما يطالب سماحته عائلاته وأسر العسكريين بقوله ”والمطلوب أن يحث الأب ابنه، والزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعاً عن حرمت هذا البلد ومواطنيه”. وربما يشمل ذلك جميع المتطوعين والمنخرطين في الجهاد المقدس للدفاع عن العراق.

٨- كما يصف سماحته توجهات ومنهج ”هؤلاء الإرهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الإسلام، يرفض التعايش مع الآخر بسلام، ويتخذ من العنف وسفك الدماء، وإثارة الاحتراب الطائفي وسيلة لبسط نفوذه وهيمنته على مختلف المناطق في العراق والدول الأخرى”. وبذلك يكشف السيد السيستاني عن كل صور الزيف والخداع التي يمارسها بعض السياسيين بأن ما يجري في الموصل والأنبار هو (ثورة عشائر) أو (ثورة سنية) ضد الشيعة.

٩- وبعد توضيح هذه الأمور أعلن السيد السيستاني فتواه بالجهاد الكفائي بقوله ”إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق تقتضي:

أ- الدفاع عن هذا الوطن وأهله ومقدساته ومواطنيه.

ب- هذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي (بمعنى أن من يتصدى له وكان فيه الكفاية بحيث يتحقق الغرض وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقيين). وتوضيح ذلك بمثال لو تصدى عشرة آلاف وتحقق الغرض منهم، سقط عن الباقيين فإن لم يتحقق وجب على البقية وهكذا.

(١) عبد المهدي الكربلائي، خطبة يوم الجمعة الموافق ١٣ / ٦ / ٢٠١٤، في الصحن الحسيني الشريف. على الموقع الإلكتروني:

ت-ومن هنا على المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الارهابيين دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم، عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية".

١٠- ثم صدرت من وكلاء السيد السيستاني توضيحات منها أن الجهاد الكفائي يشمل العراقيين داخل العراق فقط ولا يشمل المقيمين في الخارج. وأن يكون انخراط المتطوعين من خلال القوات الحكومية وليس تنظيمات مستقلة عن إشراف الحكومة. أحدثت فتوى السيستاني حماسة منقطعة النظر، وتدفع مئات الآلاف من المتطوعين من الشيعة والسنة نحو المعسكرات الحكومية. كما هدأت التصريحات السياسية الموجهة ضد هذا الطرف السياسي وذاك^(١).

كما وضعت الفتوى حداً لأية فتنة طائفية من خلال تحشيد جميع مكونات الشعب العراقي وقياداته السياسية تجاه هدف واحد وعدو واحد^(٢).

أما معطيات الاستجابة للجهاد الكفائي ودلالاتها فكثيرة منها:

(أ) تدل على حيوية الكامنة للإنسان العراقي والتي لا يفجرها إلا التوجيه الديني الخالص وليس توجيه العابثين في الدين.

(ب) تدل على وطنية الشعب العراقي من خلال حرصه للذب عن وطنه وشعبه وقيمه ومقدساته (البعد الوطني للفتوى).

(ت) تدل على الابداع الخلاق في الطاقات العراقية الكامنة كما سرى ذلك من خلال التطوير والتصنيع.

(١) صلاح عبد الرزاق، فتوى الجهاد للسيد السيستاني.. خلفيتها وظروفها، موقع جريدة البيئة الجديدة الالكتروني، بتاريخ ٢٢/٦/٢٠١٤م.

(٢) عبد المهدي الكربلائي، خطبة يوم الجمعة الموافق ١٣/٦/٢٠١٤، في الصحن الحسيني الشريف. على الموقع الالكتروني:

(ث) تدل على أن الطاقات العراقية الخلاقة مستعدة للانطلاق من خلال توجيه الغيرة الدينية الصادقة وحسب

(ج) تدل على أن واجب القيادات العراقية السياسية والدينية أن ترتقي إلى أعلى مستويات المسؤولية التي تنشدها منظومة الثقافة الحضارية التي يريدتها أئمة أهل البيت عليهم السلام^(١).

(د) أثبتت قوات الحشد الشعبي فاعليتها فقد تمكنت من تحرير الأراضي التي أستولى عليها تنظيم داعش في محافظات عراقية عدة مثل ديالى وصلاح الدين والأنبار وكركوك وكربلاء وأشاد وزير الدفاع العراقي خالد العبيدي ببسالة قوات الحشد الشعبي وأنضباطها وعملها وفق أوامر القيادات الأمنية العراقية^(٢).

(و) ساهمت الفتوى المقدسة في توحيد الرأي العام العراقي، نحو قضية مصيرية تكمن في الدفاع عن الوطن والمقدسات، إذ ابتعد الجميع عن ممارسة كل إشكال أثارت الطائفية والقومية إلى حد ما، أو المساس بحقوق المواطنين التي كفلها الدستور، لاسيما وأن الاستقرار السياسي والاجتماعي، أصبح مرهوناً باحترام البعض للبعض الآخر، وعدم التجاوز على القانون تحت أي ذريعة^(٣).

(١) شبكة النبأ المعلوماتية، ماذا لو كانت الفتوى بالجهاد العيني لا الكفائي (اراء وافكار)، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت، على الموقع: <http://annabaa.org/arabic/authorsarticles/2519>

(٢) الاعلام الحربي لقوات الحشد الشعبي. www.aalam-alhashed.net

(٣) السيد احمد الصافي، خطبة صلاة الجمعة للمرجعية الدينية في الصحن الحسيني، بتاريخ ١ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ الموافق ٣ كانون الأول ٢٠١٤ م.

هـ) وبالرغم من الانتقادات التي وجهت الى الحشد الشعبي من بعض الاطراف المعارضة لنشؤئه الا انها لا تتعدى كونها حالات فردية، فقد تم الاجماع على اهميته ودوره الفعال في انحسار تنظيم داعش في المناطق المسيطر عليها، وبرغم التسليح البسيط للحشد الشعبي الا ان الروح القتالية العالية غيرت من خريطة التنظيم واربكت مخططاته في التقدم واحتلال مناطق اخرى، وبعبارة ادق فأن الحشد الشعبي في هذه المرحلة هو الداعم الاكبر للقوات العراقية في حربها ضد داعش.

ي) وضعت فتوى الجهاد الكفائي المباركة القادة السياسيين في العراق على محك الاختبار، في أن يوحدا كلمتهم ومواقفهم في التعامل مع الأمور المصيرية والخطيرة، التي يمر فيها البلد.

لذا فأن السياسيين يتحملون المسؤولية كاملة، اتجاه ما يصيب العراق من اعتداءات وتجاوزات على سيادته واستقلال قراره الوطني، رغم ضرورة سعي العراق بحاجة للتعاون مع الجميع، فأن أي مساعدات تقدم له لا بد أن تكون وفق اتفاق واضح وشفاف، كون البلد لا يمر بظروف استثنائية خاصة بوضعه كبلد يواجه مشاكل أمنية محددة، وإنما العراق اليوم يدافع عن العالم بأسره ضد الزمر التكفيرية، فالسياسيون مدعوون ليكونوا على حذر تام من أي محاولة للتدخل في الشؤون السيادية للعراق بدوافع معينة من أي دولة كانت^(١).

خصوصاً وان قيمة الحكم واعتبار السياسيين والحاكمين مرهون للقيمة الكبرى في الحياة وهي الشعب بشكل عام، فكيف إذا كان الشعب خللاً يذافع عن الوطن

(١) السيد احمد الصافي، خطبة صلاة الجمعة للمرجعية الدينية في الصحن الحسيني، بتاريخ ١٥ ذو الحجة ١٤٣٥ هـ الموافق ١٠ تشرين الأول ٢٠١٤م.

بما تعجز عنه الحكومات وحتى الدول الكبرى.

واكمل السيد علي السيستاني (دام ظله) في الثالث عشر من شباط عام ٢٠١٥ فتوى الجهاد الكفائي بتوصيات دينية لقوات الحشد الشعبي من أجل تنظيم العلاقة بينهم وبين سكان المناطق التي يحررونها من تنظيم داعش في العراق اذ أوصاهم بالتعامل مع الناس بالأخلاق الإسلامية وعدم التعرض للناس بسوء وحتى عوائل المتمين لقوات داعش مع احترام الناس الذين لم يقاتلوا لاسيما المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء وحتى إذا كانوا من ذوي المقاتلين في تنظيم داعش وأوصاهم بعدم أتهام الناس بدينهم أو مذهبهم نكايه لهم وأستباحة كراماتهم مع عدم التعرض لغير المسلمين أيا كان دينهم وعدم أخذ أموال الناس عنوة وأن لا يمنعوا الناس من حقوقهم وأن أبغضوكم وأن يدعو العصبيات الذميمة جانباً وأن لا يقطعوا شجرة الا في حالات الضرورة القصوى^(١).

وبذلك حدد السيد السيستاني الضمانات الأخلاقية لأداء الحشد الشعبي.. خاصة بعد أن طغت على السطح خيوط لعبة جديدة من قبل البعض مؤداها الترويج من نشوب حرب طائفية من جراء الجهد الحربي الذي يبذله الحشد الشعبي خاصة في المناطق التي هي تحت سيطرة داعش ومن المكون العراقي السني، أو محاولة البعض الاخر دفعه باتجاه بدء صفحات تلك الحرب ليبتلي العراق بتحدٍ مضاف.

(١) نص الوصايا موجود على الموقع الإلكتروني. www.sistani.org/abiclinnews

الخلاصة:

ان ابرز ما يمكن ان نستنتجه من هذه الدراسة، ان الحوزة العلمية وان كانت في خطها العام مهتمة في الشؤون العلمية الحوزوية، الا انها تمتلك الوعي السياسي الكبير لمجريات الاحداث في الساحة العراقية والبلدان الاسلامية الاخرى، وبرهنت في الوقت نفسه انها مستعدة للقيام بفعل سياسي عسكري مؤثر اذا ما دعت الحاجة الى ذلك.

كما اتضح لنا ان المرجعية الدينية وبما كان لهم من نفوذ شعبي وهيبة خاصة لدى العام والخاص، كانوا يحرصون على استخدام ذلك لوحدة الصف الاسلامي ومنع الفتن والاقত্তال بين المسلمين الذي كان تقف وراءه دائماً مطامع سياسية للحكام المتسلطين على بلاد المسلمين بغض النظر عن دعاوى الانتماء المذهبي للحكام.

ان الواقع الذي فرضه الاحتلال البريطاني على العراق، ولد الشعور بالمسؤولية لدى رجال الدين الشيعة، نتيجة لخطورة الموقف الذي بات يهدد امن وسلامة العراق. لاسيما بعد ان ادرك علماء الحوزة ان المواجهة العسكرية مع المحتل البريطاني قد تكلفهم مادياً ومعنوياً الشيء الكثير نظراً لعدم تكافؤ الطرفين من حيث العدة والعدد، وانطلاقاً من هذا المبدأ بدأت بوادر التفكير الجدي في ترتيب وبناء الصف الاسلامي في اطار من العمل المنظم الذي يجعل المقاومة ضد البريطانيين المحتلين بأساليب مختلفة تحسم الامور لصالح الشعب.

ان دور المرجعية الدينية ورجالها في الحركة السياسية والاجتماعية هو دور اساسي متصل بحركة الشعب باعتبار ان المرجعية الدينية هي المظلة الشرعية التي يستند عليها التحرك الجماهيري. لذا كان تحرك علماء الدين بقيادة الامام الشيرازي

العامل الاساس في قيام ثورة العشرين الوطنية التي مثلت تجسداً وحدوياً كبيراً بين كافة فئات الشعب كافة ومختلف طبقاته حتى أصبح صوتاً واحداً انبعثت منه قوة قارعت فيها اقوى جيش استعماري في ذلك العصر وأذاقته هزائم عدة.

لقد كان أثر المرجعية الدينية كبيراً من خلال استجابة زعماء الفرات الاوسط، وتعبئة ابناء العشائر نحو الثورة ومقاومة السياسة البريطانية. جاء ذلك بالتعاون مع عدد من رجالات الحركة الوطنية في بغداد التي ساعدت على توحيد الكلمة من اجل نيل الاستقلال وتكوين حكومة عراقية مستقلة.

كما إن من المقاربات التاريخية بين فتوى الجهاد التي اطلقها كلاً من السيد اليزدي والشيخ الشيرازي (قدس الله سرهما) ابان الاحتلال البريطاني للعراق (١٩١٤-١٩٢٠) والسيد علي السيستاني (دام ظله) بعد سيطرة عصابات داعش على بعض المناطق العراقية في ٢٠١٤ اثبتت انها العلاج الناجع لقضية اجتمع حولها الكثير من ابناء المكونات العراقية، وكانت الاستجابة سريعة من الشيعة والسنة، اضافة الى الديانات الاخرى كالمسيحيين والايزيديين، لان الفتوى خرجت من بعدها العقائدي لتكون اكثر شمولية ببعدها الوطني، وهذا ما ولد شعوراً وتقارباً اجتماعياً بين جميع مكونات الشعب العراقي على الرغم من بعض الاصوات النشاز التي مازالت تراهن على الخط الطائفي، أي انها اخمدت نار الطائفية.

كان أغلب مقاتلي الحشد (الذي تشكل ابان الحرب العالمية الأولى) وعوائلهم غير راضين عن سياسة السلطة الحاكمة قبل التحاقهم في صفوف الحشد الشعبي سواء أن كانت السلطة العثمانية عام ١٩١٤ - ١٩١٨ أو السلطة الحالية وأن اغلب أفراد الحشد الشعبي من الفقراء والذين لا عمل لهم ويحملون شهادات جامعية.

وأنهم لم يقاتلوا دفاعاً عن السلطة الحاكمة وأنها دفاعاً عن الدين والوطن وللتأكيد نقول أن السلطة الحاكمة العثمانية قد أعلنت النفير العام غير أن الاستجابة كانت محدودة وعليه أرسلت وفداً الى النجف لحث المراجع الدينية الشيعية على اصدار فتاوي الجهاد وفعالاً حينما أفتى علماء الدين بالجهاد كانت الاستجابة أوسع وأشمل. وحتى الحكومة الحالية لم تجرؤ على إعلان النفير العام لأن ستكون الاستجابة محدودة أيضاً.

لقد رسمت فتوى المرجعية خارطة طريق لتوجيه مسار العمل في إدارة المواجهة، من خلال وضع الآليات والخطط التنفيذية، وعند ذلك تحققت النتائج الملموسة على أرض الواقع، إذ ألزمت فتوى الشيخ الشيرازي البريطانيين بضرورة الخروج من العراق واكدت على تشكيل حكومة يراسها عراقي، بينما حققت فتوى الجهاد الكفائي إبعاد خطر الدواعش التكفيريين عن العاصمة بغداد وحفظ الأماكن المقدسة.

على الرغم من ان الحشد الشعبي اعاد الروح المعنوية القتالية للجيش العراقي عقب انهياره السريع في الموصل في العاشر من حزيران ٢٠١٤، الا انه برز كفكرة استراتيجية، لا عقائدية فحسب، واثبت ان هدفه لا ينحصر برفع المعنويات او حيازة نصر فحسب، بل كان اكتشاف لمصادر مضافة من القدرات وتدابير علاجي حكيم لشفاء العراقيين من صدمة داعش، وهندسة عقلانية للتحدي الفاعل في الساحة، هكذا جاء الحشد الشعبي كتدابير، وكفكرة، وكأداء.

قاتلت قوات الحشد الشعبي بقيادة علماء الدين الشيعة الى جانب القوات التركية في سنوات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) وفي عدة معارك مثل

معركة الشعبية ومعركة الروطة وحصار الكوت، ضد القوات البريطانية في العراق، كما قاتلت اليوم قوات الحشد الشعبي الى جانب الجيش العراقي بالضد من قوات داعش في ديالى وفي كربلاء وسامراء والرمادي وكركوك وكان لهم الدور الكبير في الانتصارات التي تحققت والتي أعادت الثقة الى قوات الجيش العراقي. واثبت الحشدين مرونة في تغيير الخطط العسكرية والتكتيكات في مواجهة بريطانيا سابقاً والتنظيمات الارهابية في جرف الصخر ومدينة آمرلي وبيجي وتكريت. اخيراً ان الوحدة وتضامن العراقيين بمختلف طوائفهم هي الطريقة الوحيدة لاستقلال العراق من المستعمر.

قائمة المصادر:

اولاً: الكتب العربية

- ١- كامل سلمان الجبوري، محمد تقي الشيرازي "سيرته ومواقفه ووثائقه السياسية"، قم، ٢٠٠٦.
- ٢- وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠ (الجزور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق)، ط ٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥.
- ٣- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٤، بغداد، ١٩٧٠.
- ٤- عبد الحسين الحلي، شيخ الشريعة قيادته في الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ووثائقه السياسية، تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري، ط ١، (بيروت-٢٠٠٥).
- ٥- كامل سلمان الجبوري، النجف الاشرف وحركة الجهاد عام ١٣٣٢-١٣٣٣هـ / ١٩١٤م حقائق ومذكرات من تاريخ العراق السياسي لم تنشر من قبل، بيروت، ٢٠٠٢.

- ٦- مير بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، لندن، دار الحكمة، ١٩٩٩.
- ٧- محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الأحداث ١٩١٨-١٩٥٨، بيروت، منشورات دار الطليعة، ١٩٦٥.
- ٨- علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، مطبعة أسعد، ١٩٥٤.
- ٩- عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٦٦.
- ١٠- محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، بغداد، مطبعة الفلاح، ١٩٢٤، ج ١.
- ١١- عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، ط ٢، صيدا، مطبعة العرفان، ١٩٦٥.
- ١٢- عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ط ٢، بغداد، مطبعة دار السلام، ١٩٧٥.
- ١٣- السيد احمد الصافي، خطبة صلاة الجمعة للمرجعية الدينية في الصحن الحسيني، بتاريخ ١ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ الموافق ٣ كانون الاول ٢٠١٤ م.
- ١٤- ياسر عبد المحسن واخرون، الحشد الشعبي. الرهان الاخير، بغداد، مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، ٢٠١٥.
- ١٥- صلاح مهدي الفضلي، المرجعية الدينية ودورها الوطني في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ١٩٠٠-٢٠٠٢، بغداد، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، ٢٠١٠.
- ١٦- عبد الكريم ال نجف، من اعلام الفكر والقيادة المرجعية، النجف الاشرف، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، ٢٠٠٧، ج ١.

- ١٧- حسن الجاف، الوجيز في تاريخ إيران، بغداد، بيت الحكمة، ج ٣، ٢٠٠٥.
- ١٨- خضير مظلوم البديري، إيران في ظل انتفاضة التبغ والتبناك ١٨٩٠-١٨٩٢، دراسة في السياسة الداخلية، النجف الاشرف، دار الضياء، ٢٠٠٩.
- ١٩- مجيد خدوري، اسباب الاحتلال البريطاني للعراق، الموصل، مطبعة الشعب، ١٩٣٣.
- ٢٠- كامل سلمان الجبوري والسيد محمد كاظم اليزدي أسيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه، قم، ٢٠٠٦.
- ٢١- سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، بيروت، ١٩٩٥.
- ٢٢- شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، بغداد، مطبعة دار التضامن، ١٩٦٧.
- ٢٣- ابا القاسم الخوئي، منهاج الصالحين (كتاب العبادات)، النجف الاشرف، ١٩٩٠، ج ١.
- ثانياً: الكتب المعربة
- ١- غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، ترجمة: عط عبد الوهاب، لندن، دار اللام، ١٩٨٨.
- ٢- فيليب ويلارد آيرلاند، العراق-دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر خياط، بيروت، دار الكشف، ١٩٤٩.
- ٣- كارولين مرجي صايغ، المرجعية الدينية الموقف الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣، ترجمة نصر محمد علي، بيروت، مركز الرافدين للحوار، ٢٠٢٠.
- ٤- المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة وتعليق جعفر خياط، ط ٢، بيروت، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

١- اخلاص لفته حريز الكعبي، موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩١٤-١٩٢٤، رسالة ماجستير، كلية التربية/ الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥.

٢- علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني (١٩١٨-١٩٢٠)، رسالة ماجستير، كلية التربية- جامعة بابل.

٣- علي خضير عباس المشايخي، إيران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨-١٨٩٦ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، أيلول ١٩٨٧.

رابعاً: المجالات والبحوث

١- جواد رضا رزوقي، المدرسة الاصولية والمدرسة الاخبارية ونهاية الصراع على يد الوحيد البهبهاني في نهاية القرن الثاني عشر الهجري، واسط، مجلة جامعة واسط، العدد ٣٢، ٢٠١٨.

٢- حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، بيروت، دار المنتدى، ١٩٩٠، ج٢، علاء حسين الرهيمي، حقائق عن الموقف في النجف من الثورة الدستورية الايرانية ١٩٠٥-١٩١١، النجف الاشرف، مجلة السدير، العدد الأول، ٢٠٠٣.

٣- صلاح عبد الرزاق، فتوى الجهاد للسيد السيستاني.. خلفيتها وظروفها، موقع جريدة البيئة الجديدة الالكتروني، بتاريخ ٢٢/٦/٢٠١٤ م.

٤- علاء الدين محمد تقي الحكيم، السيد محمد كاظم اليزدي والثورة الدستورية في بلاد فارس ١٩٠٦-١٩٠٩ دراسة تحليلية، النجف، مجلة الكلية الاسلامية

الجامعة، العدد ١، ٢٠٠٦؛ علي طاهر تركي، اية الله العظمى محمد كاظم اليزدي (سيرته، مواقف السياسية ازاء ابرز احداث عصره، كربلاء، مجلة جامعة كربلاء، العدد ٤، ٢٠٠٧.

٥- متعب خلف جابر الريشاوي، الشيخ موسى كاشف الغطاء حياته ودوره الفكري والسياسي في تاريخ العراق الحديث، واسط، مجلة اوروك، العدد ٤، ٢٠١٥.

خامساً: الانترنت

١- شبكة النبأ المعلوماتية، ماذا لو كانت الفتوى بالجهاد العيني لا الكفائي (اراء وافكار)، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت، على الموقع: <http://annabaa.org/arabic/authorsarticles/2519>.

٢- شفق نيوز، "عام على فتوى الجهاد الكفائي استجابة عقائدية سريعة حالت دون سقوط بغداد"، مقال منشور على الموقع الالكتروني:

3- <http://www.ara.shafaaq.com/140>. <http://www.ara.shafaaq.com/1403>.

4- <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=19888>.

5- <http://www.sistani.org/arabic/archive/24918/>

بحث منشور على شبكة الانترنت:

٦- محمد نعيم ياسين، الجهاد.. ميادينه وأساليبه، عمّان، دار النفائس، ١٩٩٣م؛

شبكة المعلومات الدولية (الانترنت). على الموقع www.al-islam.com.

٧- نص الوصايا موجود على الموقع الالكتروني www.sistani.org/labiclinnewes..

مرجعية الشيرازي ودورها في تعزيز الهوية الوطنية

م.م. عقيل فالح سلمان

جامعة الامام الصادق

akeel.f@sadiq.edu.iq

الملخص

ان تعزيز الهوية الوطنية من المواضيع التي وقت على كاهل مرجعية السيد محمد تقي الشيرازي، اذ كان من ثمار سياسة المرجع هو موضوع الهوية الوطنية، من خلال انمداجها وإلغاء الهويات الفرعية وإبراز الهوية الوطنية وقد ظهر الامر جليا عندما عمل الحاكم السياسي العام ارنولد ولسون على زيارته في منزله وحاول استدراجه وايقاعه في فخ الطائفية من خلال طلبه ترشيح رجل دين شيعي ليحل محل سادن الروضة في سامراء السني المذهب، لكن خاب ظنه حينها اجابه المرجع محمد تقي الشيرازي بقوله: لا فرق عندي بين سني وشيعي، ان الكيليدار الموجود رجل طيب ولا اوافق على عزله، وغيرها من المواقف التي تعزز الهوية الوطنية وابرازها. الكلمات المفتاحية: المرجع الديني محمد تقي الشيرازي، الهوية الوطنية، ثورة العشرين.

Abstract

Strengthening the national identity is one of the issues that the authority of Sayyid Muhammad Taqi Shirazi has been in charge of, as one of the fruits of the authority's policy is the issue of national identity, through its integration, the abolition of sub-identities and the highlighting of the national identity. He tried to lure him into the trap of sectarianism by asking him to nominate a Shiite cleric to replace the Sunni master of the kindergarten in Samarra, but he was disappointed at that time. The reference Muhammad Taqi al-Shirazi replied by saying: I have no difference between a Sunni and a Shiite. , and other positions that enhance and highlight the national identity.

المقدمة

ان موضوع تعزيز الهوية الوطنية من المواضيع المهمة جدا والتي تقع على عاتق السلطات في ضمانها وترسيخها، وبقدر تعلق الموضوع بالمرجعيات الدينية فقد كان المرجع الشيرازي هو صمام الأمان للهوية الوطنية العراقية، فقد ساهم من خلال الكثير من الخطب والاجتماعات في رفق المجتمع العراقي وجعل الهوية الوطنية هي المرتكز الأساسي فيه، اذ ادى المرجع الشيرازي الدور الكبير في اسناد ثورة العشيرين، من خلال الثورة التي دفع المجتمع العراقي في القيام بها، كما ان للمرجع الشيرازي الدور الكبير في توضيح اليات انتخاب شخصية مسلمة تعكس طموحات المجتمع العراقي ويكون ممثل للعراق بصورة عامة.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من خلال المواقف والعبر التي سطرها المرجع الشيرازي باتجاه موضوع الهوية الوطنية العراقية، فاتضح ذلك جليا من خلال دعواته الى رص الصف العراقي، والعمل على درء الفتن عنه، لذا مثل موضوع الدور الذي لعبته المرجعية في المحافظة على الهوية الوطنية العراقية أهمية كبيرة في تسليط الضوء عليها.

إشكالية الدراسة

تتمحور إشكالية الدراسة بالإجابة على أسئلة عدة أبرزها الآتي:

١. ماهي أبرز المواقف التي عملتها مرجعية الشيرازي اتجاه الهوية الوطنية العراقية؟
٢. كيف عملت المرجعية على زرع الهوية الوطنية العراقية في المطالب التي

وجهت الى البريطانيين؟

٣. كيف وجهت المرجعية الثورة والمحافظة على النسق الوطني؟

فرضية الدراسة

تنص على فرضية مفادها «كان لمرجعية الشيرازي الحكمة والدور الكبير في رصّ الصف العراقي والمحافظة على هوية وطنية جامعة لكل اطرافه ومناطقه»

منهجية الدراسة

تم اعتماد منهج التحليل النظمي، كون الدراسة مثلت بمدخلات من المواقف التي تمخضت عن المرجعية ومخرجاتها ثم تغذية عكسية تمثل في النتائج التي نتجت عن مواقف المرجعية الدينية، فضلاً عن استخدام المنهج الوصفي لوصف الظاهرة المبحوثة.

المبحث الأول: الاطار النظري

تعد الهوية الوطنية من المواضيع المهمة جدا في المجتمع، اذ ان المجتمعات الإنسانية تتكون من عدة هويات فرعية وهذه الهويات تقوم على أساس عادات وتقاليد تسهم في حفظ الهوية الوطنية وإلغاء الهويات الفرعية الموجودة داخل البلاد، وقد تمثلت الهوية الوطنية العراقية بالإدارة الحكيمة الذي كثلته مرجعية الشيخ محمد تقي الشيرازي والذي سوف نتعرف عليه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم الهوية الوطنية

تعدد الهويات الموجودة داخل الشعب العراقي، والتي مثلت النسيج المجتمعي، كما انها مثلت خصوصية ملازمة المجتمع العراقي، لتصبح حقيقة ملموسة في المجتمع الذي يتصف بخصائص تميزه عن محيطه العربي والاقليمي^(١).

وتعرف الهوية على انها ليست موضوعا ثابتا وحقيقة واقعة، لابد من التعرف عليها من كذب، اذ هي إمكانية حركية تتفاعل مع الحرية، ومن يفقد هويته فقد يفقد قدرته على الحركة والنشاط، وقد يؤدي الى رد فعل متضاد مثل العنف^(٢).

ويطلق مفهوم الهوية أيضا على ((نسق المعايير التي تعرف بها الفرد ويعرف))، وينسحب ذلك على هوية الجماعة والمجتمع ويعد مفهوم الهوية من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها الدائم في مجالات علمية متعددة ولا سيما في مجال العلوم

(١) علي حسين احمد، تحديات بناء الدولة العراقية بعد عام ٢٠٠٣ دراسة جيوسراتيجية، مكتبة السنهوري، بغداد، ٢٠١٩، ص ١٤٤.

(٢) ينظر: حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى الثقافي، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٢٥-٢٣.

الانسانية ذات الطابع الاجتماعي^(١)، لذا فالهوية إدراك فردي وجمعي، تستهدف إقامة علاقة حوارية بين الذات الفردية والذوات الاجتماعية والثقافية والكونية^(٢). وتتكون الهوية بسبب تقاطع عوامل النضج الاجتماعي الفيزيولوجي للمراهق، وقد استعمل ((مارشيا مفهوم)) ((أريكسون Erikson)) لأبعاد الهوية ووضع أربعة مستويات، ويكون الأفراد في أحد حالات الهوية من الأقل نمواً إلى الأكثر تقدماً كالآتي^(٣):

- ١- حالة الهوية المشتتة: في هذه الحالة لم يختبر الفرد حتى الآن أزمة هوية، ولا أي تعهد أو التزام للمعتقدات.
 - ٢- حالة الهوية المغلقة: في هذه الحالة، لم يختبر الفرد أزمة، لكنه مع ذلك ملتزم بقيم ومعتقدات مرتبطة بالأشخاص المهمين كالأسرة.
 - ٣- حالة الهوية المعلقة المؤجلة: الفرد في هذا التصنيف يكون في حالة من الأزمة، وهو نشيط بشكل كبير في البحث حول البدائل في محاولة للوصول إلى خيارات الهوية.
 - ٤- حلة الهوية المنجزة: يكون الفرد قد نجح في التزاماته ويشعر بالإنجاز ويتعهد حول العمل والأخلاقيات، والأدوار الاجتماعية.
- كم وتعكس الهوية الوطنية حالة من الوحدة الوطنية التي تمثل اندماج اجتماعي

(١) اليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة: علي وظفه، دار الوسيم، دمشق، ١٩٩٣، ص ٧.

(٢) عامر عبد زيد الوائلي، الدين والهوية بين ضيق الانتفاء وسعة الابداع، مؤمنون بلا حدود للدراسات والبحوث، الرباط، ٢٠١٦، ص ١٠.

(٣) فريال حمودي، مستويات تشكيل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها، مجلة دمشق، جامعة دمشق، ٢٠١١، ص ٥٦٩.

بين شرائح المجتمع كافة تحت حكم واحد، وفي إقليم محدد تام عن هذا الانتماء، وبشعور يجمع هذه الشرائح من أجل مصلحة واحدة ومشاركة^(١)، ويقصد بها العملية التي تهدف إلى تحقيق التلاحم بين عناصر الأمة، ويتركز مفهوم الوحدة الوطنية على بناء وعي سياسي وطني متطور من خلال ثقافة سياسية تأخذ باعتبارها كل الخصائص الوطنية والقومية والطائفية، ويعتبر مفهوم الوحدة الوطنية من المفاهيم السياسية التي احتلت مساحة واسعة في الأدبيات^(٢).

كما تعرف أيضا بانها انصهار التام لجميع مكونات المجتمع وإزالة جميع التباينات، وعدم التمييز بين هذه المكونات، والإقرار بحقوقها على قدم المساواة وأن يقر كل طرف بحقوق الطرف الآخر ويعترف بوجوده وفق خصوصيتها وحجمه^(٣).

إنَّ انعدام الهوية الوطنية في الدول النامية او ضعفها الناجم من تعدد الانتماءات الاثنية داخل الجماعة الوطنية الواحدة لا بد وان يثير قضية الخصوصية أو الهوية الذاتية بين الجماعات المكونة للجماعات الوطنية، فضلا عن ما ذكر سابقا فوجود جماعات أثنية متعددة بثقافتها وقيمها ورموزها وتقاليدها الخاصة دون^(٤).

(١) وليد دوزي، الصراع العرقي والديني في البلقان، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٨، ص ٩٥.

(٢) ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة علم السياسة، دار مجدلان للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩، ص ٣٩٠.

(٣) حازم العقيدي، كيفية صناعة التطرف؟ التنشئة السياسية ودورها، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٤٩.

(٤) عبير سهام مهدي، مفهوم التعايش السلمي ودوره في تحقيق الوحدة الوطنية، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، عدد ٧، ٢٠١١، ص ١٨٦.

المطلب الثاني: الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي

محمد تقي الشيرازي، هو الميرزا محمد تقي بن مُحب علي بن أبي الحسن بن الميرزا محمد علي الملقب بـ(كلشن)، الحائري، الشيرازي، ولد في مدينة (شيراز) في إيران سنة ١٨٤٠م (١٢٥٦هـ)، ينتسب لأسرة ذات علم وأدب فكان والده الميرزا محب علي من أهل الورع والدين، أما أخوه الأكبر الميرزا محمد علي فكان من كبار رجال الدين في إيران^(١).

درس في سامراء، ثم عاد إلى موطنه (شيراز)، وتصدى فيها لشؤون التدريس والفتاوي الشرعية طوال حياته، وكانت له المرجعية العليا فيها، كما إن عمه ميرزا حبيب الله كان من مشاهير الشعراء في مدينة شيراز ثم رحل إلى مدينة سامراء وتلمذ لدى المجدد الكبير السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي^(٢) حتى أصبح من أجلاء تلامذته، وحينما احتلت العساكر البريطانية مدينة سامراء عام ١٩١٧ فقد رجع إلى كربلاء وسعى البعث الروح الجهادية بين المسلمين، فطالب بالحقوق المغدورة والمهضومة للمسلمين، وأصدر فتواه التاريخية التي أثارت الحماس والغيرة الإسلامية في صفوف العراقيين، واكتسب شهرة وصيتا ذائعة تخطى الحدود العراقية وشاع اسمه وعرفت مكانته كزعيم روحي وسياسي فذ في بلدان إيران ولبنان

(١) جاسم محمد إبراهيم اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية عام ١٩٢٠ دراسة تاريخية، مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد ١٥، ص ٢٨٧.

(٢) ميرزا محمد حسن الشيرازي الملقب بالشيرازي الأول، وبالمجدد الشيرازي والشيرازي الكبير أيضا، (آية الله) ولد عام ١٨١٥ في مدينة شيراز بإيران توفي والده وهو في دور الطفولة فكفله خاله (حسين الموسوي) الذي أرسله مبكرا إلى معلم خاص لتعليمه القراءة والكتابة ثم علوم العربية، تدرج في الدراسة حتى أكمل المقدمات وهو في الثانية عشر من عمره، وعندما بلغ اثني عشر عاما أخذ يحضر دروس الشيخ محمد تقي في الفقه والأصول بمدينة شيراز.

وسوريا ومصر، وبالرغم من انشغاله بشؤون الزعامة الدينية وقيادة الثورة العراقية عام ١٩٢٠ بقي على اتصال وثيق بطلاب العلوم الدينية والعلماء وظل مهتم، وراعياً لشؤون وشجون الحوزة العلمية في كربلاء والحوزات الأخرى، كما خصص قسماً من أوقات فراغه^(١).

لم يكن الشيرازي له دور فعال في السياسة قبل عام ١٩١٨، الا انه لم يكن ليتردد في عدة مناسبات من ايضاح موقفه السياسي بكل جلاء، وكان يعتبر تقديمية ونصهرة تويماً للحركة الدستورية في ايران وتركيا، وبعد عام ١٩١٨، وبتشجيع من الوطنيين ونجمله، اشترك علناً في النشاط السياسي وكان عاملاً رئيسياً في نهوض الحركة المناوئة للانكليز، لاسيما بعد أن اصبح المجتهد الأول^(٢).

المبحث الثاني: استفتاءات المرجع الشيرازي في فترة ثورة العشرين

كان لمرجعية الشيرازي عدد كبير من المواقف الا ان ما يسجل له في ثورة العشرين كان من ابرز مواقفه، فهو كان العامل المساعد والأرض الخصبة التي استندت عليه العشائر العراقية لمقارعة المحتل ورسم سياسة خاصة بالدولة العراقية والذي سوف نتعرف عليه من خلال الاتي:

المطلب الأول: استفتاءات المرجعية في الجهاد

كان دور المرجع محمد تقي الشيرازي في الثورة العراقية عام ١٩٢٠ محورياً من خلال جهوده الحثيثة في التواصل مع زعماء الحركة الوطنية في مدينة كربلاء ومناطق

(١) نور الدين الشاهرودي، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء، دار العلوم، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٧٢.

(٢) وميض جمال عمر، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركات القومية العربية (الاستقلال) في العراق، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٢١.

العراق المختلفة، وقد اوضحت مجريات الأحداث ان المرجع محمد تقي الشيرازي كان يتمتع بحنكة سياسية كبيرة سواء في التعامل مع المحتلين البريطانيين في الداخل او في التواصل مع المحيط الإقليمي، هذا فضلا عن تواصله مع المنظمات الدولية في تلك المرحلة في محاولة منه لكسب الرأي العام الدولي إلى جانب القضية العراقية وفضح اساليب البريطانيين واساليبهم القمعية، وعليه يمكن القول أن ثورة ١٩٢٠ في العراق تعد واحدة من ابرز الأحداث التي شهدها تاريخ العراق المعاصر فقد مثلت نقطة تحول كبيرة بفضل الدور الكبير الذي لعبته المرجعية العليا في صياغة احداث العراق بالسعي لتحقيق مطالبه بالتححر واستقلال^(١).

وقد كانوا البريطانيين يخشون حدوث اضطرابات وثورات ضدهم، وكان الأجدر بهم أن يغيروا سياساتهم تجاه الشعب العراقي إلا أنهم لم يفعلوا ذلك، وعلى الرغم من ذلك فقد تواصلت اجتماعات القوى الوطنية، فقد عقد اجتماع مهم في منزل السيد علوان الياسري في ١٦ نيسان ١٩٢٠ حضره نجل الشيخ الشيرازي محمد رضا وعدد من رجال الدين ورؤساء العشائر، وطرح في هذا الاجتماع فكرة الثورة المسلحة ضد البريطانيين لأول مرة، وقد أيدها البعض وعارضها البعض الآخر، وافق على تأجيل فكرة الثورة المسلحة والعمل على التمهيد لها عن طريق التوعية الوطنية والدينية، كما قرر المجتمعون اتخاذ عدد من الخطوات السياسية المكملة في مواجهة المحتلين ومن ذلك ما يلي^(٢):

(١) ميادة سالم وشيخاء ياس، موقف المرجعية الدينية العليا من الاحداث السياسية في كربلاء ١٩٠٠-١٩٢٠، مجلة العميد، العدد ٢٥، ٢٠١٨، ص ١٧٤.

(٢) علاء عباس، الدور القيادي للشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي في ثورة عام ١٩٢٠ العراقية، مجلة تراث كربلاء، ٢٠١٧، ص ٢٠٧.

١. تأسيس جمعية باسم الجامعة الإسلامية مركزها كربلاء ولها فروع في كل العراق ويرأسها الشيخ محمد تقي الشيرازي.
٢. توزيع منشور بتوقيع الشيرازي يأمر بالوحدة وجمع الشمل والتساند في كل المهام.

كما ان الميرزا محمد رضا الشيرازي لم يميل إلى القيام بثورة مسلحة، إنما أراد أن تبقى الحركة الوطنية سلمية، إلا أن عددا من قادة الحركة الوطنية اتفقوا على الذهاب لدار المرجع الديني الشيخ محمد تقي الشيرازي لمعرفة رأيه حول فكرة قيام ثورة مسلحة ضد الاحتلال البريطاني، وجرى اللقاء في دار المرجع الشيرازي باجتماع سري للغاية، حضره الشيخ عبد الكريم الجزائري ومحمد جعفر أبو التمن والشيخ عبد الواحد السكر رئيس قبيلة ال فتلة والشيخ شعلان أبو الجون أحد رؤساء قبيلة الظوالم وغيرهم، فتناول بعضهم في حديثه فكرة القيام بثورة مسلحة، فأجابهم المرجع الشيخ الشيرازي بأنه يخشى أن لا تكون للقبائل القدرة في محاربة الجيوش المحتلة، لكن الحاضرين أكدوا أن لديهم القدرة الكافية في مواجهة القوات المحتلة، وأن الثورة أصبحت ضرورة ملحة، رغم أنهم لا يرغبون بالحرب^(١).

ولهذا عندما استفتى عدد من زعماء العشائر العراقية الإمام الشيرازي حول جواز استخدام السلاح بوجه المحتل أجابهم الإمام الشيرازي بفتوى صريحة أشار فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم، في ضمن مطالبهم، رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذ امتنع الإنجليز عن قبول مطالبهم»، وهذه الفتوى كانت بمثابة الركيزة

(١) جعفر عبد الله جعفر، دور علماء الدين في تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١. مجلة الخليج العربي، العدد ١-٢، ٢٠٢٠، ص ١٢-١٤.

الأساسية في انطلاق العمل الثوري ضد الاحتلال، إذ أُيدت من قبل خطباء وعلماء كربلاء ومنهم محمد حسين المازندراني، ومحمد صادق الطباطبائي، وعبد الحسين الطباطبائي، ومحمد علي الحسين، وغلام حسين المرندي ومحمد رضا القزويني، ومحمد إبراهيم القزويني، ومحمد الموسوي الحائري، وعلي الشهرستاني، وهادي الخرساني، وجعفر الهر، وكاظم الیهباني، وفضل الله، وعلي الهادي الحسين، كما وتداعى على ضوء هذه الفتوى العديد من علماء النجف الذين اجتمعوا وقرروا توجيه رسائل إلى رؤساء عشائر الفرات وخصوصاً عشائر الرميثة والساوة يحثوهم فيها على الثورة^(١).

المطلب الثاني: فتوى المرجعية ضد انتخاب حاكم انكليزي

أرسلت الحكومة البريطانية برقية إلى الحاكم البريطاني في العراق السير ارلوند ويلسون طلبت منه بيان رؤيته في شكل الحكم الأفضل الذي يتناسب الحكم العراق، وأن يرسل تقريراً مفصلاً إلى الحكومة البريطانية حول وجهة نظر العراقيين حول قضايا مهمة منها^(٢):

أولاً: هل يرغب سكان العراق بإقامة دولة عربية تحت وصاية الحكومة البريطانية، تمتد من حدود العراق الشمالية لولاية الموصل وحتى الحدود الجنوبية عند مياه رأس الخليج؟

ثانياً: هل يرغب سكان العراق في حالة قبولهم إقامة دولة تحت الوصاية البريطانية

(١) المرجع الشيعي محمد تقي الشيرازي.. قائد ثورة العشرين في العراق، بوابة الحركات الإسلامية، الجمعة ١٧/ سبتمبر/ ٢٠٢١، الرابط: <http://www.islamist-movements.com/show.aspx?id=31342>

(٢) جعفر عبد الله جعفر، مصدر سبق ذكره، ص ٨-٩.

أن يكون رئيس تلك الدولة عربي؟

ثالثاً: من الرئيس الذي يرغب به العراقيون في هذه الحالة؟

عندما وصلت أخبار ذلك المخطط الذي رسمه ويلسون إلى علماء الدين في العراق، تحركوا للتصدي له وافشاله، ولاسيما سكان مناطق بغداد والكاظمية والحلة وكربلاء والنجف، إذ قاموا بكتابة مضابط أيدت قيام دولة عربية مستقلة بعيدة عن سيطرة الاحتلال البريطاني، على أن يترأس حكم تلك الدولة المستقلة أحد أبناء الشريف حسين شريف مكة المكرمة، ففي مدينة بغداد حاولت الحكومة البريطانية تعيين عدد من المندوبين الذين يمثلون الأديان والطوائف في تلك المدينة، وطلبت منهم قبول وجهة النظر البريطانية التي أرادها ويلسن، إلا إن الأمور خرجت عن سيطرة سلطة الاحتلال البريطاني^(١).

كما أصدر الشيرازي فتوى أخرى ضد انتخاب (السير برسي كوكس) المندوب السامي البريطاني؛ ليكون رئيساً لحكومة العراق، قائلاً: «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين» ولما عرف العراقيون فتواه حول موقفه من انتخاب المندوب السامي البريطاني ليكون رئيساً لحكومة العراق، نهضوا في وجه السلطة الجائرة وحاربوهم بأسلحتهم البسيطة المعروفة في ثورة العشرين الشهيرة والخالدة، ومن هنا نعرف أن الثورة كانت بدفع، وتخطيط، وفتاوى المرجعية الدينية الشيعية بالتحالف مع العشائر الشيعية وشيوخها في الوسط والجنوب التي قدمت من الضحايا حسب ما قدرها الجنرال هالدين، أحد القادة العسكريين البريطانيين آنذاك، بـ ٨٤٥٠ بين قتيل وجريح، مستنداً في تقديره هذا على عدد القتلى الذين عُثِرَ على جثثهم، وعلى التقارير الواردة من مختلف المصادر،

(١) المصدر نفسه، ص ٨-٩.

وعلى سجلات الدفن في كربلاء والنجف. ومعظم الحسائر كانت من عشائر منطقة الفرات الأوسط، وهذا عدد كبير في تلك الفترة التي كان عدد نفوس العراق نحو مليونين ونصف المليون نسمة^(١).

فضلا عما تقدم فقد أفتى آية الله محمد تقي الشيرازي بحرمة التعامل مع الإنكليز، وكان له الدور الكبير في مساندة الشعب العراقي في ثورته ضد الإنكليزي^(٢).

المبحث الثالث: دور المرجعية في التماسك المجتمعي

كان للمرجعية الدينية دورا كبيرا في تماسك المجتمع العراقي ودر الفتن التي عملها المحتل له، وقد تمثل ذلك من خلال القيادة الحكيمة للمرجعية الشيرازي، والتي سوف نتعرف عليها من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: توحيد صفوف العشائر العراقية

أولا: دعوى عشائر العراق بصورة عامة لمقارعة المحتل

وتقف في موقع القيادة الوطنية لجميع العراقيين، فعندما أرسل الميرزا محمد تقي الشيرازي مندوبا عنه يدعو عشائر الفلوجة والرمادي للانضمام لثوار ثورة العشرين؛ كان الشيخ ضاري واحد من ثلاثة شيوخ ممن استجابوا لفتوى الميرزا محمد تقي الشيرازي، إضافة للشيخ خضير الحاج عاصي رئيس الجنابات، والشيخ علوان الشلال شيخ البومحبي، وباشروا بمهاجمة القوات البريطانية في المنطقة، مما

(١) المرجع الشيعي محمد تقي الشيرازي.. قائد ثورة العشرين في العراق، بوابة الحركات الإسلامية، الجمعة ١٧/ سبتمبر/ ٢٠٢١، الرابط: <http://www.islamist-movements.com/show.aspx?id=31342>

(٢) سعد عبد القادر ماهر، تراويل على شاطئ البحر قصة العراق، ج ١، ٢٠١٩، ص ٣١.

اضطر الكولونيل ليجمن الاجتماع بشيوخ العشائر في المنطقة، محاولاً اللعب على أوتار الطائفية لتهدئة العشائر العربية في الفلوجة والرمادي، فتصدى له الشيخ ضاري ليقول: ليس في العراق شيعة وسنة بل فيه علماء أعلام نرجع إليهم في أمور ديننا.. إن علماءنا حكومتنا وقد أمرنا القرآن بطاعة الله والرسول وأولي الأمر منا، فإذا اعتديتم عليهم فإننا سنتصر لهم ونحاربكم بجانبهم، والأولى أن تلبوا ما أرادوا^(١).

ثانياً: العمل على توحيد الصف ونبذ التفرقة

كان المرزا محمد تقي الشيرازي في كربلاء يعرف ما بين عشائر المنتفق من نزاع وتنافس، فوجه إلى شيوخهم رسائل يدعوهم إلى الاتحاد والاتفاق. نقل فما يلي نموذجة من تلك الرسائل وهي التي وجهها إلى الشيخ موحان الخير الله رئيس عشيرة الحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرت الاكرم الشيخ موحان الخير الله المحترم

بعد السلام عليك وعلى كافة اخواننا المسلمين المفاين بك والمنسوبين إليك ولا يخفي لديكم أن جميع المسلمين اخوان تجمعهم كلمة الاسلام وراية القرآن والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وصحبه. فالواجب علينا جميعاً الإتفاق والاتحاد والتواصل والوداد وترك الخلاف والسعي في كل ما يوجب الائتلاف وتوحيد الكلمة وجمع شتات الأمة والتعاون على البر والتقوى والتوافق في كل ما يرضي

(١) موسى الحسيني، الطائفية في الوطن العربي: أسبابها ومظاهرها-العراق نموذجاً، دار الشمس، القاهرة، ٢٠١٧، ص ٢٣٩.

الله تعالى فانكم ان كنتم كذلك جمعت بين خير الدنيا والآخرة ونلتم الدرجة العليا والشرف الدائم والذكر الخالد، وإلا كنتم من خسر الدنيا والآخرة ولبس ثوب الذل والهوان مدى الزمان وذلك هو الخسران المبين، وقاكم الله ذلك وجميع المسلمين ووقفكم لما فيه صلاح اموركم وإصلاح شؤونكم ودفع كيد الحاسدين عنكم. فانكم أن تنصروا الله بالطاعة ينصركم. أنه قوي عزيز، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١).

ثالثاً: تشكيل هيئة اجتماعية لتمثيل العراقيين

عملت المرجعية على توجيه العلماء والعشائر في ضرورة تشكيل هيئة اجتماعية لتمثيل العراق في التفاوض مع سلطات الاحتلال البريطانية، وصدرت وثيقة سياسية هامة حددت هوية الدولة العراقية المراد تأسيسها والمبادئ التي سعت الحركة الوطنية إلى تحقيقها وقد أصدر الإمام محمد تقي الشيرازي تعليماته إلى كافة العراقيين بالتحرك السياسي والمطالبة بالاستقلال، أوصى فيه بأن يكون التحرك السياسي سلمية، فإذا استكمل هذا الجانب أغراضه ولم تتحقق مطالب الأمة، فإن الخطوة التالية هي إعلان العمل المسلح ولما لم تستجب الإدارة الإنكليزية إلى هذه المطالب قررت المرجعية الدينية، وبمساندة علماء الدين في العتبات المقدمة الأخرى، وكذلك شيوخ العشائر ووجهاء المدن من السياسيين، التحرك الانتزاع الحقوق المشروعة وإعلان الاستقلال، وطلب زعماء الحركة الوطنية التفاوض مع السلطات الإنكليزية في العراق، وقدموا لها مطالبهم بخصوص^(٢):

(١) الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١-٨ ج٦، دار الراشد، بيروت، ٢٠١٠، ص ٩٦.

(٢) إبراهيم الحيدري، تراجم كربلاء، دار الساقى، ٢٠١٧، ص.

١. الإسراع بتأليف مؤتمر يمثل الأمة العراقية ويعين مصيرها ويقرر شكل إدارتها في الداخل والخارج.
٢. منح الحرية للمطبوعات ليتمكن الشعب من التعبير عن إرادته ورغباته
٣. رفع القيود الموضوعية على البريد والبرق بين المدن العراقية، وبينها وبين الدول الأخرى حتى يستطيع المواطنون من التفاهم والاطلاع على السياسة الدولية الراهنة في العالم.

رابعاً: توجيه رسائل الى العشائر تدعو الى الوحدة

وجه الشيرازي رسالة إلى الشيخ أحمد الداوود وهو أحد علماء السنة في بغداد، وما يلفت النظر في هذه الرسالة ورود كلمة (الجهاد)، بالإضافة إلى المدح والثناء على شخصية الشيخ أحمد، واختتمت رسالة الشيخ الشيرازي بالقول: (أرجو إبلاغ جزيل السلام والدعاء والدعوة لإخواننا المؤمنين، ونسأل لهم خير الدارين)، ولم يقتصر توجيه الرسائل التي تدعو للوحدة على الشيخ الشيرازي فحسب، وإنما اتبع المقربون له نفس المنهج بالدعوة للوحدة ونبذ الفرقة وكان من أبرزهم السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني^(١).

خامساً: ارسال مبعوثين الى العشائر الغربية من اجل رصّ الصف والتوحد

ومن المظاهر الأخرى وصلت فتاوى الشيخ الشيرازي الى المناطق الغربية من العراق بوساطة مبعوثه السيد (جدوع أبو زيد)، الذي سافر الى الفلوجة في ٢٣ تموز والتقى هناك برئيس عشائر الجنائيين انذاك (خضير الحاج عاصي) الذي كانت له اتصالات سابقة مع رجال الثورة في الفرات الأوسط (وأصطحب الشيخ خضير

(١) علاء عباس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤-٢٠٥.

مبعوث الشيرازي الى بقية عشائر المنطقة ومنها نمير وزوبع والدليم وغيرها، وكان أهم شخصية التقى بها أبو زيد هي الشيخ ضاري المحمود) رئيس عشيرة زوبع الذي كان له اتصالات كثيرة مع زعماء الفرات الأوسط وخاصة عبد الواحد الحاج سكر، وعندما اطلع الشيخ ضاري على صورة فتوى الشيخ الشيرازي ورسالته زاد حماسه للثورة قائلاً: (يشهد الله تعالى على أنني عربي مسلم، وقد عاهدته وأنت من الشاهدين (يقصد أبي زيد) على أن أبذل الغالي والرخيص في سبيل إنقاذ بلدي من الأنكليز، وليعلم العلماء والزعماء من أخواني أنني سأقوم بأدوار يسجلها التاريخ بعد أن يسمعوها فترضي الله والناس)، ومن الجدير بالذكر أن الشيخ ضاري هو الذي قتل الضابط البريطاني (ليجمن) عند لقائه به في ١٢ آب. كما راسل زعماء الثورة في كربلاء وانتقل بعدها إلى منطقة النعمية ومنطقة خان العطيبي الواقعة بين كربلاء والمسبب لمقاومة البريطانيين، كما وصل مبعوث الشيرازي (أبو زيد) الى مناطق جنوب بغداد مثل المحمودية واليوسفية في ٢٨ تموز، كذلك منطقة (عويريج)، وكان الأبناء هذه المناطق اتصالات سابقة مع السيد (هبة الدين الشهرستاني) وهو أحد وكلاء الشيخ الشيرازي حيث أرسل الشهرستاني عدة رسائل العشائر هذه المناطق يحثهم فيها على الوحدة والثورة ضد بريطانيا، وطردهم من وظائفها وتخريب طرق مواصلاتها التي كانت تستخدمها لنقل الأسلحة والأعتدة خلال الثورة، وكان أكثر ما يميز ثورة العشرين هو إتباع قادتها المشروع الوطني الذي لا يفرق بين طوائف العراق وملله، ففي فتوى الشيخ (محمد تقي الشيرازي) بتاريخ ٣٠ مايس ١٩٢٠ طالب بالحقوق الوطنية والتحذير من الطائفية إذ حذر: ((..... وإياكم والإخلال بالأمنية والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض فأنا ذلك مضر بمقاصدكم الإسلامية ومضيع لحقوقكم التي صار الآن أوان حصولها

بأيديكم، وأوصيكم بالمحافظة على جميع الممل والنحل التي في بلادكم في نفوسهم وإعراضهم وأمواهم ولا تنالوا واحد منهم يسوء أبدا^(١).

ويتضح من النص أعلاه ان مرجعية الشيرازي كانت حريصة كل الحرص على تعزيز الهوية الوطنية وجعل البلاد فوق كل شيء، من خلال تأكيده على عدم الاخلال في البيئة الأمنية للبلاد وتأكيده في المحافظة على كل الممل في هذا البلاد، وعدم تضييع النصر الذي تحقق في الذهاب خلف الهويات الفرعية.

سادسا: توجيه رسائل توجي بالتوحد ورص الصف

١. اخذ الامام الشيرازي بتوجه الرسائل الى العلماء و الزعماء لاجل القيام بالثورة فعاد، ووجه رسالة الى جعفر ابو التمن احد الزعماء في بغداد و جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: اننا نوصيكم ان تراعوا في مجتمعاتكم قواعد الدين الحنيف و الشرع الشريف فتظهروا انفسكم دائما بمظهر الأمة المتينة الجديرة بالاستقلال التام المنزه عن الوصاية الذميمة وان تحفظوا حقوق مواطنيكم الداخلين في ذمة الاسلام وان تستمروا على رعاية الأجانب الغرباء وتصونوا نفوسهم وأمواهم واعراضهم محترمين كرامة شعائرهم الدينية كما اوصانا بذلك نبينا الاكرم ﷺ^(٢).

(١) عدي حاتم وعبد الزهرة المفرجي ومحمد كاظم، المرجعية الدينية في سامراء ومفهوم الوحدة الوطنية (المرجع الدنية محمد تقي الشيرازي في ثورة العشرين انموذجا)، مجلة معين، العدد ٤، ٢٠١٥، ص ١٣.

(٢) فريق الزهر، الامام الشيخ محمد تقي الشيرازي يشكل الحكومة الإسلامية، مكتبة الامام المهدي (عج)، ١٩٨٤، ص ٢٨.

وبعد وصول هذه الرسالة الى علماء الكاظمية ذهب من بغداد الى الكاظمية رؤساء الطوائف المسيحية واليهودية وعلى رأسهم البطاركة والقسس والرهبان والحاخامات، حيث قابلوا علماء الكاظمية وشكروهم كما رجوا ان يوصلوا شكرهم الجزيل الى آية الله الشيرازي.

٢. توجيه رسائل الى عامة المسلمين

إلى إخواننا المسلمين في العراق سلمهم الله

غير خفي على أحد أن موقف المسلمين في مثل هذا اليوم قد بلغ صعوبته وحرارته مبلغاً لا يسع العلماء الأعلام أن يسكتوا عنه، كما لا يسع العشائر المتحفزين إلا بذل النفس والنفيس في سبيل هذه النهضة الدينية والحركة الواجبة الإسلامية، فالواجب اليوم على عموم المسلمين أداء فريضة الدفاع عن حوزة الدين المبين، وصيان المشاهد المشرفة عن لوث الكافرين، ومحافظة نواميسكم الأطهار عن تعديات الكفرة، والقيام بواجب الوعظ والتشويق، والنفر والحث، والترغيب والترهيب. والله ولي التوفيق إنه سميع مجيب، الأحقر: محمد تقي الحائري الشيرازي^(١).

المطلب الثاني: توحيد الصف العراقي

كان للمرجعية دور كبير من خلال نسف المشاريع الطائفية التي خطت لها بريطانيا وتعرف الطائفية بانها حالة اجتماعية تؤدي فيها الى تكوين كيان يقوم على أسس طائفية مستندة الى الهوية الفرعية وتعمل على استخدام الدين من اجل تحقيق

(١) نور الدين الشاهرودي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨١.

اهداف سياسية^(١) وقد كان موقف المرجعية اكثر ثباتا من خلال الخطوات التي عملت بها ولتي سنتعرف عليها من خلال الاتي:

لقد كان لقاء الجوامع بين الشيعة والسنة مؤثرة في شهر رمضان عام ١٩٢٠م، وبدا المشهد مؤثرة وقوية لأن تكون الصلاة في جامع السنة، ومرة أخرى في جامع الشيعة في ولاية بغداد لتنتقل الحالة إلى مدن الشيعة المقدسة في كربلاء والنج، فكان عناق (الشيخ والسيد) عناقة أخويا كرمز للتآخي والتواصل والمحبة والمصاهرة بين الطائفتين، تعاضم شأن القادة الدينين لإثارة النخوة بين أفراد القبائل في جنوب العراق معتمدين على مرجعية الإمام محمد تقي الشيرازي، والذي يفترض منه البدء، أو إطلاق شرارة الثورة ضد الحكام السياسيين البريطانيين، وقد وقع الاختيار على ابنه (محمد رضا) لإثارة المشاكل ضد المحتل في بغداد والكاظمية، وكانت سببا لاعتقاله قبل تدخل والده مع السلطات الحاكمة لإطلاق سراحه بكفالة^(٢).

أولا: حث العراقيين لانتخاب شخصية مسلمة تمثل العراقيين كافة

اصدر المرجع محمد تقي الشيرازي فتوى تنص على ((ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين، فكان لهذه الفتوى اثر سلبي على الحكومة البريطانية التي أثارها هذه الفتوى، فعقد رجال الدين في كربلاء اجتماعا في منزل السيد محمد صادق الطباطبائي واجتماعا اخر في منزل المرجع محمد تقي الشيرازي للتشاور في أمر الاستفتاء واستقر رأيهم على كتابة مضبطة قدمت إلى

(١) حسام كصاي حسين، الطائفية صدمة الاسلام السياسي، امواج للطباعة والنشر، عمان، ٢٠١٥، ص ٢٠-٢١.

(٢) إبراهيم عبد الطالب، العراق البلد العربي الذي نخره السياسيون ١٩١٤-٢٠٠٣م، دار المعتز، عمان، ٢٠١٤، ص ٩٢.

الحاكم البريطاني في العراق جاء فيها حسب تبليغ حضرة حاكم الحلة لنا عن الدولة المفخمة بريطانيا انها قد تفضلت على العراق بطلب انتخابات، وقد اجتمعنا نحن اهالي كربلاء امثالاً لأمركم وبعد مداولة الآراء وملاحظة الأصول الاسلامية وطبقا لها تقرر رأينا على أن تستظل بظل راية عربية اسلامية، فانتخبنا احد انجال الشريف حسين ليكون أميراً علينا مقيداً بمجلس منتخب من اهالي العراق لتسنين القواعد الموافقة لروحيات هذه الامة وما تقتضيه شؤونها^(١).

ولما أيقنت السلطات الانجليزية من أنها غير قادرة على تحقيق ما تريد، بادرت إلى إلقاء القبض على ستة من وجهاء كربلاء وأبعدتهم، وهم: عمر الحاج علوان، وعبد الكريم العواد، والسيد محمد علي الطباطبائي، ومحمد علي أبو الحب، والسيد محمد مهدي المولوي، وطفليح الحسون، وعلى إثر هذا الاعتقال احتج الميرزا محمد تقي ووجه خطابا عنيف اللهجة، وتقول الكاتبة «المس بيل» في تقريرها عن دور كربلاء في إحباط عملية الاستفتاء المدبرة من قبل الانجليز: وكان أبرز شخصية على الإطلاق في حركة كربلاء هو نجل الميرزا محمد تقي الشيرازي المتقدم في العمر، وكانت منزلة الشيخ محمد تقي في العالم الشيعي لا تفوتها إلا منزلة محمد كاظم اليزدي^(٢).

من خلال ذلك اراد الشيخ المرجع محمد تقي الشيرازي تقيد الانكليز بوعودها للعرب بالاستقلال بحكومة وطنية مستقلة من خلال ارسال نسخة من المضبطة الأولى إلى الشريف حسين في الحجاز بيد الشيخ محمد رضا الشيببي لكي يستند

(١) ميادة سالم وشيياء ياس، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) نور الدين الشاهرودي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٨.

إليها عند مطالبة البريطانيين بتنفيذ وعودهم التي قطعوها للعراقيين، وقد اظهرت فتوى المرجع محمد تقي الشيرازي تأثيرا كبيرا في بقية مناطق العراق التي جاءت مضابطها.

ثانياً: التحرك على الموقف الدولي

وعلى الصعيد الدولي السياسي والاعلامي فقد تكثفت النشاطات السياسية والاعلامية للمرجعية الدينية التي مارست ضغوطا دولية على بريطانيا من خلال ارسال المرجع محمد تقي الشيرازي كتابا سرىا إلى الوزير المفوض الأمريكي في طهران يوم ١٣ شباط ١٩١٩ جاء فيه نظرا إلى ما املته... الشروط المعروفة التي قدمها رئيس الجمهورية الأمريكي لإحقاق الحقوق وتقرير المصير، رأى الشعب أن يستعين بحكومة الولايات المتحدة للمطالبة بحقوقه وانجازها، كذلك بعث برسالة مشابهة إلى الرئيس الامريكى ولسن، قصد المرجع محمد تقي الشيرازي من هذه الرسائل الدعوة للوحدة ونبذ الفرقة وبعد مخاطبته الجهات الدولية وعدم استحصال الاجابة المطلوبة عمل على تقوية الصف الوطني من خلال شد التلاحم بين طوائف المجتمع المختلفة بعدم ترك ثغرة ينفذ منها المحتل بين اوصال الشعب، ووجه رسالة الى في اليوم التالي ٢٩ آذار ١٩٢٠ الى الشيخ احمد الداوود أحد علماء السنة في بغداد أورد فيها كلمة الجهاد واختتمها بالقول (ارجو ابلاغكم جزيل السلام والدعاء لإخواننا المؤمنين ونسال لهم خير الدارين)^(١).

ان هذا الاتجاه الوحدوي الذي زرعه المرجعية الدينية في كربلاء وزعيمها المرجع محمد تقي الشيرازي بين العراقيين على اختلاف طوائفهم قد ولد خوفا

(١) ميادة سالم وشيياء ياس، المصدر السابق، ص ١٦٤-١٦٥.

لدى البريطانيين الذين لا تروق لهم وحدة العراقيين بعد ان كانت هذه الاتصالات تصل إلى أسماعهم لذا انعكس خوفهم في احد التقارير الذي جاء فيه إشارة إلى وحدة السنة والشيعة بانهم قد ازدادوا ثقة بهذا الاتجاه الوحدوي سواء كان وهما او حقيقيا، واطاف التقرير أن الأمور السياسية اصبحت تناقش اليوم في كل مكان وبين الجمع دون تحفظ، ونشط المرجع محمد تقي الشيرازي في تنظيم عدة مضابط موجهة إلى الأمير عبد الله بن الحسين يطلب منه القدوم للعراق ليكون ملكا بعيدا عن اي وصاية اجنبية، وفي الوقت نفسه ارسل حاكم الحلة السياسي البريطاني تايلور تقريراً الى الحاكم ارنولد ولسن ورد فيه يقال ان مضبطين قد ارسلتا من كربلاء إلى الأمير عبدالله... وفي حالة استلام رد ايجابي على الدعوة فان بعض زعماء الحركة قد قرروا القيام بعمل... واذا لم تقم بعمل ما... فيمكن توقع قيام بعض الاعمال المناوئة للحكومة البريطانية...^(١).

ثالثاً: ثبات موقف الشيرازي رغم الضغط البريطاني

قام البريطانيون بمحاولة كسب الشيرازي إلى جانبهم ففي حزيران ١٩١٩م، ذهب إلى كربلاء نائب الحاكم المدني للعراق (ويلسن) بنفسه للقاء الشيرازي حيث كان ويلسن يجيد اللغة الفارسية فأخذ يتحدث بها فبدأ بأثارة الطائفية مع الشيرازي، حينما طلب منه أن يعين رجلاً شيعياً ليكون كليداراً في مرقد الأئمة في سامراء بدلاً عن الكليدار السني، ظناً بأن الشيرازي سيوافق على هذا المقترح كونه شيعياً، إلا أن الشيرازي رفض ذلك راداً عليه بقوله ((لا فرق عندي بين السني والشيعي إن الكليدار الموجود رجل طيب ولا أوافق على عزله))، بعدها حاول ويلسن

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٤-١٦٥.

كسب موافقة الشيرازي على المعاهدة التي كانت بريطانيا تسعى لعقدتها مع إيران، فضلا عن طلبه التدخل لوقف المقاومة المسلحة التي كانت تبديها القبائل الإيرانية المتواجدة جنوب إيران، ضد القوات البريطانية، إلا أنه فشل في هاتين المحاولتين أيضا^(١).

وربما كان خبر عزم الشيخ الشيرازي الهجرة الى إيران هو الذي عجل بتوقيع رئيس وزراء إيران (وثوق الدولة) المعاهدة في ٩ آب ١٩١٩، اذ قامت بريطانيا بمناورة سياسية أخرى من أجل امتصاص النقمة، فأرسل (ويلسن) مبلغا كبيرا من المال الى الشيخ الشيرازي بيد معتمده (محمد حسين خان الكابولي)، وقد رفضها الشيرازي بكل أنفة وابعاء، شأنه في ذلك شأن العلماء الصادقين، وقد تم نقل حاكم كربلاء الميجر (بوفل) الى قضاء طويريج وعين بدلا عنه (محمد خان بهادر) الملقب (الميرزا محمد البوشهري) وهو من أصل إيراني ومن تلامذة السير (برسي كوكس) في السلك السياسي^(٢).

رابعا: الدور القيادي للحكيم للمرجعية

لم يكن دور المرجع الديني الأعلى الشيخ محمد تقي الشيرازي في ثورة ١٩٢٠ مجرد دور المشارك أو الواعظ أو المحرض أو حتى القائد في مدينة أو منطقة عراقية بعينها وحسب، إنما كان له دور قيادي بارز ومهم على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية، بل وحتى العسكرية أحيانا في تلك الثورة، فقد عده معظم المؤرخين

(١) جاسم محمد إبراهيم، موقف الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري من استفتاء (١٩١٨-١٩١٩) في العراق، مجلة اهل البيت، العدد ١١، ص ١٥١-١٥٦.

(٢) عدي حاتم وزينب خالد، موقف أهالي كربلاء من الاستفتاء البريطاني في العراق، مجلة الباحث، ص ٤٢٧.

والباحثين بأنه (الزعيم الروحي لهذه الثورة، وعلق أحد الشخصيات السياسية البارزة في العهد الملكي عن الدور الكبير عمل الشيخ الشيرازي في تلك الاجتماعات على تحقيق وحدة وطنية متماسكة وأكد على ضرورة إزالة الخلافات وتحقيق التقارب والوحدة بين الطوائف ولاسيما بين السنة والشيعة، ولغرض تحقيق هذه الأهداف بادر الشيخ الشيرازي إلى توجيه عد من الرسائل إلى الشخصيات الوطنية والعشائرية (السنية والشيعة)^(١).

خامسا : عدم اقتصار دعوته على منطقة محددة فقط

لم تظل الثورة محصورة بمنطقة محددة، بل ذهبت ابعد من ذلك حبيب الخيزران رئيس عشائر زبيد الى دلتاوة في بعقوبة واجتمع مع العشائر هناك اقساموا معا بقيام الثورة وما كاد ينفرد عقد المجتمعين في دار حبيب الا وجاءت الانباء بأن ثوار لواء ديالى هجموا على بعقوبة و طردوا الحاكم السياسي منها وقبض المجاهدون على زمام الحكم، أن الثورة سرت من لواء ديالى حتى وصلت الى لواء، كركوك جهت خرب الثوار هناك سكة الحديد تخريبا كلياً، ومن كركوك سرت كيوان الثورة الى أربيل^(٢).

سادسا : طلب الشيخ الشيرازي في سحب القوات البريطانية

كتب الحاكم الملكي العام السرولسن كتابا الى الامام الشيرازي مضمونه أن الحاكم يرغب في التفاهم مع الامام وابطال العراق ورجال الثورة، فطلب الامام

(١) علاء عباس، الدور القيادي للشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي في ثورة عام ١٩٢٠ العراقية، مجلة تراث كربلاء، ٢٠١٧، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) فريق الزهر، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

الشيرازي منه تحقيق المطالب التالية في كتاب ارسلها له الى بغداد:
اولا: سحب الجيوش من انحاء العراق وجمعها في مكان واحد لأجل المفاوضة.
ثانيا: عدم تعرض لاحد من المعارضيين أثناء المفاوضة.
ثالثا: ارجاع المنفيين والمبعدين.
رابعا: تجري المفاوضة مع العراقيين على اساس اعطائهم الاستقلال التام الذي كان الحصول عليه غاية القائمين بالثورة^(١).

الخاتمة

من خلال ماتقدم، يتضح ان دور مرجعية الشيرازي في تعزيز الهوية الوطنية وذلك من خلال عدد من المواقف التي بنيت عليها أفعال شعبية ساهمت في درء المحتل، وتحقيق طلبات المجتمع العراقي والتي سوف نتعرف عليها من خلال الاستنتاجات الآتية:

١. ان موضوع تعزيز الهوية الوطنية من المواضيع المهمة جدا والتي تقع على عاتق السلطات في ضمانها وترسيخها، وبقدر تعلق الموضوع بالمرجعيات الدينية فقد كان المرجع الشيرازي هو صمام الأمان للهوية الوطنية العراقية.
٢. ساهم المرجع الشيرازي من خلال الكثير من الخطب والاجتماعات في رفق المجتمع العراقي وجعل الهوية الوطنية هي المرتكز الأساسي فيه.
٣. أدى المرجع الشيرازي دوراً كبيراً في اسناد ثورة العشرين وقد كان ذلك جلياً من خلال الثورة التي قام بها ودفع المجتمع العراقي في القيام بها.
٤. كان للمرجع الشيرازي الدور الكبير في توضيح اليات انتخاب شخصية مسلمة تعكس طموحات المجتمع العراقي ويكون ممثل للعراق بصورة عامة.

(١) المصدر نفسه، ٥٦.

٥. لم تكن دعوى الشيرازي للجهاد مقتصرة على منطقة او طائفة معينة وانما كان موجهة الى جميع العراقيين بمختلف طوائفهم وانتمائاتهم.
٦. كان للثورة التي اطلقها المرجع الشيرازي الدور الكبير في المحافظة على الوحدة الوطنية العراقية ودرء الفتن عن العراق.
٧. رغم ان المرجعية الدينية تخشى تعرض الامن العام الى الخطر خاصة في اعلان الجهاد الى ان ما تم القيام به والانضباط التي قامت بها الثورة جعلت منها نموذجا للثورة الحقيقية.

قائمة المصادر:

أولاً: الكتب العربية والمترجمة

١. إبراهيم الحيدري، تراجيديا كربلاء، دار الساقى، لبنان، ٢٠١٧.
٢. إبراهيم عبد الطالب، العراق البلد العربي الذي نخره السياسيون ١٩١٤ - ٢٠٠٣م، دار المعتز، عمان، ٢٠١٤م.
٣. اليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة: علي وظفه، دار الوسيم، دمشق، ١٩٩٣.
٤. حازم العقيدى، كيفية صناعة التطرف؟ التنشئة السياسية ودورها، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦.
٥. حسام كصاي حسين، الطائفية صدمة الاسلام السياسي، امواج للطباعة والنشر، عمان، ٢٠١٥.
٦. حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى الثقافي، القاهرة، ٢٠١٢.
٧. الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١-٨ ج٦، دار الراشد، بيروت، ٢٠١٠.
٨. سعد عبد القادر ماهر، تراتيل على شاطئ البحر قصة العراق، ج١، ٢٠١٩.

٩. عامر عبد زيد الوائلي، الدين والهوية بين ضيق الانتفاء وسعة الابداع، مؤمنون بلا حدود للدراسات والبحوث، الرباط، ٢٠١٦.
١٠. علي حسين احمد، تحديات بناء الدولة العراقية بعد عام ٢٠٠٣ دراسة جيوسراتيجية، مكتبة السنهوري، بغداد، ٢٠١٩.
١١. موسى الحسيني، الطائفية في الوطن العربي: أسبابها ومظاهرها-العراق نموذجا، دار الشمس، القاهرة، ٢٠١٧.
١٢. ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة علم السياسة، دار مجدلان للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩.
١٣. نور الدين الشاهروودي، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء، دار العلوم، بيروت، ١٩٩٠.
١٤. وليد دوزي، الصراع العرقي والديني في البلقان، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٨.
١٥. وميض جمال عمر، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركات القومية العربية (الاستقلال) في العراق، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤.

ثانيا: المجلات والدوريات

١. جاسم محمد إبراهيم اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية عام ١٩٢٠ دراسة تاريخية، مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد ١٥، د.ت.
٢. جاسم محمد إبراهيم، موقف الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري من استفتاء (١٩١٨-١٩١٩) في العراق، مجلة اهل البيت، العدد ١١.
٣. جعفر عبد الله جعفر، دور علماء الدين في تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام

- ١٩٢١- مجلة الخليج العربي، العدد ١-٢، ٢٠٢٠.
٤. عبير سهام مهدي، مفهوم التعايش السلمي ودوره في تحقيق الوحدة الوطنية، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، عدد ٧، ٢٠١١.
٥. عدي حاتم وزينب خالد، موقف أهالي كربلاء من الاستفتاء البريطاني في العراق، مجلة الباحث.
٦. عدي حاتم وعبد الزهرة المفرجي ومحمد كاظم، المرجعية الدينية في سامراء ومفهوم الوحدة الوطنية (المرجع الدنية محمد تقي الشيرازي في ثورة العشرين انموذجا)، مجلة معين، العدد ٤، ٢٠١٥.
٧. علاء عباس، الدور القيادي للشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي في ثورة عام ١٩٢٠ العراقية، مجلة تراث كربلاء، ٢٠١٧.
٨. علاء عباس، الدور القيادي للشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي في ثورة عام ١٩٢٠ العراقية، مجلة تراث كربلاء، ٢٠١٧.
٩. فريال حمودي، مستويات تشكيل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها، مجلة دمشق، جامعة دمشق، ٢٠١١.
١٠. فريق المزهري، الامام الشيخ محمد تقي الشيرازي يشكل الحكومة الإسلامية، مكتبة الامام المهدي عليه السلام، ١٩٨٤.
١١. ميادة سالم وشيخ ياس، موقف المرجعية الدينية العليا من الاحداث السياسية في كربلاء ١٩٠٠-١٩٢٠، مجلة العميد، العدد ٢٥، ٢٠١٨.

ثالثا: المواقع الالكترونية

١. المرجع الشيعي محمد تقي الشيرازي.. قائد ثورة العشرين في العراق، بوابة الحركات الإسلامية، الجمعة ١٧ / سبتمبر / ٢٠٢١، الرابط-<http://www.islamist-movements.com/show.aspx?id=31342>
٢. المرجع الشيعي محمد تقي الشيرازي.. قائد ثورة العشرين في العراق، بوابة الحركات الإسلامية، الجمعة ١٧ / سبتمبر / ٢٠٢١، الرابط: <http://www.islamist-movements.com/show.aspx?id=31342>



الإمام العبد المذنب
مركز دراسات والبحوث

Alssebt

Refereed semi-annual scientific journal

Concerned with civilizational, cultural and scientific research heritage
of the holy city of Karbala

Issued by:

Karbala Centre for studies and Researches
The General Secretariat of AL-Hussein Holy shrine

A special issue on the proceedings of the Third Scientific Conference
on Reviving the Heritage of Scholars in Karbala.

The Eighth Volume - The Fifth Issue (Part Five) - The Eighth Year
December / Jumada al-Awwal 1444 AH - 2022 AD